محمد السرغيني

الأعمال الكاملة

الجزء الثالث

3. الدواوين الشعرية

منشورات



وزارة الثقافة

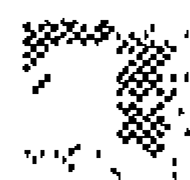
محمد السرغيني

الأعمال الكاملة

دواوين شعرية

الجزء الثالث

منشورات



وزارة الثقافة

محمد السرغيني : الأعمال الكاملة (الجزء الثالث)
الإيداع القانوني : 2007/0264
ردمــــك : 9981-0-4095-1
سحــب : مطبعة دار المناهل - 2007

الأعمال الكاملة

دواوين شعرية

الجزء الثالث

وجدتك في هذا الأرخبيل

I

نيابة عن الحقبة

الاستحكامات الأولى

سأدعه يهذي.

سأدعه يفتت ذاكرته.

ولن أتدخل إلا ساعة يهترئ الجسدان بفعل الاصطدام.

يورق حضورك الذهني، فكأن الأجنحة منك ومني التحليق.

رافقني في رحلتي نحو المطلق. كن لي صهوة أكن لك حدسا.

أعيد بك إنتاج الصدفة. الحلول في التجربة ينقرض بحلول شمس الليل.

هل سبق وأن تذوقت فاكهة الشمس ؟

أقذف بغضبي في وجهك. تتعرى كي تورثني حقيقتي. أما هذا الجسد المبتذل فبدائله في التعاليم الجامعة وفي الحفريات.

لي هوية كما لك، ولك فوق ذلك الدعة والتاريخ الوحشي.

الغبطة والكبرياء يجتازان ظلهما السائب، ويزاوجان بين هلام الرؤيا وفعل الأرض.

هي هوية تنبثق من الآني وتؤول إليه متنكبة طريق الإبداع.

هي هوية تتوحد بقدر ما تتبعثر.

إنما أين المحلول فيه ؟

الترف ليس مهنتي. الانحناءات والتوازيات عشب اصطناعي وإفسال أعضاء غريبة عن هذا الجسد المستعصي. الزاد في الخرج والسفر في القصد والخطوة في هذه الكتابة المدجنة والبذل في الكف تبث ولا تتلقى والصراخ في المقولات الواعدة وفي الصوتيات تقول الكلام بدءا من مقاطعه الترابية.

ربما كانت الهويتان ناصعتين أو قميئتين بذيئتين أو قانعتين.

(تكتب الحقيقة طردا ويقال كلام حصيف عن ذلاقة الكلبيّين).

عذب في أجاج فيك.

رائع في مسخ فيك.

إنساني في كلون الحبر.

بشرى فيك كالنيكوتين

فيك الجرح وفي مراهم الجرح.

ومع ذلك تتقاطع بنا الطرقات وتكتظ المسافات : طقوسية التجربة وازدواجية التداخل.

عراه تعب كاسح من رتابة المسافة. تقاسم جسده مع ثيابه. أسلم وجهه للنافذة المطلة على الساحة الخضراء. (ألقى أوزار الأرض على الأرض كأن دوران الصورة في المادة) الطقس مركز العناصر، والأرض سيدة الجاذبية. إلا أن الغرائز في ثنائية الالتهاب والانطفاء يتعاقب عليها الليل والنهار. فكيف تلتقط أنفاسها ملتهبة ومنطفئة ؟

"غيرنيكا" عمودية على جدار عمودي : لهيب النار فيها ولهيب الأرق فيه. فيها الكوابيس وفيه التواطؤ. إن الانهيار في المطلق خير من الوقوف على بابه.

تتبدد الكوابيس كل صباح كالعادة. غير أنها تترك رذاذا من الصفرة على الوجه تبدو عضلاته معها معقوصة :

- كان العنف وليدا ساعة انهمار الكوابيس.

- كان الوديعة الوحيدة في مخزون اللاوعي.

ـ كل عمل ابن آدم له إلا الشقاء.
ـ فهو من عمل العقل.
ـ محنة أن تباع
ـ ومحنة أن تشترى.
ـ هيا إذن إلى سوق النخاسة !
ـ كن دليلي.

فرقة من اللفيف الأجنبي تحاصر المدينة. المدينة تتآكل في قلاعها وفي حصونها وتقاطع محيضها الشهري. تحيل على ثمالات الكؤوس وعلى السقاة وعلى الزناة. قنوات الالتقاط موصدة.

تتوفر المقهى على الصخب المطلوب. إطار زمني لمسافة محترقة. الحيرة واضحة، وأوضح منها الإلحاح على هضمها. الأقدام ترفس الأرض، والأصوات المازوتية تقول الانبهار، والغضب المؤجل لا يأتي.

دخل المقهى. احترف المواجهة بسمت بين الإشعاع وبين القساوة (رعاة البقر ورعاة الدببة يجتمعان ويفترقان في النبوة : تعاليم حارة في غمد المسدس، وأخرى باردة في قلنسوة الفرو. هناك فرق

بين المائيات وبين الجداريات) وزع التحايا واستسلم إلى الإشارات الضوئية والحركات البهلوانية والكسب الوهمي .

ـ للعمل حقيقة وللوعي به حقيقة أخرى .

ـ لك موعد مع الحقيقة الأولى صباح الغد .

ـ غيبوبة الصحو وصحو الغيبوبة .

ـ ربما فاتتك الحقيقة الثانية .

ألف الصخب وقد أصبح جزءا من دفء المقهى . (الحلزوني مستو والبارز غائر والاستغراق في الوجوم وفي المطلق قداس يومي) من المؤكد أن معتقل العزلة خير من معتقل السعادة المحتملة .

تزلزل . تماهي مرة بالجسد وأخرى بالروح . فلسف الأشياء . واقعها من الجهات الست . قومسها . تألم حسب مقاس الألم بجسد ميت . إلا أنه افتقد مقام الغبطة والأنس وضل طريق البرزخ الذي تلغى فيه الأجساد .

غرق الثلاثة في حياد الابتذال . أثار السابقون حفيظتهم وحنطها اللاحقون . يعاقرون الأشياء نفسها ليلا ونهارا ويحاولون تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود . آه لو كان للفهم طريق أخرى غير طريق الفهم :

ـ هو ذا الفنجان فاقرأ خطوطه !

ـ علي أن أقرأ المقهى قبله .

ـ هو صورة منها .

ـ القراءة الأولى مفتوحة .

ـ وتعني عناية ربانية محبطة .

ـ كما تعني ملحمة لا وجه لها .

ـ تعود من القراءة الثانية بخفيك فقط .

ـ في قدمين كسيحتين .

ـ ألفت أن أضع الطعم في الفخ .

ـ وألفت أيضا أن تفر منك الطريدة .

ـ كل يصنع ملاحمه بطريقته الخاصة .

تأرجحت كلمات إشراقية فيما بين الحنجرة واللسان . منعها من الظهور مضغ الكلمات وتناسل اللعاب اللزج واهتزاز طاقم الأسنان الاصطناعية : ترويض الأشياء بالقاعدة هو قمة الاستثناء . الثلاثة جميعا لا يزالون غارقين في حياد الابتذال .

ـ ما هي طلباتكم ؟

ـ عروس للمتعة لي وقسيمة طلاق لهذين .

ـ آسف . أخطأت طريقك . لا وقت لدي للغو .

ـ حسنا . لتكن ساقية المقهى عروسي .

ـ كم أنت ذميم بشكل منفر !
ـ مرة أخرى ما هي طلباتكم ؟
ـ أن أدمركم جميعا .

فنجان قهوة مثلجة وكأس نبيذ وقدح جعة مضغوطة. شرب نخب التيه ونخب الفرح المؤجل.

تعلقت عيون الجالسين في المقهى بالعناوين العريضة في صحف الصباح. العناوين من صنع المحررين والتفاصيل من صنع اللفيف الأجنبي (انسحب من هذه "الكوريدا" كما تنسحب من جلدك)

يتعقب الثلاثة التفاصيل. القتل شريعة والإبادة مناسكها. ترى ما هي الوسيلة التي يتبدد بها الانفصام ؟ إذن، لا ضرورة للسفاحين من أجل عمارة الأرض، كما لا ضرورة للمرارة وللتأسي، لأنهما لا يدفعان طارئا ولا يقفان إلا في أعتاب المراثي. يقتحم الثلاثة الصيغة وينسحبون من الملفوظ مجاملة لحالتي الكسب والجبر، لأنهم جميعا خارج إطار اللعبة.

احتسى الثلاثة ما في كؤوسهم. غمز كل واحد منهم التذاذه

بأرنبة لسانه، ثم غادروا المقهى مسحولين. في الشوارع اندمجوا. في غبارها وهدير شاحناتها وروث كلابها اندمجوا. قطعوها سيرا وقاطعوها محجة بيضاء وتقاطعوا في ضبابها.

الردهة فخمة والمسرح قميء. سالت رائحة العنف كما تدفقت هزيمة المقهى من صحف الصباح. الردهة للعبور الطائش والمسرح للإبداع. وعلى قدر المجهود المبذول حجم المكافأة.

انفرطوا وهم في وصال متصل. الرتابة والعنف والهاجس والوحدة وفحيح الأقدام تقرع رخام الدرج. غرفهم والأسرة والكتب كسيحة والبذلات المشدودة إلى حمالاتها أجساد منقوعة في المقصلة الدولابية. والضوء الفانوسي الأخضر الخافت إيهام بالرضى وتقويض للمملكة النهارية. متى يبدأ العد العكسي ؟

الاستحكامات الثانية

الصباح ندي. الشمس تسيل ببطء على قمم الجبال العالية. القطرات الفوسفورية المنداحة تستقر على العشب الأخضر.

استيقظ على وقع طرق خفيف متعاقب على باب غرفته. (الساج والآبنوس أبوابا يقولان الصدى وأشجارا يقولان الفطرة) ارتدى ملابسه بآلية ثم هجس :

ـ النوم اقتطاع لا معقول من مساحة العمر

ـ هو والأنثى تخدير.

رش وجهه بالماء في كسل. لسعته برودة قطراته. خدشه ثقلها. تذكر طفولته، ثم سمع لخطواته جلبة رديئة. هل فقد الإحساس بالآخر ؟

التثاؤبات الباردة. العربة المشحونة. الرائحة الكريهة. الأنفاس المكتظة. الحشود :

الرائحة الدوامة.

الرائحة الزكام.

الرائحة الاستبطان.

الرائحة الإدمان.

الرائحة العذاب.

الرائحة النتونة.

الرائحة الدوار.

الرائحة الاستدفاء.

(ألا فلتكن خصمي وحكمي، فإنني لا أعترض على موتي فيك بل على بقائك بموتي)

غير اتجاهه. تجاهل المسافة. أخفاها في غرائزه. خرج من القبو النفقي إلى اليابسة كأنه فار من غارة جوية. مسخه الزمن الباريسي. سابق الصورة وعجز عن مسابقة الظل. وصل في الوقت المعين ليومه في أمسه. مسخه الموت الباريسي. تزاحم وتدافع. خرج من الزمن

روحا ودخل في المكان جسدا. تنمط. ثم بعث في لهجة قاسية أو في باب مصطفقة أو في سحنة مضاءة أو في بثور متقرحة او في حشود محترقة أو في مد بحري جائع.

إنسان مكوم في قعر عربة يرفض الشفقة ويشي بها. قد تكون الصرامة زوغانا من الوهم أو انهيارا أو عطبا في الأجهزة الدافعة أو تلقائية رمادية أو مدى محاصرا بخرائطه البيانية.

أحس بثقله على اليابسة. أحس بجزئيته في كليتها. تنسم بجماع أنفه ومسام بشرته هواءها. تابع السير مبهوتا. تخطى الآلة والعرق والإنتاج والرأسمال والكسب والقطيعة. (رأس الحكمة ثلاثي الأضلاع : الأجرة والآجر والأجير)

الباب عريضة مخيفة. يتجشأ فولاذها القاسي لدى فتحها وإغلاقها : جنائزية بسياق صوتي. هي الكائن الأكثر تعايشا وقبولا للرتابة وإخفاء للتذمر.

فرك راحة يده اليمنى بوثوقية. اقتبس الصلابة من تاريخ سري

(التقية تشحذ الفكر من موقع الفكر النقيض) :

ـ الإنتاج أولا ثم بعده المعيار.

ـ لابد إذن من الذريعة.

ـ ودعم الصناعة الثقيلة.

ـ شريطة أن تباد مزارع العنب الواسعة.

الآلة حرباء وعاؤها الألوان.

هي كأزرار القميص تحد من اندفاع البطن.

وهي أيضا كجالوت تقرأ تقاطيعها في الأحياز.

فهل نراهن على زمن سيأتي في زمن أتى ؟

انسجم مع قيافتك ثم لغم الأسئلة بعد ذلك.

كذب النور مفهومه الغنوصي حين تحول إلى مجرد كهرباء.

وكذب الصعود الذي لا ينحدر.

ووصل الكذب أعلى الدرجات في الفن.

توغل في بهو مظلم رطب. تجرد من ثيابه التجريدية. (يقتبس الزي اللاتيني تقاطيعه من اللون لا من السمت) أعاد إنتاج المعيار فلم يدعم إلا صناعة الدور والتسلسل. بنى جسرا من رحيق الكروم

يصله بالسماء وأد منها، ثم ادعى أنه في نواة النواة من النقاهة

ـ ما هي حدود مأموريتي ؟
ـ في تنفيذ الأوامر.
ـ والأوامر بفرمان.
ـ والفرمان وضعي.

احترف لهجة خطابية ينتشل منها العلامات الآمرة بين الحين والآخر. غاص في مستنقع من العرق والتعب والخوف. تدهورت هيئته. أصيبت لحيته بهبوط مفاجيء. (للحية زمنان : نضالي ومعرفي) ألقى بنفسه فيها. استغرب أن يحز قطعة فولاذ غليظ بمنشار هزيل. أنشب المنشار في الفولاذ. ضغط عليه بأنفاسه. تعابث. لكن قانون الجاذبية كسره. أعلن استسلامه.

الحيلة أساس القوة، والقوة لا كيمياء لها.

جس يده المعروفة النحيلة. ألح على أعصابها وعلى أليافها. (يحتفظ الرخام بصقيعيته ولو في الهجير) توقف أمام لوحة رخامية تبرز منها أزرار ومفاتيح. بدت على وجهه علامة ارتياح. وجد الحل. غرز قطعة الفولاذ في اللوحة وثبتها بمعجون جبصي.

(الأسلاك النحاسية والحمام الزاجل)

دقت الساعة الكبيرة اثنتي عشرة دقة . أذهلته فخلصته موقتا من الاستغراق في عصره الفروسي . صعد إلى الطابق الأول . تهالك على كرسي خشبي في هذا الدير النسطوري . أكل خبزه كفاف يومه . استعان على فجاجته بالجبن وبالنبيد . خشخشت أسنانه ببطء . أقبل عليه شيخ متصاب اهترأ بسوابقه ولواحقه :

ـ أنحدر مباشرة من وجاق التاريخ .

ـ ليس لي مثل مالك من الحظ .

ـ وهذه اللحية ؟

ـ لضبط مؤشر الاختلاف .

ـ لا مكان لها هنا .

ـ دربتها على تحمل سلاطة الأوساخ .

جدد فراشه وتناسل . احترف نفس حرفة الأنبياء قبل إعلانه العصيان وسقوطه في المدينة . (راع يصبح رعية لأنه نسي التعاليم) احتفظ بالأداة وأهمل فائض القيمة . آلى على نفسه أن تراهن على الصدفة وأن تخسر الرهان . (الأبقار هنا وهناك ، ولغة الخوار هي السائدة)

لقد فضلا تجديد الفراش والاحتفاظ بالعاطفة الأولى.

يعتقد أن الفتنة نائمة وأن أصحاب اللحى يوقظونها وأن الإغراء الكامن فيها يضعهم مرة داخل القانون وأخرى خارجه.

تحمسا لما فيهما من الهالات ولما ينقدح فيهما من الصدق. (أخلاقية الممارسات المعكوسة) صب الأول كأسا من النبيذ للثاني. استعاره سكينه الحاد لقطع الخبز اليابس. فرقع الثاني أصابعه شعورا منه بالامتلاء. تثاءب وتجشأ:

- هي العثرة الأولى.
- والبقية تأتي.
- والبديل؟
- الركض صباحا في الهواء الطلق.
- داخل سياج "الشيزوفرينيا"
- ومنها أن يصمم اليسار إطارا يمينيا لمبادئه.
- أي التعويض.
- للخروج من منطقة الحد الأدنى للأجور.
- العالم متغير.

ـ والثابت هو أن القمع ثلاثي الأضلاع.

ـ ومنزلة بين المنزلتين.

ـ وسيزيفية السفح والقمة.

ـ لنضرب خيامنا في التراث.

تنهدا بارتياح وطرفت عينا كل واحد منهما بعد أن عبرتهما موجة من الارتياح لشعورهما بأنهما اثنان في واحد. (لا تخلو مدينة فاضلة من أفيون)

ـ سبحان الذي يخلق من أسباب تشكل الملكوت أسباب تدميره.

ـ من الحل إلى العقد.

ـ ومن السياق إلى النمط.

ـ إذن، هل يجدي الفرار من ذاكرة الراهن إلى راهن الذاكرة ؟

وشيئا فشيئا تكشفت لهما متربتهما. (تبوح الوصايا العشر بأسرارها لدى القراءة المباشرة، وعلى الذين يقرأونها استجلابا للنوم أن ينتشلوا جثثهم من أسفارها) فكان عليهما أن يتأسسا في دلالة واحدة، في الهضم لا في الاجترار، في المتناقضات لا في المترادفات. وعليهما أيضا ألا يتكررا كالعادة وألا يسقطا كالعادة. (قل كلمتك وقف في مكانها من انفعالاتك، فهي إما أن تفجر وإما أن تتفجر)

انتصب السلم الطويل في موازاة الجدار وانتصب الجدار في موازاة طوله. تكعبت المسافة الفارغة وتحدبت الأبعاد. كان على الجسدين أن ينسلخا من ثقليهما. فالطفرة تبطل قانون الجاذبية. (اسأل عن إيراد السقطة قبل سؤالك عن جهد العروج) تافهة محاولات ارتياد الفضاء لاصطياد الزئبق بالمادة.

لصعودهما درجات السلم إيقاع محدد: تحمل اليمنى آلات قاطعة ودوائر أسلاك معدنية، وتتشبث اليسرى بالسلم نفسه. (ثنائية الجاذبية والتوازن) وفي القمة، بدت لهما الأشياء قميئة. هكذا تهمش الأبعاد الأحجام:

- بالأعلى يتآكل الأسفل.
- وبالأسفل يجتر الأعلى مسوخه.
- كأن اللزوجة الأرضية تميعت.
- بفعل انتكاسة العناصر.

شعرا بالحنين إلى الأرض. استعادت أعضاؤهما لزوجتها الطبيعية ثقلت وأينعت إلى درجة أنهما أصبحا آلات قاطعة تغرز الفولاذ في أجواز السقف وتثبته بمعجون جبصي.

الاستحكامات الثالثة

أسبوع واحد، وبعده أصبحت العملية استجماما مؤدى عنه. تحولات يتداولها محورا التصميم والتراجع. (يخاف من الجهل ومن جهله وسرعة الهضم) هرولة ساذجة وتسلق بطيء: الحافلة الخضراء بسطيحتها العارية، تتعهد بتحقيق الطفرة في المكان، على حين أن الشعور المبهم بالأشياء يتكفل بإدارة قرص الزمان نحو السمت المطلوب. هو مستعد للتلمذة، ومستعد أيضا للتآكل الذاتي.

المِعبر موحل. الجدران المجذورة ملطخة بالقار. والذين يعبرون هذه الأرضية السبخة هشاشتهم فيهم، لكن مودتهم صعبة الاحتمال.

ـ حماد ...

ـ أرنو . . .

بحث عابث دائب عن حسن الاستهلالِ وحسن التخلص ومسك الختام.

تقشف في العمق وتبذير في سحابتي التسامح والتواصل.

يلتحقان بشرة ليست لهما : سوء التغذية وفيه آفة الظاهر، وانعقاف الرقبة وفيه آفة الباطن. (أنتيلليجينسيا مؤسسة على هرمين متقاطعين)

ـ لم هذه اللحية ؟

ـ لمزيد من اللمعان.

ـ مع الضوء تنكسف الاستعارات.

ـ إذا كان إشراقيا.

ـ أو كسبا في الجبر.

ـ هي الرؤيا في الأرض تنمو.

ـ ثلاثة محاور تستقطب جغرافية المكان : المعبد والمعمل والجبانة:

الأول تنظير وتأطير للنوع. والثاني حفظ له بإتلافه، والثالثة تقطير لهيولاه الجامدة. (وشم الجسد على السطح يطفو).

الوشم يغطي ساحة الصدر والظهر واستدارة الزندين والذراعين : نساء عاريات، حوريات بحرية، أسماك مرجانية، خطوط ناشزة، كتابات مخدوشة. (شدة الوعي بالعالم تبرير للجريمة)

"غابرييل بيري" راود هذه الجغرافية : عصى ربه وعمل تحت السوط واختار بنفسه شاهدة قبره في جبانة الحي الصناعي.

- هل لك في كأس نبيد ؟
- أشربها صرفا وممزوجة.
- استعد إذن للسفر من الحلال إلى الحرام !
- فترة الانتقال هي الأهم.
- أنا أنتقل في الهودج.
- وأنا في مكوك فضائي.

يشربان نبيذهما قرب المزلقان ويتعمدان في الكنيسة ويتلكآن في العمل ويجدان إحالتهما في "رأس المال" وينتهيان إلى المادة الأولى : العناصر. أين وجه الشبه إذن ؟

ـ دعني من الحوقلات !

ـ دعني من هذا "الكوجيتو" الأراجوزي ! (عضو عامل في النقابة + ذميم + أعور + شاعر بالذنب + شوه وجه عشيقته الجميل + خمس سنوات سجنا = هو الآن يتأسس)

ـ أتعرف عمل أي شيء مهما كان ؟

ـ أعرف ما هو وحشي. أعرف انقراضي.

ـ نكوص على عقبي المتاهة.

ـ كالشيخ العائد إلى صباه.

ـ وهذا الوشم ؟

ـ منمنمة فارسية.

ـ خالية من براءة الدقة.

ـ المهم هو الفسحة.

ـ وما قولك في المصابين بداء التأويل ؟

ـ أنسفهم بدءا من احتمالاتهم.

العصيان والتدجين. الجرح وأداة الجرح. تضمن الأناجيل تكافؤ الفرص. لكن صرامة الرمز هي المسؤولة عن تبعثر المقولات. ينزل بعضهم من السماء إلى الأرض في المظلات ولا يعترف بقانون الجاذبية :

ـ لتتبع خطاي !

ـ أنا ممتعض . . .

ـ من الأسلاك النحاسية والأدوات ؟

ـ من الحقيقة الآبقة.

ـ التمس التعويض في صوتي الرخيم !

قامة فارهة خشنة سملت الحرب العالمية الثانية إحدى عينيها بشظية طاشئة. مأخوذة بالعبثية منسوجة في العباءة. تضع في كل يوم لبنة أولى لشقائها.

ـ أنا سادن الجبانة ورئيس كورالها. وأنت ؟

ـ حامل أختام الموت. وأنت ؟

ـ رائحة المعمل، عنكبوته وزئبقه.

قاعة مظلمة رطبة ومهملة. المطارق تعجز عن فتح ثغرة في جدار سميك من حيث يجرح الكرامة خدش لساني بسيط. ثلاثة رجال من "كـــومـــونة" باريس : ثلاث إشـــارات وثلاث إيماءات وثلاث فرضيات وثلاث هويات وثلاثة تداعيات لم تتحمل نبل الإيقاع إلا لبرهة من الزمن وبعدها الرطانة والنشاز. أريق النبيذ على الأرض نخب الصرخات الثلاثية : يسكر الكريم ويسكر معه الكأس والصدأ الذي يسكنه. الصرخات متواطئة وواقعة في حبائل الإغراء. (يشرب النبيذ لإضاءة الحناجر المضغوطة)

Tripartits, ces cris se prosternent, se confirment mercureux et s'anéantissent dans un souffle chronique. Que la mort compromette la quotidienneté de l'allégresse et que la vie se constitue complice ! Les souches du calendrier tressent un va-et-vient asthmatique. Et, comme une tortue, l'éloquence séquestrée dans une durée médiévalise hautement son cauchemar. Voix herboristes, chants cautionnés et échos moisis parce que dosés de soif et de songes, trament de quoi le chanvre est chanvre.

المقبرة البحرية "الفاليرية" طقس مزدوج : الهجير الرمضائي والرطوبة البحرية. على أن من معماريتها ما هو كسبي ومنها ما هو

ذاتي : تتفيأ ظلال الصنوبر وتتبرج في رخام شواهد القبور. كل ذلك من أجل بعث السكينة (تعجيل المؤجل) حيث تترعرع الأرواح علوا وتتناكب الأجساد سفلا.

يمحي ظل الإنسان حين يقارن بالصورة، وخاصة حين يبحث عن ضالة لا وجود لها. تلتبس عليه المعرفة بالحلم فيحيل على زمن مشع، لا هو بالمتحرك فيطفر به ومعه وفيه، ولا هو بالآسن فيتلاشى في نقعه. (أعجب ما في العالم أن معقولاته مرادفة فقط إلى معقولاته) الحلم معرفة غائبة جعلها الإنسان خادعة بافتراض حضور الغياب تعبيرا عن كلانية كون هلامي في حالة تشكل.

أذعنوا إلى هذه الوظيفية المستفزة. تسلقوا الجدار بتثاقل كأنهم يسحبون خلفهم ثقل أعوام قذرة بائدة. مسخهم الحزن. تعثرت المطرقة في فعل التكرار. بشاعة الهدم كشاهدة القبر تومئ إلى التاريخ ولا تقوله. (أغفل بناة قلعة "تمودا" الرموز فوقعوا في فخ السلطة)

أعـول الجـدار تحت عـبء الطرقـات . انهـارت أحـجـاره وتناثرت شظاياها على الأرض. احـدث ارتطام الأحـجـار والشظايا بالأرض حركة مغلقة.

أغـمـدوا أسلاكا نحاسية في الثغرة بعد تشـذيبها . أهالوا عليها المعجون الجبصي ذاته. انسجموا ثلاثتهم ووازوا الصرخات الثلاثية بصحون ثلاثية أيضا : النبيذ والأغاني ومواقعة خيال الظل.

الاستحكامات الرابعة

في هذه الأمسية بالذات اتسع الخرق في الأصغرين. مكالمة هاتفية واحدة نقلتني من الفردوس إلى الجحيم. استرددت الذاكرة واختليت بالأرض. أشرفت منهما مباشرة على التيه. وحدي في النفق الأرضي، ووحدي في سطيحة الحافلة الخضراء.

باريس أيتها العجوز المتصابية ! يا من تمسح عنها غبار الأسبوع باستدرار الإخصاب من رحم عشيقة يوم الأحد ! (أحلام اليقظة في كوابيس النوم تؤول جحيم "ميرابو" بفردوس "جوريس").

تذوب اللونية والعرقية في غرف الخدم بالطابق السادس وفي قاعات المحاضرات والتجمعات وتستعيد كيمياءها العضوية

بالمصاهرة والاحتواء. ما كان إنسانيا أصبح عمالة غير مشروطة، وما كان خصوصية أصبح أممية توضع في أقفاص للفرجة.

أحلام اليقظة هي السبيل الأقوم للوصول إلى الممنوعات في الظل. فهي كما تدخل البيوت الزجاجية من الغرائز، تقتحم البيوت القصديرية من التطلعات اليائسة المستفزة. كل ذلك من أجل ازدهار الطب النفسي واكتظاظ عياداته بالمراجعين. وإلا فباريس هادئة لا تتخدر بالسوداوية أو بالفصام. شيء من الثراء اللفظي على ركام من الجثث. (وعبرهما يتألق كتاب الحوليات ويتأله قولهم الفصل)

يذكر الجسر الحديدي بمسافر لا يلقي عصى التسيار. ينتهك حرمة المسافة خارج المسافة. يرمم ذاكرتيه بأصغريه : للسهو القلب وللتذكر اللسان كأنما الترميم تقاطع خطين حلزونيين. هكذا يمتطي لمعان الريح الجليدية المرهقة صهوة زمانين في مكانين ولا ينالهما من كل ذلك سوى أجر جهد المقل. (أينما وليت وجهك فتمت ثنائية الفطرة والآلة على ثنائية الحدس والتلقين)

Dante se servait de l'immortelle Béatrice pour confisquer l'humour édénique. Praxis humiliante. Châtiment stéréotypé. Précoce ironie du sort. O poète troubatour ! O derviche tourneur ! O auteur de ce génocide versifié ! Ne mettez pas de gants d'amoniac ! Comme toute œuvre à quotidienneté supraphysique, Eden (asile de poètes dociles)' toise cette tocata eschatologique. Ceux qui désertent la vigie aux tiges framboisées terrorisent la cité cicatrisante. Et dire encore que la chaste frondaison que promulguent les arbres de bronze annonce une ombre équivoque. Doublement cosmiques, doublement nudistes, ces deux ascètes envahissent la cité (emblème cubique et braguette ouverte) et meurent juste après leur mort.

يترك الغزاة تكة سراويلهم مفتوحة ويشيدون هياكلهم وعروشهم على زغب العانة.

ان أردت أن تتأنسن بالهذيان فاستسلم ! استأنس به وغابطه ! غازل نصوصه واحذر أن تقع في شرك التورية ! ترصده تحت قنطرة "الوادي الكبير" واحمل إليه مساهمة "سبو" المتواضعة ! كن له مدونة وسجل نزقه الغريزي واختلاءه بمرقعاته ! كن له الزورق والشص والأنساق والقرابين ! (جرعة نبيذ منسي تفك عقدة لسانه) قل له وقاوله وتقول عليه ! (قطعة جبن وكسرة خبز يابس تقيم أوده) تبرج له في الغابة وأنشده الأذكار والأدوار !

شوه الاندهاش ملامحه وبعثر لغته الملفظية. ترصده الحزن فتدروش وعاش لحساب المعدة والإجهاض المنوي. هو الكائن المتماهي في الغرفة والسرير والعزلة (من القناع الغيبي إلى التأويل المقموع، ومن الكائن إلى المصادرة على المطلوب)

- الغرفة وكر الهواجس.
- والسرير نعش الموت الآتي.
- هما وجهان من وجوه الإعجاز.

اختطف ثيابه من حمالاتها. لبسها متعطل الحواس. تجمع الكبرياء في دموع لم تعش لحظة بطولة. تلاشى في طفولته، أي اكتفى بالمطلق.

وسمعت طرقا رفيقا متتابعا على باب غرفتي. (رنين مقروء غير مفسر فتحت الباب. تمخض الباب عن فراغ بارد. حدقت في فراغ المعبر يمينا ويسارا قبل أن أصر الباب بعنف. تجشأت خيبة جديدة أخرى:

- قلق الانتظار.
- قلق الحوار المتقطع.

أكرهك أيتها الوحدة ! يستعر فيك الصدأ والصخب والتفرد والتوتر، وتتقلص فيك المادة. لم تصلي بعد إلى حرب الأشكال. احترقي واحترقي حتى نخاع الطينة !

كلهم في الريعان. كل أسرتهم تتجاسد. العرق اللزج السائل من العيون الأربعة والأفخاذ الأربعة. اللهاث الجسدي يعلن بشرية الإيقاع. كانوا في الريعان ولكنهم الآن على هامشه حيث يتناسل البرد الصقيعي من شقوق الحيطان. هي الحديقة المجاورة غارقة في الخرس الكآبة.

يكبر حجم الوحدة في خياله. يقتحم عراء الأجساد في الغرف الأخرى يتطفل على الخليلات ويتحذلق. ثم يتمرغ بمسرجية على غضارتهن.

حين أعدت فتح الباب لاستقبال نسائم المعبر الرطبة الدافئة، حجب ظل الباب ملصقاتي الجدارية فحجب عني عبير الاستئناس. وبالمقابل، كان الفراغ سافلا. ولذا لم يسقط في فخ اللعبة الكاذبة.

بقدر ما تستقطبه الوحدة يتبدد هذا المنبوذ السيخي يرفع الجنابة عنه في حوض المعبد الذهبي.

- أنت الذي طرق الباب ؟.

- نعم.

- لماذا لم تنتظرني ؟

- شعرت بحاجة إلى الكمون بعد الظهور.

تكون جسمه النحيل فوق المقعد بعد أن قمعته بلا مبالاتي. قاومت صمتي وقاوم غوغائيته. انفصلنا على أن يؤثث ما له وأن أدجن ما لي.

جاران بنفسيتين محجوزتين : هذا ينقع شبقه في زيت الفانوس، وذاك يلتمس العزاء في الاختيارين.

نبتت الشمس على رؤوس الأشياء كما لو كانت شجرة آس معقوصة. هو صرير الأجساد إذ يمتلك حقيقة المسرة يمتلك القطبانية ويحكم زمام البحر بالأمراس والأشرعة والصواري.

يحبوان حبوا على الأعشاب والحشائش الندية. يبتل الحذاءان معا فيفرزان حقدا منسجما ونتونة واحدة. يحلمان بالصحو وبالأعمار المرجانية. يتوغلان في أعماق المحيطات. يقتحمان المغارات. يتداخلان تداخل سيقان السابلة في الشوارع :

- بلاغة الملفوظ على الحصباء والزفت والكلس.
- هي فرصة نادرة.
- بل عملية شحن وإفراغ دائرية.
- سلوك كاثوليكي لا غبار عليه.
- بكارة العانة وعفة اللسان.
- ليس للطبيعة ما تقول غير البراءة.

أنت تتحسس الأرض وأنا أتحسس نبضك المتوتر. أنت في الأشياء والأسماء وأنا في فضلاتهما. أنت تكشف عن ترابيتك بالفطرة وأنا أسقط عليها عدسة المجهر. أنت وأنا منا الشيوعي ومنا الراديكالي ومنا الليبرالي ومنا السياسي المحترف ومنا المرابي الملتحي ومنا الصراف المدلس ومنا الإنتاج ومنا وسائط الإنتاج. أنت وأنا مد وجزر، غضب حاضر ورضى مؤجل.

يذرع الشارع بعينيه الساخرتين. من يتوقع أن تحرك المذابح البشرية القاصي والداني ؟ تتكفل المناشير والمظاهرات بأحداث الاختلال المطلوب وإذا وضعت الثورة رجلا في النفي وأخرى في الإثبات، كانت إحداها في خف صيني والأخرى حافية. كانت واحدة منهما فقط مع الوعد الإلهي الذي لا يطوله الاغتصاب.

سياج حديدي يفصل الواقفين عن القاعدين. أما قرقعة الصحون في ردهة الأكل وفي حوض الغسيل فبالنقاش نبدد جلبتها الصاخبة. تثيرنا الرؤوس الصغيرة المستديرة بما فيها من الشعرات المنفوشة. نهتم أيضا بأولئك الذين يعيشون زمنين ولا ينقدحون إلا في زمن واحد.

كيف أمكن أن يستمر التاريخ نسقا في العقيدة ؟ وكيف بقيت هذه مقموعة بالتأويل وبالمتشابهات ؟ نشحذ على حد هذه المناشير صوتنا. ندمر من خلالها طعم الحياة في خلوقهم. نرفض من خلالها المسخ والدونية. نحدب عليها. وإلا فمن البلاهة أن نغادر الجنة من أجل تفاحة ونكتفي بالانتشاء بما فينا من حيوانية وعصيان ثم نختار للسادية هنداما لائقا بها. هي شماتة أن نتقمص الأسطورة ؟

نرفع درجات حرارتنا بتقطير الدفء على هذه المناشير. نقول خلاصة تأملنا لهؤلاء الغابيين السفلة. فلم يبق بعد للمدينة من فضاء تختصر فيه تاريخها. هي الإبادة على صورة التخسيس. إننا بصدد الإحالة على لغة أخرى كلمتها الفصل نبتة برية. لذا نطالب بهذه اللوحة التجريدية إمعانا في تدمير الضعف والقوة. نحن في حالة دفاع غير معترف بها : الفلسفات اللون والفلسفات الخرافة والفلسفات المداجاة تستمني بعصر نتبناه، فهي وسيلتنا إلى هذه الإشاعات المتناسلة من دورة الكون الأخيرة.

هي فوضانا المنظمة. ولنا في فرنسا فيما وراء البحار الإسوة والإحالة. لنا فيها التنفيس والإحباط كما لنا فيها العملة الزائفة المهربة. ولما توحدت هذه المناشير بنا، قلنا إن ذلك من أرحامنا. كيف فاتنا ألا نختار لنطفنا ؟ كيف فاتنا الاحتلام من هذه الرواسب ؟

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم ما، قلت للمهندس اليهودي "أبيرجيل" ما قاله موسى لمشغله :

ـ أنا سقاء لا يقايض الجسد بالأجرة.

ـ لماذا ؟

ـ أخاف المقايضة وأحترم نفسي.

ـ لا داعي للخوف .
ـ بل هو ضروري في علاقة غير متكافئة .
ـ لتكن مشيئتك !

قلت لهذا الكتابي أقوالي وتغاضيت عن بهرجتي . تقاطرت كبقع نبيذ فوق لحية كثة سابقة لأوانها . وبما أنني لا أعادي السامية ولا أحابي العنصرية فمن الحيف أن أسدد الثمن وحدي . تدافأت بالاحتكاك بما بقي من جسدي الباطن وتركت الظاهر لسحابات الثلج تتلقاها الشوارع والسطوح والحيطان والقباب الأنيقة . كنت خرقة بليلة داخل ثيابي ، داخل ثناياتها المكوية بعناية . غلافا خاليا من الكائن الحي والأنسجة كنت . تباكيت أنا الآخر على القبرة التي دمرتها زوابع الخريف وعواصف الثلج وزفير الرياح .

(الإنسان هو المعيار الصحيح . من غيره على هذه الكواكب أجدر بها ؟ العراء هو المشكلة) .

هو زمن التعبير وزمن الارتياح . قطرات المطر على خز المعاطف . بلل الأحذية . بقع الوحل على حواشي الثياب . آثار الصراع على الأوجه الصفراء . دور الأزياء تصلح من الملونين ما أفسده الدهر . من الأرجل ما ينتن في المشي ، ومنها ما ينتن لدى الفصل والوصل ،

ومنها ما ينتن لأنه تكريس للعادة.

هو زمن الانتشاء بالجهات الست والسير على يسار اليمين. هو زمن الصخرة الجامدة الظالمة المظلومة. هو زمن السفور المقنع بجدلية العلاقات الكاذبة في صدقها. (لا جدوى من نظام مرعب لا في الجهة ولا في الحيز، وله بدلهما السدنة والمهرجون)

رائع يا صديقي ألا يألف الدرهم المضروب صرتك، ورائعة كذلك مداراة البسط بالقبض. لتنسحب من المهندس اليهودي! ولتعبر مع يوسف رؤيا الأبقار السبع السمان والسبع العجاف! ولتستنطق الأسلاك الكهربائية النحاسية! ولتخترق الخرائط! ولتنته إلى هيكل سيارة برصاء تأوي إليه! فذلك أرحم من دقات الساعة ونقيق الآلة الكاتبة والود المزكوم. قل لهذه الكاتبة المترهلة إنك قرأت تعاليمها من أظفارها اليابسة المقضومة! وقل لها إن نظارتيها الذهبيتين تفعل الرؤية بالنيابة. ثم قل لها إن في الفلسفة ما يكفيها من الهوس.

بحث ذائب عن دلالة أخرى للأشكال وعن ديباجة نظرية لمدينة فاضلة تتعرى في غياب الأجرة والآجر والأجير.

تعرف ذاته بأشيائها : القلم المذهب والتاريخ السامري والكتابة الآرية. فرادته بالأسنان الطحلبية، ومشتركه بالرتابة والفرح الصبياني بها. ذاك حال من يتذوق ذاته في ساحة Saint-André-des-Arts

الاستحكامات الخامسة

يوحي الليل بمزيد من الحماية والألفة. يتعتق الجسد تحت بطانية الصوف فيفرز اعترافاته اللؤلؤية ويقع في الأحبولة.

سلبية هي الاعترافات: إرادة تطهير الباطن وفرار من الشعور بالذنب. للعلاقات جماليتها ومجالاتها. تسترد البشاعة اعتبارها التجريدي. غابات الأرز تتلفع بعبيرها قبل أن تقوله، والصحراء تتقمص نفطها قبل تخفيض الإنتاج ورفع السعر. نفس الفرق الفاصل بين الهواية والاحتراف على لحظات الإشراق إذن أن تخطط لجمالية المغايرة. وعليها أيضا أن تختار ما بين التحنيط أو ما بين إحراق الجثة. سيكون الاقتراع علنيا.

ينحسر الظلام في الليل عن قباب المآثر وأبواب العمارات وستور النوافذ ومنعرجات الشوارع. تبيض سحاباته ثم تحمر، وهكذا في

حركة دورية إلى أن تسري القتامة في نسغ الأشياء. ينعكس الظلام الفاقع على الأرض المغتسلة بماء المطر، ويلمع لمعانا قزحيا. من سيد الظلام إذن ؟

غادرت فراشي وتلفعت بفرح الصباح الناعم. لم أمارس كالعادة طقوس التجسيم وإنما اكتفيت برموزي وعلاماتي وذبت في تجل سريع. أصبحت كل الأذكار التي تهزني مجرد انطباعات. على حدسي أن يعيد تشكيل الصحو وتنضيده.

يحبو فوق الدرج. تتسلقه هالة من البؤس. يتقزم في ياقة معطفه وفي أزرار سترته النحاسية. هي الوحدة تفعل فعلها فيما بقي من رماده. يعبئ حواسه ويصوغ ملحمة النقد الذاتي. يتدثر خياله الحافي. يتراخى وهو يغلق منافذ الضوء دونه. يلتهب العالم : تلك هواية تدمير النفس.

استيقظت على آلام شلل يسري في أعصابي وفي أليافها. ساقتني الاعترافات إلى مجال التلذذ بزمن تجريدي وانسحبت من مخدتي ومن الأشياء تبتدئ بمخاض، ومن الأشياء تترعرع في ذاتها، ومن الأشياء تنتهي في الحجم، ومن الأشياء قالبها الحركة، ومن الأشياء معيارها الوهم، ومن الأشياء خلاصها في أمعائها. (إما

أن تدون النطفة في الرحم وإما أن تدون في الأنبوب)

ينشر غسيله على حبال الباطن ويتزيى بالاحتمالات ويسافر. يشاهد خياله في مرآة مثلومة ثم يترك للدرج الكهربائية أن تعرج به من الأسفل إلى الأعلى. يفعل الفعل نيابة. يستعيره للزينة. يبقيه خارج الحدث يقيس مسافة الضغط والانحدار. يبتعد تدريجيا عن الجسد المغاير الواطئ يفعل الفعل مثله نيابة. يوازي الجسد في عملية العروج يتحرش به. يدهسه. كل ذلك والجسد المغاير مأخوذ بهذه الموازاة المفروضة. كل ذلك وعملية العروج تقول التواطؤ من جانب واحد :

- عروج طويل.
- ...
- قبل مغادرة المركبة.
- ...
- توازينا.
- ...

ينتقل إلى المواجهة. لعل الجسد ينتفض في ردود أفعاله :

- ملاح فضائي.

ـ بل أرضي.

ـ وحدك في المركبة ؟

ـ الآخر معي بالحجم فقط.

ينسحب من مسافة ارتعاشه. يريد البحث عن ردود أفعال أخرى:

ـ من الحجم تنبثق الأشياء.

ـ كيف ؟

ـ يتشكل الحجم من الذرات، وهذه تتفاعل وتنفعل بالمغايرة.

ـ بل بالانسجام.

يحس أن ردود الفعل تتنامى في جو من الاستئناس:

ـ المهم أن يكون للصوت صداه.

ـ وللصدى صوته.

ـ إسمي "أولغا".

ـ اسم على المسمى

ـ وأنت ؟

ـ علمني آدم كل الأسماء.

ـ سبحان من جمع العالم في واحد.

ـ سبحان من جمعه في الجسد المغاير.

يحتضن جسده ويحدد مناطق نفوذه فيه. يعثر عليه عن طريق الكشف.

يجرفه سيل من التخيلات. يتعرى متهجدا مبتهلا. يتشكل وينتقض. تمتلئ عيناه بسائل شفاف. ينتشي على البعد. (كيف يكون حاله في كثافة الممارسة ؟) يتوحد في مجموعة من الحدوس العابرة.

ارتبكنا في خضم هذه الخرافة. تضخمنا. تحذلقنا. تزيفنا. الجسد آثر الحدث من حيث وقعت الروح أسيرة السرد. شكلنا مزاجنا من العناصر. نجونا وحدنا من الطوفان. تذوقنا سعار الاستجابة في البشرة. نحتنا ثنائيتنا في سيقان الحور. الجسد آثر المنفى القريب من حيث تعلقت الروح بالمنفى البعيد.

اقتحمنا هذه الخرافة عبر سلطة الخجل الأول، غير أننا توغلنا فيها بخطوات وقحة. تآلفت الأقدام الأربعة فوق أرض جعلت لها مهادا وفراشا. انشغلنا عن باريس بحداثتنا. تلصصنا على بيوتها الواطئة بتلقائية وطفولية. امتلأنا بالحركة دون الحوار. نفذت ذخيرتنا من الكلام.

الاستحكامات السادسة

تتحرك الرطوبة في عظام السيقان .

لحاجة البشرة إلى البشرة .

وحاجة الصدإ إلى الأديم الأملس .

تتناسل الكآبة من اشتعالاتها .

تولد الرغبة في السر ولا يولد السر من الرغبة .

إن في هذا لخلاصة للجانب الآخر من المعرفة

تتدفق الرطوبة من سلطتها .

يعجز الصحو عجزه الذاتي .

فلا هو مسافة ولا هو حصار .

يتمسك الصدأ بحقه في الكسب والجبر تمسك الساحل برئيته : البر والبحر. تكتب الكآبة تعاليمها في العلامات المطروقة والرموز العذراء.

تؤكد أن المحو كشف وأن الإحاطة حجاب.

ولما يقف السر من الرغبة موقف اللذة من حجمها في زمن يتشكل من مكانه، تقف الرغبة من السر موقف الحجم من لذته في قصدية الخطوة وفي تدجينها على أن الطريق المشترك كثيرا ما يقصف تعاليم هذه الطفولة ـ الخلاص يقصفها من متاريس اللغة.

ينقضها كما نقض البونيقيون حروبهم المنتصرة بالمقطع الأول من كلمة واحدة. والسبب أن التاريخ مركوب لا راكب. (تلك حال المهرة العاقر) مركوب باللاهوت وبإعادة النظر في الصيغة.

ولذا فالطريق المشترك إذا أنتج ضوءا شاخصا ونسج أسطورة من جهة ما يسأل ونقضها من جهة ما يجيب فهو في حاجة ماسة إلى من يقلق راحته.

توازي السلطة ساكنها ويؤجل اندحارها إلى ما يناسبها من الأوقات. تنتج السلطة نفسها ثم تنخرها كالأرضة لتنتجها من جديد في حركة دورية. يتقاطع الطريق المشترك مرة ويتداخل أخرى وهو في كل ذلك حجم وكتلة. يقف التاريخ وراء الفعل لا أمامه: هو مسمى وليس حاميا. يشهد التاريخ ضد جميع الذي يقلقون راحة المرئيات دون أن يحتجب.

أمام الباب انتظرتها حتى تصلح من شأنها. أمام الباب تآكلت

حواسي. أمام الباب داجيت الطيش بالورع. أمام الباب سميت هذا الكبرياء المضغوط. أما الباب تحفز الأرق الروحي. أمام الباب سقطت الحضانة والنفقة عني واستقرأ الكتبة الشروح والهوامش البيزنطية التي حصنت نفسي بها. أمام الباب تحسست باليد ما واقعته بالرؤيا. أمام الباب كان للمسرة حضورها الواضح.

لا يعجبها أن تغلق دونها الأبواب. تحسب اصطفاقها اقتبالا غير ودي. تنفق العاجل والآجل لقاء مسرة آفلة. ترمم جسدها المتبدد وتبعثر التشنج في روحها. تطرق ولا تصمت. تعطل الذاكرة ولا تلغي الهذيان.

- أنا ثالثي.
- بالعادة أم بالذوق ؟
- بهما وبالميراث المفتوح.
- كم انتظرت حتى حصلت حصتك منه ؟
- دهرا كاملا.
- أنت إذن في مقام القطيعة !
- اقترحي علي شيئا يحميني منها.

ـ أنا بروتيستانية .

ـ بالعادة أم بالذوق ؟

ـ بجغرافية الإكليروس .

ـ نجوت إذن من طاغوت الإيقونات ؟

ـ بالتقية وبأشياء أخرى .

ـ إذن توقفت عند تقاطع الطرق !

ـ لا بل عند الناصية .

لا يتقزز أخوها من الفكر النقيض، للكلبيين بذاءتهم ـ جبانة الكلاب في "بوبانة" ـ وللرواقيين رهافتهم ـ حد القانون يقتل في غير جرم ـ فأين إذن "نقد العقل الخالص ؟ بل يسعده أن يحاور الواقفين منه في الضفة الأخرى ويجادلهم بالتي هي أحسن .

ـ أنا ابتداعي .

ـ نفس الداء يوصف للدواء .

ـ الذات بين النسيان والتذكر .

ـ النسيان خواء والتذكر تأليه وتنزيه .

ـ هي العودة إلى حضارة الفلاحين والعمال .

ـ والقتلة واللصوص أيضا .

ـ الكل إنتاج وإعادة إنتاج .

ـ أنا طوباوية .
ـ ومن طوبى إلى التفاحة .
ـ ليكن فأنا سهلة الإغراء .
ـ وسريعة العطب .
ـ لأني أسابق ظلي .
ـ عند القيلولة لا غير .

تعلم الأسماء الآدمية . آخي بين مكامن العطاء ومظان الأخذ . نحت قاعدة التمثال . شاهد قروح التاريخ . شهد ضد البتر الذي في سيرورته . اطمأن إلى أن القشعريرة الخلاقة لا تزال فاعلة . رأى فيما يراه النائم أن بدائع هذه النهار من بدائع الدهور .

الاستحكامات السابعة

C'est le moment où fleurit tout amour contractuel. (du texte au conflit) la réciprocité n'est savoureuse que desservie. Nœud et délit, cet amour rituel différemment unifié, passe d'une plénitude à une autre. Toujours au détriment d'une évacuation. Toujours au détriment d'une corruption. Les deux brandissent, chacun d'un bout, le "Méaculpa".

ذريعة النجاة من أرض غير الأرض : التلوث والعدوى والجلبة والقحط.

ذريعة التواصل مع أرض هي الأرض : أعمدة الكهرباء والمسلات المسروقة وعصارات القهوة وفحيح الآلات.

خطونا وخطونا ولا تزال بعيدة محطة القطار. كان بعدها سبيلنا إلى الاندماج : "إما أن نرحل معا وإما أن نمكث معا" . خطونا مع النباتات التلقائية. تواترت لزوجة الندى على كواهلنا. تلقينا الصقيع وأملينا شروطنا على هذا الظرف العصيب. استسلمنا إلى عملية الشحن في العربة. تعبنا من زفير الغرور والكلمات المعجمة والتصابي والمقاطع الخشنة والأصوات السائبة. جلسنا في مقعد خلفي تحسبا لشرارات الفضول : على هذه الأرض سنعيش، ومع هشيمها سنحترق" .

خرجنا من العربة قبل إقلاع القطار. ودعنا أنفسنا. تقاسمنا سخطنا المكتوم على هذا النضج المبكر. أدرنا ظهرنا للطريق الرئيسي. تفيأنا ظلال الدغل الرمادي. كشفنا عوراتنا بالأشعة البنفسجية.

الاستحكامات الثامنة

تدخل الغرفة عصر الأنوار الموسوعي. تشير ملصقات الجدار إلى لحظات الإبداع. تبدو حمالات الثياب في الدولاب مشانق علقت عليها كواهل بدون رقاب ولا رؤوس. تندفع الحرارة نحو العمق. تتأود المسرة في زوايا العاصفة. يسري الصباح البني في نسغ المرئيات. تدخل الغرفة جحيم الفطرة.

في ردهة الاستقبالات أعمل أيام الآحاد. أرد على المكالمات الهاتفية. أتحقق من هوية الزوار الأجانب. أرشد الطلاب إلى التعايش في ظل قانون المواطنة الأممي. أمازح المتكلمات عبر الأسلاك. أشاغب عليهن. أتندر بهن أطاعن أصواتهن من قلعتي الحصينة :

- ألو
- من تريدين ؟
- الغرفة 421.
- ابحثي عن صاحبها في المحجر الصحي أو في مستودع الأمانات!
- أليس هذا محجرا صحيا ؟
- للذكور فقط.
- Xénophobe va !

لاحظنا معا من ردهة الاستقبالات أن الشفافية في الزجاج وليست فينا. قذفنا العالم بالحجارة على أمل تفجير زجاجيتنا. ضغطنا سوية على الأزرار. أوقدنا الرنين في الأجراس. انطقنا الأسلاك بالحكمة.

تواطأنا مع اللاءات فقط. عببنا "الجاز" من منابعه السوداء المهاجرة.

غزونا مدار السرطان. اعترفنا أن التقويم القمري منا غير أنه خارج النقطة والخط في الروزنامة.

حدثني من يوثق بحديثه أن للأمراء حاشية وأن للحاشية منظورا ينسب "الحلاج" إلى نية وراعية كما ينسب "الجنابي" إلى غضب

أمـامي، ويرجع ذلك إلى طول الليل وقـصـر النهـار، وجـوع امـرأة تفصل في المظالم على شبع فتى يقيس عراءه العمودي بالمتعة داخل الخلوة وبالمتـعـة نفـسـهـا. فلكل امـرئ مـا نوى ومـا غـضـب، إلا الاحديداب فولاؤه، شماتة طرفين في طرف واحد.

تقدم لي صادفت نهارا عجوزا بعيون ثاقبة وحجاب دامس.

فوضاه أنه زوبعة ثلجية واستقراره في أنه رغوة دافئة.

غير أن الليل بطبيعته التراثية لا يصادف ولا يصادف، لأنه يقف في موازاة نقيض يستبيح فوضاه ويهدر دم استقراره.

ويحدث أن صخرتين تتزاوجان بطفرة وتتعريان مما يوحدهما.

تتوحدان منفصلتين بالمهادنة حينا وبالمواجهة حينا آخر.

الانخراط في هذا الليل التراثي أدى إلى اعـتـبـار "بركـة المتـوكـل" بـحـرا، وإلى تـرجـمـة سـيـوف الـهـنـد مـغـمـدة بمزاوجـة حـادة بين الصـحـائف والصـفـائح. ولـم يحـدث أن أقـام أذكـى المتـسـامـرين الحـد على هزل بجد أو على جد بهزل. (الاسترداد على الإسقاط) كـمـا لـم يحـدث أن وصـل القـائلون عن الخـمـر إلى ما تقوله الخـمـر. (لعلعـة النشوة حد لا يتجاوز) كما لم يحدث للآتين أن وصلوا. (العجيب يحتفظ بالانجذاب والغريب يحتفظ بالجذب)

والانتشاء بفوضى واستقرار هذا النهار التراثي (النشاز عزف منفرد والرطانة مهرمنة) لا يفعل الانسجام لأنه ليس طفرة بل حجابا منه يولد الوعي بجمالية القبح ميلاده الأول، ومنه يزدوج الإحساس بالعدسة وبمحيطها : فيها الشفافية وفي الشفافية شفافيتها. فيا أيها الشاعر الذي تعقب الفتات على صدره بحدس اللمس وبلاغة الفطرة، ـ لأن عدسة "المعرة" بك صقيلة ـ سم لهؤلاء الأعجام زريبة ومذودا ! فإن نطقهم غير النطق وإحساسهم غير الإحساس.

ممتقع هذا الليل وممتقعة بصماته. ولولا الحلم لتبرص وجه نهاره. هذا وتتكامل الخلاصات : "عسيب" يدخل محاقه الأخير، وشعرة المفرق تتنبأ، وصاحب المفرق تكذبه الخيل والليل والبيداء، ويصدق من حيث أنه وضع في حظيرة دجاج، و"الكوريدا" تحيي ما قتله "الحرس المدني"، والأنف نفس الأنف تلقى إليها التحية مرتين، يحدث كل ذلك في النصف الثاني من نهار ما ودون أن يستبدل العرض بالجوهر تجد الإمارة والحاشية نفسيهما في الخلعة والدينار والجارية، ويجد الطرف الآخر نفس الثالوث في بعدي الوعد والوعيد :

يا حسرة ما أكاد أحملها

أخرها مزعج وأولها.

أتأنسن بالتشكيل لأن ألوانه تتماهى بالمزج الأول وتفهم بالمزج الثاني :

مزج النظر بالذاكرة، ومزج الذاكرة بالتلقي، ومزج التلقي بالخيال المتعثر في وقوعه وفي إيقاعه. ذلك أن التكعيبية وقبلها الوحشية عثرتا على تقاطع مقولتي الناتئ والضامر حيث يتنكر الاشتهاء إلى الانسجام أحد أصوله التقليدية، وحيث تسن شريعة أخرى ناسخة منسوخة هي الفوضى. فوضى تكبير التصغير وهو فخفخة، وتصغير التكبير وهو تذكير ببعد سيأتي بالجمالية لا بالتجميل.

كثيرا ما تصيب العين مع "ميرلوبونتي" وهي تضع لطخة ما في السياق كي تتآخى الأداة بالأداء والفضاء بما يحتاز فيه.

وكثيرا ما تصيب الذاكرة مع "باشلار" وهي تتوج الصورة باعتبارها أسطورة شخصية فتضعها على رأس الهيكل وهو فضاء وإطار في نفس الآن.

وكثيرا ما يخطئ التلقي بوضعه الظل مكان انبثاق التعتيم حجبا لشيء عن شيء، وبفهمه اللون خاما وهو حصيلة مزج أي حصيلة بذل على بخل، وبتعريج الخط خطيا وهو حد وفاصل. ومع ذلك،

فكثيرا ما أصلح الخيال خطأ المخطئ بإصابة المصيب لأنه رأس حربة به يتكامل الحدان النقيضان.

وإذن فالتماهي بالمزج وجود فعل، وهو بالفهم تواصل ولذا فتعني الماهية توليف الكتلة بالكتلة المغايرة إنشاء لحالة ذهنية حينا وبصرية حينا ثانيا وذهنية بصرية حينا ثالثا. على حين أن الفهم بصري فقط. وحين يفهم البصري بالذهني يدمج اللغوي في اللالغوي فيصبح النظر قراءة والقراءة قراءات.

وأتكامل بالموسيقى لأن أصواتها تتماهى بقوة التوليف الأول وفعل التوليف الثاني، أي بالطفرة من الأفراد إلى التركيب ومن الرنة الخام إلى النغم المنسجم : حركات السمفونية في التعاقب أو في التواتر أو في الفجائية أو في الاستئناس أو في الاستيحاش. و"الجاز" الهادئ المهرمن في وضعه الأوركسترالي المريح، في ازدواجية النفخ والوتر، وفي ثنائية الترداد والتمويج. و"الغناء العميق" يربط "رقصة النار" بالموشح، والموشح بنشاز تقام حوله المناحة.

وعليه، فالتذوق بالذوق يتكامل بولادته المنسوبة إلى السماع وهو إصغاء، وإلى الرؤية وهي رؤيا في بعض أحوالها. لأن هذين التماس يشف حتى لتبدو المرئيات معه مجرد إطار لمرئيات خفية يفحص عنها بالحدس. وأوحد بالشعر بين الأنسنة والتكامل. فهو

رأس الحربة وبها البدعة والابتداع والإبداع على نسق مختلف في الصناعة متفق في المصنوع موحد في الصانع السبب لا الواسطة.

فمن الألواح السبعة إلى المراثي البابلية، ومن "المزامير" إلى "كتاب الطواسين"، ومن جنون الانتساب إلى جنون النسب في "المثنوي" والمتنبي والمعري و"الكوميديا الإلهية" و"الفردوس المفقود" وأنبياء الشعر الفرنسي المحدث، أرى نقصي نقصا وأنا قادر على التمام، وأمشي على الأرض اختيالا وأنا قادر على انتزاع دمي الآتي من أحشائها، وأضحك من جهل هذه الأمة قبل أن تضحك الأمم من جهلها المركب. كل ذلك بالتنبؤ لا بالكهانة، وبالحدس لا بالتضمين.

أتدري أن "التنوين" رنة حاقدة لا تتأفف من ذاتها بل من النسق وطفرة المعنى العصي في ذهن الصانع والمصنوع والصناعة ؟ هو قطع واقتطاع لتنغيم المادة، أما الربط فهو ارتباط السبب بمسببه والشيء بتوالداته. على حين أن الترداد توقف النفس من أجل استعادة الخفقان المتقطع. وكل ما يقال عن علاقة الفطرة بالتجانس والجرسية ليس إلا محض اختلاق. إنها من الرحابة بحيث لا يعرف لها مدى. بالحذق يعرف أن الدلو المثقوب يقطع نصف مسافة البئر عامرا بالسائل الحي ونصفها الآخر عامرا بالفراغ الأجوف. هذا وإذا زفض

فراغه، يكون عليه ألا يبرح نصف المتاه. النصف الباقي في ذمته لا يزال.

أتدري أننا انتظرنا بصمتنا أن يخرس هذا النقيق الذي لا نسب له في المعرفة ولا في الذوق ولا في الأداة ولا في الممارسة ولا في شحذ العين الباصرة اللاقطة ولا في هرطقة النافذة بغير طلاء زجاجها كل يوم. ولما سكت عنا النقيق سكت عنا الغضب وقلنا نسبنا ولم ننتسب ؟

قبل أن تصدق الجودي والسفينة أسأل نوحا عن ملحمته وجلجاميش عن أشعاره. إنك إن فعلت تجد الوحدة في التنوع والتنوع في الوحدة. وتجد الوقت يحاصره الوقت. وحين يتم الفهم خارج المباهلة يولد الوقت اللاوقت، ويصبح المحتمل خيرا من الراهن يغدو ويروح : الذهاب باتجاه العمق والرواح باتجاه السطح. يخترقك المدى بالنظر الأول من حيث تشكلك العناصر بالنظر الثاني. اختر أن تكون فاعلا أو منفعلا.

يقع الجحيم في منتصف طريق الفردوس. المفارقة واضحة : رائحة الدولار والقبعات الخضراء والرقيق الأبيض في موازاة صلاة

الغائب تقام على أرواح الذين لم تغوهم التفاحة لأنهم تشاغلوا عنها بالمسارح ومملكة التشكيل والفرشاة والألوان وفضاء الكتابة. وإلا فتلك مسؤولية القذى الأنيق في العيون المتصابية والتركيبة الجسدية العجيبة وقانون الإغراء.

تصفحنا دليل المسارح. استرعت انتباهنا مسرحية عبرية تشخص على مسرح "سارة بيرنار". انصرفنا عنها إلى المسرح المدور حيث تعرض مسرحية "أوسكار وايلد": المهم "أن تكون مخلصا". دونت ما يلزم عنها من المعلومات في ورقة عادية، ثم طوحت بالدليل إلى صفيحة القمامة.

كان المسرح من الاستدارة بحيث وهبنا صميمية لم نألفها حتى ونحن في الغرفة. وكانت لهجة الممثلين المنسقة تصل أذاننا طرية مراودة. كنا نحيط بهم في حركتهم وننفعل لشاعرية الرواية وبؤس الدلالة. كانت الهوة سحيقة بيننا وبين عصر يقرأ الدموع من تركيبها الكيميائي. بين فعل اللذة وبين تشهيها.

- رواية مسرح "سارة بيرنار" عبرية.

ـ ليكن ! أول المعرفة فضول.

ـ وآخرها غوص في الوحل.

ـ نظير ما يغوص كل ثقيل.

ـ ليس معرفة أن يختصروا التاريخ في لحظة تبرير.

ـ كما أنه ليس معرفة أن تختصروه في لحظة بكاء.

ـ حائط المبكى لهم.

ـ ذاك طريق مشترك آخر.

ـ صلبوا المسيح.

ـ شبه لهم بجالوت.

شاهدا على مسرح "لاهيشيت" رواية "فيديريكو غارسيا لوركا": "يرما". تفقدا في شعريتها غذاءهما الأراضي وتنابزا بالعقل في الأرحام. ثم شاهدا بعد ذلك رواية "سارتر": "نيكراسوف" على مسرح "أنطوان" تجرعا غصص أوروبا التلفيقية وتقبلا صيغتها الاستسلامية الجديدة: (النكوص الفطري وتلطيف الأجواء بجدلية أفاقة) استمرا في عملية البناء الروحي أسبوعا كاملا ثم افترقا على أن يلتقيا في المكاشفات حيث الكتابة سيدة العلامات.

لن أضخم العواطف. ولن أتوهج في سعار الخيال. إنه لمن باب احترام الحبر والورق واليراع ألا أسقط نفثاتي على تخمين سائب. لذا فإنني لن أكتب لها إلا التفكير الخالص حيث الكتابة سيدة العلامات.

سحب طافحة. إفراز دخاني. فحيح مشيأ. سقوط في الحداد. التأبين خاتمة الحيوات المسروقة. مارق هذا التأبين يرث المجد ولا يفعله. عليه اللعنة هذا التأبين. هو ذلك الكتاب المسطور لا يعثر على ذاته إلا في الرهان. لا يتقمصها بل ينزل عليها ضيفا. هو نفسه الشحوب المخيف في البحار وفي المحيطات. هو جبروت وجهة النظر المغايرة.

عليه أن يتوحد بالسفينة والموج. بالزبد والعباب. بالجزر والمرافئ. بالبحر والكتابة العذراء. عليه أن يراوح ما بين لحظة الانتشاء وما بين لحظة الأفول. عليه أن يستحضر أرواح الأموات نكاية في الأرض وفي جبروت وجهة النظر المغايرة.

II

اليوميات القسرية

1955.10.8

قرابة الدم وليمة

وقرابة العرق خروم في المخطوطة.

الشيخ واجد في الصبوة طينته الأزلية

مسترد عجزه

متسرب كالطفيليات إلي ما وراء العظم.

الهواية والاحتراف

معا في ميزان الذرائع

وللقوادة شعابها العسكرية

ولها كذلك العالم المثال.

الشيخ يحب الأطفال.

ويكره إنجابهم

هم سد يقف دون مجده

ومع القسر يفضلهم كالنبتة البرية.

1955.10.15

أكثر شعرية الحزن في الهُدوء والإطراق :
السلفي للحظات الزائلة
والراهن لفجائية الفرح والنسيان
ومن ثم يتصل الشلل أوله بآخره .
الشتلة شجرة حالمة
والشجرة مجرة إبداع
أما ما ينحني منها فأغصانها النزقة .
تموت الشجرة حين تموت واقفة
تحاكي لغو الريح
بطفولة غيلانها وأساطيرها السعفية .
هي الموسيقى بالقوة وبالفعل
بالصوت وبغيره
بالنقاهة وبالانتكاس .
الذؤابات المتوجهة في الضوء الليلي
تستف المطر الاستوائي ولا تتعرى لغير محارمها :
الطيور وإيماضة الكواكب .
تتقبل الشجرة هبات الوحل الممزوج بعناية

وتنقل عدوى الخصوبة إلى الجهات الست .

(هذا وتقبلوا خلاصة النفحات المجنحة هبة من "رامبو" ومن السورياليين)

1955.10.15

جاء في الأخبار أن من كتب حقيقته على بردية عذراء وأضاعها إبان نضوجه العاطفي المبكر، لم تعم له عين إلا إذا خالف المواضعات الاجتماعية .

L'X… istencialisme, "on a ouvert une information contre X. X, c'est moi". (J.P. Sartre).
Soit X le connu aux mains sales à la nausée. L'être (anonyme) et le néant. Les Je sont faits. Son existence précède les sens interdits. Cause du peuple fait l'X culpa. (Le Canard enchaîné. Mercredi 3. Juin. 1970).

بعد عشرين سنة من مولد هذه الفاكهة المحرمة "البروسية، مطط الغثيان الفرنسي قراءته للآخرة، وتعمد أن يجعلها قراءة قاصرة تعطيه المهلة الكافية لكي يفهم. يتأخر فهمه كل دورة فلك مدى عشرين دورة . وكالشيوخ الراجعين إلى صباهم تتأخر مراهقته . ولذا يقرأ الموسوعة طردا وعكسا كما لو أن عصر الموسوعيين هو الأزهى من بين عصور الولادة بالقيصرية .

1955.10.19

الشروح تقطيعات تؤيد زعم المسافة تقصر عن أخرى. ذلك أن فئران سوق الخضر رفضت الرحيل مع سوق الخضر يوم رحل، لأنها تدين بالولاء إلى جغرافية حية لا تتناسخ، ولذا تمسكت بمقولة الفضاء الأول، إذ الدلالة عشق لا تبعية.

للفئران حق المواطنة كما لها حق التعايش السلمي مع ضحاياها. تعلمت الفئران أن تتكئ على مجد مسكوت عنه كان عليها أن تبكيه كالنساء وأن تحميه كالرجال. تقاطعت اتجاهات الأسهم حين اختار كل منها مسارا ليس له.

تأبطت شرا من الأغنياء وأبطته خيرا للفقراء موازاة للذيول بالأجنحة. على أن الحل كعادته يأتي متأخرا وبناء على اقتراح طائش. إن وجه العالم القبيح ذاك يحرك بخار الغرائز الآسنة.

لو أمكن للفئران العجماء أن تعرب لعشقت بالنطق نطقها القارض يزري باليسار من اليمين وباليمين من اليسار. ومن المؤسف أن الجحور مؤسسات خشبية كانت. ومن المؤسف أيضا أنها ثغرات إسمنتية أصبحت. لذا فليس هناك من سد يتفجر ومن مأرب تستجير بصنعاء لابد منها. على الفئران إذن أن يعودوا إلى رحم الأرض عجينا وطمى وبراكين.

1955.10.26

اقرأها حروفا كما تقرأها جسدا وبادهها بالراهن كما لو أنك ما قطعت مسافة ولا خضت بحرا ولا ارتبكت قد ماك في متاهة. الفرق أن الكتابة بالقيصرية تاريخ، وأن الكتابة بالجسد تأريخية هذا التاريخ. يجلس الحرف فوق الدست السعفي وظله في ظله الخصي، ثم يستوحي الشكل الهندسي من الأهرامات. (لاحظوا أن الزاد والمسافر اتجاهان متقاطعان يجتران الأزمنة الثلاثة دفعة واحدة متى ما نفذ الزاد) من الوعاء الواحد اقرأها وأطلق علي جسدك رصاص النسيان!

الأوراق الميتة والعشب الندي والقزحيات والصنوبريات والأبحر السبعة ودون هذه الكائنات قطيعة التطبيع.

1955.10.28

العقل بين السلفية والحداثية

أضيع المدعوين إلى المأدبة :

مبدأ الكمون بمبدإ الظهور

والغيبية بالتجلي.

وإلا فمعنى الدعوة أن تهضم الحنطة الأفلاطونية

بخيارك أنت.

لماذا يستعصي السالب على الموجب وهما كالفطر المجهري

بالنسبة إلى العانة ؟

لا أحد يتآكل بحمى إخصابه

بحيث تأتيه اللوثة وترحل عنه البداهة.

(يتمتع الحريم بشفافية الكسل فيتبادن بما لا يحسه)

ومن المحيط إلىْ المحيط

يتفتح صدر الأجرام في انتظار سقوط الخريف

يوم عيد الأضحى حيث يلغي الموظفون والعمال والمياومون

أعمالا مؤجلة وأخبارا مترهلة مفكرين فيمن افتدي بالذبح العظيم.

إنما أين أولئك الذين يثخنون طقوس التجول في الغابات العذراء

عراء وتعرية ؟

1955.10.30

دونت الكثلكة تاريخها في محاكم التفتيش. غصت في آن واحد بخمرة الرب وبالمن والسلوى في المائدة الإسرائيلية. اشتهت أطباقا لا تتشابه، وحرمت تعدد الزيجات. ناهضت هاجس الغريزة بحضور الإشبين. أوصت خيرا بتراتبية قابيل في هابيل مسرودين وساردين هلاميين.

"أرجل سوداء" باحثة عن الذهب في المغارات محمية الظهر بالمخبرين والعرابين. صحف لسان حالها يتجوهر بالتبرير كي يدخل في العقد الثاني من تاريخ الفراسة.

تأويل الإيقونة بألوانها.

مسألة المائدة بما يقيم الأود. (الكالسيوم الزائد عن الحاجة) مناخ زريابي وحبوب مهدئة. (صدمة الخطيئة الأولى وصدمة التكفير عنها) كل هذا والله خلق العالم على صورته خلقا متكثرا له شجرة نسب خاصة :

إبراهيم في هرمس المثلث بالحكمة وهرمس في يوسف النجار.
خير أن يتخلف الشم عن حاسته من أن تسبقه،
لأن تسلسل الأحداث تقطيع في الحقيقة لآحادها.

1955.10.31

في عطلة عيد القديسين
تنبجس هيولى الأشياء من صورها
ويبدو الفقر نظيفا والغني قابلا للحوار
على أن النبرات متقطعة هناك
ومتحيزة هنا.
لذا فقل لهذه الطفولية يؤرقها هدف واحد
أن تحيط بالجهات الست !
فما يبقى من الكتابة حذلقة.
قل لهذه الموؤودة أن تتبعض !
قل لها أن تعي كيانها
دون أن تنقلب إلى جنس نقيض.

1955.11.5

يصعد من القعر.

من الرهبنة ينحدر.

يغازل من يلقاه بمنطق الطير

هذه هي بشرياته،

وتلك هي احتمالات التكيف مع بيئة تسير قدما نحو التصحر.

يبعثر رذاذ ريقه ويغضب.

يفتك بغازات بصاقه.

1955.11.8

تصرف الجيش الفرنسي في "وادي زم" تصرفا مخجلا بما قام به من مذابح ذهب ضحيتها آلاف من أبناء هذه المدينة. حملت الأوساط الباريسية المأذونة مسؤولية ما وقع إلى فرقة "اللفيف الأجنبي" مدعومة بالأرجل السوداء" معلنة أمام العالم براءتها. وذكرت نفس الأوساط أن "أندري جيد" الكاتب اللامع سيقوم بزيارة المغرب كي يتذوق نكهة جسده، وكان تعرف عليه صدفة في عربة قطار يربط شرقه بغربه.

"اللاأخلاقي" يتطهر بماء "مدرسة الزوجات" ويعجل بالتآم الجرح وتأكيد نجاعة المرهم.

من أهل المدينة من احتفل "بالماضي البسيط" واقتنع، ومنهم من لم يقتنع وأدمن تسلق "الدروب الصاعدة"

أيها السادة!

ليكن في كريم علمكم أن هذا الجسد حقيقة يؤرخ لها وبها.

1955.11.10

إذا لم تقولوا لاءكم قلتها عوضا عنكم.
الحصار والتهمة والإدانة
متساوقة مع النظر والفعل القاصرين.
وإلا فالإهانة واحدة :
الجرح الميت.

1955.11.11

لجيلنا المعاصر هندامه الخاص :

تنورة بيضاء فضفاضة،

صدرية زرقاء

شريط أحمر تحت الجبهة وفوق الحاجبين.

(ثلاثية لونية بقرطين ورديين وعرف ديك)

وكما له هندامه له شعاره الخاص :

مساواة نقائص المفرد بكمالاته.

حرية تأويل نقائص المفرد بكمالاته.

إخاء نقائص المفرد لكمالاته.

(ثلاثية تعاليمية بقرطين ورديين وعرف ديك)

وأينما وليت وجهك

فالألوان تعاليم

والتعاليم ألوان

لكن المساحة واحدة.

1955.11.15

يغرق المسرح الاتباعي المشاهد في مستنقعات الفصاحة واللغة العروضية، من حيث يلقي به المسرح الطليعي في أتون الإبداع.

كان الاختزال ولا يزال لغة العصر المثلى.

1955.11.29

سيموت لا محالة وعندها سيستقبل كما لو كان ميتا في غير ذاته. وسينقل من منطقة التحفظ فالتردد إلى مجال الارتياح. وسيتخذ من الحرية ستارا يحجب عنه حماقاته البريئة.

1955.12.2

قرأ في السير أن "نابليون" كان يضاجع أخته، وعنها التقط داء الزهري لماذا لم تظهر بقع الداء على صورته المسكوكة في قطع النقد؟ لعلهم اهتموا بمرض بطولته من حيث أغفلوا مرض فحولته. أليس أن هذا يتطلب تعويضات عائلية باهظة لا تتحملها الخزينة ؟

أما أنا فلا امسك القطع النقدية تلك إلا بقفاز معقم.

يحمل الملونون عارهم مسكوكا على صدورهم وتحت قبعات القش. ويحملونه في أوراق التعريف. إلا هذا الطاغوت فإنسانه بين فخديه.

ألا ليس بعد هذا الاستفزاز إلا الفجيعة.

1955.12.2

الإرهاب وسيلة المهمشين إلى اقتحام بؤرة الصوت.
هو إذن يقظة وجود متأخر.
ولحكمة تنسج العناكب بيتها الأوهى
وتنطلي الحيلة على الدلو والحبل
وأحدهما فاعل الصعود والنزول السيزيفيين.
ولحكمة أيضا تختل أجهزة وأنسجة الخائضين في المتاهة.
أيها الحالمون!
من همشته أحلام يقظته
فليفسر سطحها بعمقها
وله من ابن سيرين الدعم التنظيري!

1955.12.15

على الذي يمارس التوثيق أن يضع في حسابه الخيبة والإحباط. ذلك أن الارتجال خلاصة نيئة لعالم في حالتي التشكل والفساد. عليه إذن وهو يلتقط صورة له من منظور شاقولي أو منحرف أن يغري النواة حتى تسلس قيادها للالتقاط. إذ من غيرها يحدد الموازنات ويجدول الديون !

1955.12.19

وقع "سير فانطيس" أسيرا في أيدي قراصنة البحر الأبيض المتوسط. وقبل ذلك كان وضع استراتيجية لمحاربة طواحين الهواء وفرسان الريف. وفعلا فإنه حارب في الوهم وأسر في الحقيقة.

والعجيب أن عدوة العربي أنقذه من عدوه الآخر بأن افتداه وأعاده إلى دوحة الإبداع. وبديل الاعتراف بالجميل قمع شهامة المفتدي وناسخها بفرمان شعري كما تناسخ الرغبة الذاتية كلانية التجرد. لقد قلص أبعاد الموريسكي.

أيها الشاعر يقسو ويتقلص في كل ما هو فجائي ! لك من لغتك

الوترية ما يثير إعجابي، ولك من فصامك الجسدي ما يثير حفيظتي. فتشكل في الصورة التي تقربك مني !

لك علي أن أحفظك عن ظهر قلب، وأن تجدني مرابطا في الغوطة التي شيدت لورثتك جيل السبعة والعشرين.

أيها القشتالي الأندلسي الذي أحبه شاعرا وأكرهه أسقفا ! على الشاعر فيك السلام وعلى الأسقف فيك وزرما أصدرته محاكم التفتيش من أحكام جائرة.

1955.12.25

تفادى "حمو الزياني" سقوطه في الحزن ولم الغربة من أطرافها. أطرى الفعل الناجز وانطلق في تحليلاته من النص الحاضر في قبلياته وفي بعدياته.

والواقع أن لغته حددت المقاطع ووازنت بين الغضب السري وبين شبكة رموزه. لذلك فلا غرابة إذا استغرق المد والإمالة مصوتاته، كأنه صاغها على صورة فعله، أو كأنه صاغ الواقع على صورتيهما.

"حمو الزياني" ينحت التأمل والعبء والممارسة.

كان إذا خرج على الناس فعل الرأي الجمعي بعد خطوة المشورة

والاستئناس برأي الراجح من العقول . ولم يحدث أبدا أن تواكل أو انقطع في رحم الأرحام : من المتاريس إلى المنجنيق ومن المنجنيق إلى الكمائن. أيها الناس !

إنما الانتساب إلى الجذور الحية الممتدة في العرق والدم والرحم.

1956.1.12

نحن نتقايض.

نحن نستدفئ بيابس الحطب .

نحن ننتجع مرابع الكلإ أنى كان الكلأ .

نحن نضرب الخيام فوق الفضاء الرملي وفوق أو قيانوس الكثبان.

نحن بدائيون نؤله العشيرة.

ألا أننا سعداء بحقيقتنا .

ومع أنكم فرحون بأقيسة منطق

"بورروايال" والموسوعيين والأنواريين

فإنكم سعداء بغير حقيقتكم

في ثلاثية الألوان والتعاليم.

1956.1.14

الجرس يومئ بدل أن يعبر أو أن ينفجر.
لا يستطيع نظامه الصوتي أن ينقل غليان الداخل
وإن استطاع نقل داخل الخارج.
يتكفل قانون السن بالسن بتحقيق الموازاة.
أما ما هو أبعد منها
فهو لغة اللغة
ودونها الفحوى وفصل الخطاب.

1956.1.14

وهذه قائمة بأسماء الذين افتضوا بكارة الحقيقة في نسقها الجزئي فلا تصوروا كشفوا ولا تصديقا اكتشفوا. ومع ذلك فإليهم يرجع الكلم الطيب :

"هرمس" صانع الرمز وهذيان التوطئات السوريالية.
"هيرودوث" مؤرخ الحقبة حوليات دون تعاقب.
الغزالي هاصر الإحساسات بدأ من البرعم الأول.

المجريطي مسلط الحرف على هرطقة الرقم.
ابن تيمية مناهض الغيبية في الدارين بالقلمين.
يوحنا الصليبي مصمم الجداريات واليقينيات الزئبقية
ابن ميمون مزخرف التوراة بالمنمنمات الإسلامية.
السلفيون وكلما قوموا أعضاءهم الشلاء ازدادوا تشنجا.
الحداثيون وكلما أنفقوا تضخمت ديونهم.
هذا ويبقى على سطوة الزمن أن تثبت السبق للسابق.
يتأوه جسد الجسد تحت وطأة جسد الروح. يتبادل الجسدان المركبان التقدم والتقهقر حتى ليبثان لغة واحدة لجميع العصور. درس الغراب لا يزال العمل به جاريا كلما فني الجسد بفعل احتياجه إلى لزوجة وصقيعية التراب.

1956.2.25

ولأن الإنسان مشكل من امتزاج العناصر الأربعة
فهو مؤهل للعيش في كل صقع وللتكيف مع كل طقس
لذا فتغيره بالنقلة في الزمان والمكان عضوي
أي معادل كيميائي لثنائية النشاط والخمول.

وما خرق العادة ألا تخلف المعيار بالوهم.
بالتأمل يقاوم الروحي الروحي
وبالحركة يتبيدق ويتباله
كي يختصر المدى في هيكل عربة صدئة.
رجاء أن يفرج المدى عن حقيقة غير ثنائية.
على أن من الطردي والعكسي ما هو عمودي،
إذ فصاحة "كالسيوم" العظام الحية من رطانة كلس القبر الميت.
المدى لا مدى له.
فكلما اتسع انفرجت عدسة العين لاحتضانه
منظورا لا ذاتا.

1956.3.17

الجزائري "بائع السجاد الجوال يفضح رثاثته قياسا إلى نصاعة بضاعته.

تصور أنه نسيٰ فضائله هناك وأتى إلى هنا كي يضع سؤالا واحدا بجوابه يسترجع

أبوته المنسية في لغة فرنسية يعالج يمينها فجاجته بحنكة يسارها.

ودون أن يعلم احترف لاءات "فيثاغوراس" :
اعتدى على الميزان،
وحرك النار بالسكين وقد حميت فيها مرة،
ولم يعمر كالخطاطيف البيوت،
ولم يلبس تماثيل الملائكة على فصوص الخواتم.

1956.3.20

لا خيار لك
ألا تنزل ضيفا على سجن la santé
أو على مارستان Sainte Anne

1956.4.10

هناك في باريس من تغويه التفاحة،
ومن يتأمل المسلات والتماثيل والإيقونات،
ومن يريق شهامته على أبواب المطاعم الكبرى،
ومن يستنكف التسول فيستجدي بعنجهية،

ومن يبحث في الأدب العاري عن تطبيع حرمانه،
ومن يعبر التاريخ على أحداث المسرح الاتباعي،
ومن يساكن ألوانه وفرشاته وبوهيميته في غرفة الخدم بالطابق السادس،
ومن يتمرغ بمخطوطته على أوحال دور النشر الكبرى.
غير أن جميع هؤلاء يلتقون في نقطة ما من شارع Le Quai-aux-fleurs

1956.4.15

صرحت رئيسة نقابة المومسات الباريسيات لإحدى الجرائد قائلة:
"أيها الحاكمون بفضل هراوات رجال الشرطة ! يا حراس الأخلاق العامة !
إذا لم تكفوا عن مطاردتنا والتضييق علينا في رزقنا فإننا سنفتح "ألبومنا" الوردي على مصراعيه. وساعتها لن تكون أحوالكم مع زوجاتكم مرضية.
أيها الحاكمون !

لقد عريتمونا مرتين" .

وعلق محررها الأخلاقي قائلا :

"تعيش المومس مع الحاكم حقيقتين : حقيقة المطاردة علنا، وحقيقة شهوة الامتصاص سرا" .

1956.5.5

تستتب سلطة النسيان المطلقة :

نسيان العلامات الأولى إذ تعلم بالقلم

ونسيان العلامات الأخيرة إذ يجف الحبر من المعلو .

ونسيان ما بينهما من رتابة الرياء .

من اهتصر التفاحة الحمراء

لا يعييه اقتناص الشجرة .

ومهما يكن الشريط فحداه سياج

يمنع أساراه من التآبي على الالتقاط .

المعرفة أيضا داخل محيط السياج

إلا أن طرفيها مُمتدان ممتدان ممتدان .

1956.5.28

شريعة المعزبة

وإدمان خليلة يوم الأحد

وتبادل الأسرة،

"كوجيتو" طبع ولم يوزع.

وتلبس العقلانية الكارتيزية

مسوحها

وألقابها

وأرقامها القياسية.

III

التلقيح والتلقيح المضاد

أبحر من بيروت. وضع الاحتمالات والاحتياطات رهن إشارة المسافة ودخل في حوار مباشر مشروع مع البحر الأبيض المتوسط الصيفي. كان البحر منمطا بهوامشه، وكانت أمواجه تتقاذف أمواجه :

تثب الموجة في عرض البحر. تصطدم الموجة بفولاذ
السفينة. توازي الموجة سطحية السفينة لدى
ميلانها. تخفق الموجة وسط الزرقة السماوية
اللاذعة. يأخذ الموجة الدوار. تنحدر الموجة
إلى القعر حيث الظلمات تكتنف الأحياء البحرية.

قارن ـ وهو على ظهر السفينة ـ بين بطئها وبين سرعة الهواجس. اكتشف سريعا مدى بعد الشقة بين معدلي السرعة. أحس بالاختناق. تكوم في سريره وأحس أن للغثيان رائحة ولدورة

المحركات انفعالا فلكيا وللهلام مصداقية تتشكل بوجه من الوجوه. كانت الجثث الحية معلبة في القمرات وفي العنابر تسائل البحر رغوة وزبدا، صخبا وهدوءا. وكان على أهبة للتامل :

"البحر هو الآخر أبكم". ثم تابع :

- ما معيار الفصاحة ؟
- الجذب والانجذاب.
- إلى دائرة الكلام ؟
- هي بالتأكيد رهان.
- ليكن.

كبت هذا التأمل بدعوى أن ما حول السفينة من الأحياء يؤثث فضاءه بهذه النخاسة العارية ويشده إلى جاذبية الأرض.

يفتح السوق أبوابه ويغلقها في ميقات معلوم :
العراء المرصوص الملفوح بالشمس. النظارات
الشمسية الملونة. الرطانات اللغوية. الروائح
العطرية المزكومة. العرق اللؤلؤي. نعومة
الرفاهية والحذلقة والتعالي.

قال طفل صغير : "أريد سفينة كبيرة كهذه" وبكى بكاء نباحيا. وقالت امرأة يبدو من ثغائها أنها شابة ووسيمة : "المهم أن أبدو في عينيك جميلة "وتحاور شابان بلهجة شاذة :

ـ لو كانت سطحية السفينة خالية من الناس . . .

ـ كنت أكون فيك.

ـ وخاطبت عجوز مرافقها من خلال طاقم أسنان يهتز :

ـ كانت تتحسس أساورها الذهبية وهي تحتضر.

ـ لابد وأن تتحسسها حتى وهي ميتة.

وسمع صوتا حاسما يقول : "لم يبدأ الزمن بدايته ماشيا".

السفينة تترنح. العربدة تتفاحش. الرذاذ الزبدي ينقر الكوات الزجاجية المستديرة. السفينة تمخر العباب في يسر. العناصر تصطدم فيولد الطفولي في الأشياء. الانطفاء من الداخل والاشتعال فيما هو بارز.

تستر في خوذتة الليلية بحثا عن الأنساق الفاعلة. تجول على ظهر السفينة. رأي امرأة متألقة منعزلة في ركن شبه معتم. أراد أن يعابثها أن ينسى بها وحدته الإرادية. قال لها بلغة متقعرة :

ـ يحصل لي ولهذه الليلة الشرف إذا . . .
ـ لغتك تاريخية .
ـ وبالضبط من عصر الفروسية .
ـ إذن فأنت تستطيع مبارزة من ينافسك علي ؟
ـ بالتأكيد .
ـ هو ذاك زوجي فبارزه .
ـ منشغل عنه أنا بمبارزة أخرى .
ـ ما العمل إذن ؟
ـ الانتشاء بالتسامي في انتظار المبارزة الحاسمة .
ـ لنتراشق بالأسامي !
ـ بل بأجل أنواع الاستهلالات .
ـ بعضها لاذع كالبن .
ـ وبعضها الآخر ناعم كجدائل "الموسلين" .
ـ تحتفظ بجنينيتها فينا .
ـ ونحن بغبائنا نشحذها أو نثلمها .

رأي الحياة الليلية تدب فوق سطيحة السفينة . سمع "الجاز" يتدفق من الآلات النحاسية . انبهر بإيقاع الضوء يعكس صرامة ونقاء لا يحتملان انسحب من معرفيته وهو منها في أولى درجات

السلم وصادق على مصداقية الحواس شريطة أن تتلمس ما فوق الأشياء.

التعديلات تعيد الرشاقة والانسجام إلى الأجساد
الذابلة. المواسم تغدو وتروح في حركة دورية.
النكوص شريعة من يغادر مثالبه. الغريزة قاصرة
في الربح وفي الخسارة. اللحظتان المغايرتان
تتوزعان الكائن يتلافح فيهما هباء لا هو بالزمان ولا هو بالمكان. الضائع ضائع لا تحسن معه المغامرة، والمسترد مسترد ولو جافته الفطرة.

احتمل الاختناق بمعرفية مفروضة. راوح بني الاحتمالين المختلفين، الراهن والغيبي. تلمس جذور المفارقة في التاريخ رغم كراهيته لما انصرمت راهنيته. استمد من هذه الكراهية تنظيراته واحتكم إلى الحقب الكبيرة بدل الحالات الجمعية الضيقة.

ولأن الليلة تلك تختصر راهنيتها فإنه أحس بعسر هضم بصري جعل المرئيات تفتقد عقلانيتها لأن موازناتها تنجز في غياب عنصر الإحاطة.

الليلة تلك مسيجة بالإشاعة. احتفاليتها إما هروب من طقس مغاير وإما توقف عند لحظة ميتة وإما خوف من الفجائيات. ويعود إلى السقوط في مهوى الحقب الكبيرة، ويزداد لغوه النظري إمعانا في مماحكاته العابثة. حتى لكأن هذا "الديكور" المتنقل صمم على مقياس هذه الفاجعة.

لا شيء مثل جاذبية الأرض بالنسبة إلى الغريب
تسلمه المرافئ إلى المرافئ والمحطات إلى
المحطات. هي الأرض في الانتظار ترفس بالأقدام
ويمشي عليها هونا وتحترف الصمت وتهتصر
خطاب النبت قبل نضوج الدلالة. هي الأرض في
موازاة ملوحة البحر. يتصلان في مصانع تحلية
المياه وينفصلان في تعداد السكان وفي استطلاع
الرأي العام.

تعرف في اليوم الأخير من الرحلة على طبيب إيراني. وجد فيه عفوية الساساني وألق المتمرد وحيرة الصوفي. ارتفع الحظر المضروب حوله. أيقن أن اللغة الأنثى تبدد الوحدة بالغريزة وأن الكلام الذكر

ينسخها بالغبطة والاستئناس. تأمل : "كم هو صغير هذا الكون !" مشمول بنعمة الظاهر والباطن، بنضج العقل وطفوليته، بكبرياء التواضع وحياده. أنموذج أمثل قادر على دحض إحباطات العالم والرد على سفالاته. لذا ركن إليه واعتبر فراقه الآجل فاجعة أخرى. قال له : "إذا كنت تقصد باريس فعندي لك مقعد في سيارتي. "أحس بالارتياح. لا يزال عمر هذه التوأمة مديدا. وأجاب :

ـ شكرا.

ـ ...

ـ حقيبتي مثلي مهترئة.

ـ هناك متسع لجمالية القبح.

ـ هي الجمالية إذن محطة رئيسية.

ـ لأن القبح نسبي.

ـ كم أنت ساساني !

ـ كم أنت أمازيغي !

ـ كلانا في حقل ليس له.

ـ حقل غيرنا حقلنا.

ـ لعلنا نتنابز بالثناء.

ـ المهم الصدق.

ـ مقايضة هذه،

ـ لم لا إذا تطلبها المقام.

ـ ولحساب من ناتج المعادلة ؟

ـ لحساب سكان كوكب آخر.

والتفت إليه يستفهمه ويوجه دفة الحديث وجهة أخرى :

ـ الليل فاجر هنا.

ـ لفجور الذي يسهرونه.

قراميد السطوح الحمراء. مداخن البيوت الريفية. اللقالق العائدة. حوار العجول الرقطاء. النداوة المنسكبة. أشجار الحور الباسقة. قراءات انطباعية وتوليد لألوان المحبرة. ليس الخط وحشيا ولا الظل وإنما هي العدسة وانهمار الضوء السالب.

وصل باريس متحفزا للمجهول برما بالفراق العاجل. أنصت ولم يتكلم. باحث المسافة ببعض أسرارها وقال الطبيب حقبه الكبيرة. كان مسكوتا عنه لم يمتلك بعد لوازم الانتقال من برزخ الانفعال إلى سدرة الفعل. وقال الطبيب :

ـ هذه هي باريس.

ـ هي في شغاف القلب.

ـ زرني متى شئت!

أعطاه عنوانه ورقم هاتفه وانحنى مودعا. وقبل أن يتلاشى في زحمة الشوارع قلت له: "شكرا لك. لن أنسى شهامتك".

استعاد الذاكرة. أدمج اللحظات الزائلة في الراهنة. استجدى ضعفه وما هان على نفسه. زار أصدقاءه القدامى فطاردته لعنة الأسئلة:

ما تفسير غياب الوعي لدى الشعوب الثالثية؟

لم يتبنى يمينها مقولات يسارها؟

لم راهن متياسروها على ماضوية المستقبل؟

ما مدى تأثير الأحلاف العسكرية؟

كم عدد القواعد الأجنبية؟

هل خرج الحوشيون من الانفعال إلى الفعل؟

هل خرجوا من العشائرية إلى الرأي الجمعي؟

ما اساس اندماج الأقليات العرقية واللسانية؟

عبير الصنوبر يخترق الضواحي. يتمزج بهدير

الشاحنات. (الحاستان تلتقيان مكرهتين) لهذا
العبير نكهة ألفها الملونون الساهرون على نظافة
الضواحي. هو حلم يقظتهم. هو الإرهاق. هو
الكابوس وهو الاستئناس به. نقيق الضفاضع في مغاور الحدائق
يمتزج بفضاء
الصمت. يتناسلان. (الحاسة تلتقي بمكررها
فتنقضه) لهذا النقيق هذيان شمعي في آذان
المتقاعدين يفرون منه إلى أكشاك الموسيقى في
هذه الحدائق. هو عذابهم. هو الأرق هو
الكابوس وهو الاستئناس به.

أشعرها ببرقية أنه وصل باريس أشعرته بأخرى أنها في انتظاره عند مقصف المحطة إذا ركب يوم السبت قطار السابعة صباحا، وأن أباها يسره أن يستقبله في البيت. راوده ما بقي من هواجس الصرع الصوفي فيه :

- سأنزل ضيفا عليها.
- لا خيار مع ضغط الحاجة.
- وستقدم على أنك خطيب.

ـ ليكن.
ـ هي صالحَةَ للتأمل.
ـ وللوحي كذلك.
ـ والزواج المختلط ؟
ـ زواج أيضا.
ـ وازدواجية النسل ؟
ـ باب يفضي إلى عمالة مزدوجة.

من كان في اللامسافة ولم يفقد ثقله وجاذبيته، تغفر له سقطاته. تبرر مثالبه. يصبح مسكونا بمالكيته ومملوكيته. ينزع عنه رداء الستر. تعبره النظرات من الرأس إلى القدم. يتخلى عن عادة النفي في الإثبات. تتجلى له الذات وهو فيها.

قدمه الطبيب إلى شاعر إيراني اختار باريس لمنفاه. استعاد معهما قراءة الأسفار الكيوميرثية. ترنح بينهما كأنه يسترد نفسه. كانا يتناوبان فصده بآيات الفارسية ومنمنماتها. سقياه من معين الرازي والعطار والرومي والشيرازي والجيلي. عمداه بمدونات الشعر

الفارسي المعاصر. أحس بالامتلاء وبالرغبة في التفريغ. استجازهما فاجازاه على أن يقرأ النصوص عارية، إذ لا شيء يصرفها إلى الاحتمال غير التأويل.

سكن الثلاثة هاجس الإنشاد فأطلقوا عقيرتهم به متهجدين :

"مرحبا بك أيها الهدهد المعلم !
يا نبيا حقيقيا بعث إلى بني الأرض !
يا من يمشي هونا على حدود مملكة سبإ !
يا من يخاطب سليمان بفصل الخطاب !
ها قد أصبحت صاحب سره،
وها هو متوج جبينك بأكاليل الغار.
أيها الطير الموسوي !
حلق في السماء واعزف الألحان العرفانية !
فأنت عارف بالموسيقى
وهي ليست غير لغة الحمد والثناء.

ثم بعد صمت آفل متقطع، انتقل الثلاثة إلى مقطع آخر :

أقبلت الببغاء عذبة اللسان.
أقبلت بحلتها الفستقية وطوقها الذهبي.
تحول الباشق أمام جلالها إلى بعوضة.
وكل ما يرى من الاخضرار إنما هو من صنيع جناحها.
يعد الأرذلون قساة القلوب
لأمثالي قفصا حديديا.
في هذا القفص الحديدي
أظل أتحرق شوقا إلى النهل من ماء الحياة.
ولأن حلتي خضراء
فأنا خضر الطيور.
ألا ليتني أستطيع ارتشاف ماء الحياة!
لا أستطيع مطاولة "السيمرغ"
غير أن جرعة واحدة من ماء الحياة تكفيني.
أمشي في الشارع كالوله المجنون
وأرود الأمكنة كلها كالمشردين.
فإذا وقفت على إمارة
من إمارات ماء الحياة
أحقق الحرية في العبودية".

("منطق الطير" للعطار)
يلزجون في الأرض من حيث ينجذبون إلى السماء.
يرون الأشياء فيهم مختلفة عنها في البعدين. يعطون
للكتب ما للكتب. يصبون الصحف في افتتاحياتها.
وسفن الملاحة في الأنهار. يفتحون قانون الجاذبية
ويكشفون عن صدره الأزغب. يعلنون العصيان في
أقاليم الشمال. يطاردون الرتابة بالهواء المكيف.
يملأون الحقائب بالبراءة والتلقائية. يحتالون على
رجال الجمارك. ينقضون قوانين التركيب المادي.

فتح الطبيب "ألبوم" الذاكرة. انتقل الشاعر من منفى إلى آخر ألغى المريد وجوده وتأقلم مع هذا المناخ الثنائي حيث لا قطب ولا أبراج. لم يكن المريد إيقونة أو ظلا، كما لم يكن الطبيب شعيرة من الشعائر. أما الشاعر والشاعر وحده، فقد كان سماد الأسطورة.

يقول ظهر الصورة شيئا آخر. وإلا فكل عمل الإنسان
له إلا الامتهان. ذلك أن الحكاية غير التاريخ
والتاريخ غير الحكاية.

نقلة القطار تفضح تواطؤ الأشياء مع التوقيت وتربط
بين طرفي المعرفة الضائعين : يجد المسهد الذي
احمرت عيناه برمد الأرق في المقاعد الجلدية بعض
قناعته. والمسافر الذي تهزمه المسافة يتعزى عنها
بشرائح اللحم المقدد وبالجبن. وافتتاحيات
جرائد اليسار تعوضها صفحة الحوادث في صحف
اليمين. ومعسكرات الاعتقال في المقاصير تضخم
رائحة البول والصنان وبخار الصلف والتجريح.
لابد للعالم ساعة الاكتظاظ من كل زوجين اثنين
ليكون ما هو. وخلاصة المعرفة الوحشية أن الدهر
أطروحة وأن الزمن اشتهاء. الأحبار يحبرون والأئمة
ينسخون. التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية
منهم من يرسمه جدارية في كنيسة ومنهم من يخطه
على الماء. وأغا خان إذا اعتبره قوم من ورثة
الأمامة فآخرون يعدونه في الشطار والعيارين.

يصل ويصل نقع الفحم الحجري معه متشبثا بالحرف اللاتيني في
الحقيبة وفي الهوية. لكن المحطة لا تصل لأنها سبق وأن وصلت مرة

واحدة اختارت فيها مرثياتها الساكنة وصفاتها الثابتة. أما المقصف فيصل مرات عديدة لأنه يبعث في قنانيه الفارغة المملوءة. في رائحة الإدمان. في لذة ارتياد المستنقع السبخ. هل رآها زائغة في الحوض الأبيض ذاهلة في الدائرة السوداء ذابلة في الحدقتين والهدبين؟ هل انحدر حتى مدارج الاستعطاف أو تكلس الحزن على حواسه ؟

ينكفئ عليها وتنكفئ عليه لا مباغتة ولا لقاء مبيت. كل منهما يعرف مكان سقوط الإبرة من مفازة الرمل. وكل منهما يسارع إلى التقاطها. وحين يتواجهان يحجمان فلا تمتد أيديهما إليها. يتحجران بحيث لا تتأجج الأنفاس ولا تخبو : المناقصة هنا وعقد الصفقة هناك. قال لها :

- لا أقصد إلى إيلامك.

- اعتذار قصدت به الشماتة.

- أسأت التعبير بترددي.

- انتظار ينتهي بمطاردة.

- لابد من ولادة ثانية للألفة.

- الولادة بعد الفتور إجهاض.

- إذن ففيم الاندفاع والاستفزاز ؟

هما بصدد التحاقب. أحدهما يفتش للمشروع عن تكوينات. عن هرم وصخور نارية وعمال مهرة. والآخر يفتش له عن حاسة الانبهار. هما بصدد الاستدفاء وطمس بدائية اللون المختار. كل منهما يشحذ غربته على حدي الدونية والكبرياء. كل منهما يدجن الآخر. التقيا صدفة في آخر نقطة من مسافة الحبل: الزواج الهلليني العروبي المبكر يشهد اليوم قيامة أخرى لا يحضرها عراب. لذا فإنهما فسخا ما عقد الرب وتواعدا على النخاسة، أي انقطعا بين الديباجة وحسن التخلص. لا سراب في الواحة كما لا نار في الدخان. يتقزمان بالسنة تارة وبالبدعة أخرى.

لها أخ ولأخيها صديقه. تخرج الاثنان في اللاهوت من كلية الآداب بجامعة "ستراسبورغ". نذرا نفسيهما للبروتيستانية. تعينا راعيين لكنيستين متجاورتين في قرية ألزاسية. تعاقبا عليها. توزعاها. حدا من سلطة التجاوز فيها بالتلقين والتلقيح وتقويم الأعضاء الشلاء:

لابد من مراعاة الفوارق في تحديد الهويات الدينية والعنصرية.

لابد من بناء العلاقات الجسدية على أساس هذه الفوارق.
لابد من السياحة في ملكوت السماوات بالذوق.
لابد من المسرة ولابد للمسرة من هذه المعايير :
معيار العزلة والتنسك وتعذيب الذات بالطاعة.
معيار الحب يختزل الصور في صورة.
معيار إفلاس العقل وبوار الذاكرة.
معيار انبثاق المعرفة العرفانية من وهج الحدس.
معيار الشعور بالذنب يمحوه المخلص.
معيار سيادة العفو الإلهي وكمالها.

كانا لها إحالة لا تخطئ، كما كانا لها ترسا يقيها شر نفسها وشر الخلق. لكنها بعيدة عنهما تتذوق الثمرة المحرمة، وقريبة منهما تلتقطها العصمة نيابة عنها.

يصالح الأرضي ثم يتزلفه. يضع الطواغيت للأرضي
لاهوتية بأقيستها ثم يداهنونه بها : الأولون
للآخرين ينحتون القرابين ثم ينسجون عنكبوت
الخلية الآهلة بالعقائد البيضاء.

IV

استدرجتك فحاورني

الكبريت في عوده

(المكان) : حافلة نظامية. (الزمان) : العاشرة صباحا. (الإطار) : طريق معبدة ضيقة يقال إن التاريخ اجتازها وهو في طريقه إلى مؤتمر الجزيرة الخضراء، تشق الطريق الريف الألزاسي الأخضر. (الحيوات) : فلاحون ورعاة وعمال تنظيف. أبقار وخرفان وخنازير. ضيعات نموذجية ومطاعم ريفية وحظائر تفقيس بيض الدجاج. (الأشخاص : شاب ملون برفقة شابة قمحية يجلسان في مقدمة الحافلة. مجموعة من الجنسين متفاوتة الأعمار منتشرة بغير انتظام في مؤخرتها. (انسجام المجموعة دل على أنها اعتادت هذا السفر اليومي) السائق بدون عمر. الجابي كذلك.

الشابان ساهمان ينصتان إلى ما تقوله المجموعة همسا. وشيئا فشيئا يغدو المهموس مجهورا.

الأول : (مشيرا إلى الشابين) انسجامهما ظرفي .

الثاني : (نفس اللعب) الظرفية عادة وضرورة .

الأولى : (نفس اللعب) لماذا هما فقط ؟

الثانية : (ضاحكة) دفعا للسأم .

الأول : (بحياد مشيرا من جديد إلى الشابين) مألوف على غير مألوف .

الأولى : (مشيرة إلى الملون وحده) طفيليات الصدفة .

الثانية : (نفس اللعب) عليها أن تتحمل بدائيته .

الأول : (نفس اللعب) لننتشلها !

الثاني : (بحيرة) كيف ؟

الأول : (نفس اللعب) المشكلة في هذه "الكيف"

الأولى : (بشك) ربما عقدت المحاولة الأمور .

الثانية : (بتجرد) تعنين أن حاسة العنف لديه قابلة للانفجار !

الأولى : (نفس اللعب) اعتاد حل المشاكل بالعنف .

الجابي : (مستنكرا) لا خيار له ولا حيلة .

السائق : (ساخرا يدير وجهه جهة المجموعة وعيناه على الطريق) أتى ليتعلم الغناء وأنتم تغنون خارج "النوتة"

الأول : (بلهجة سجالية) بل ليتملقنا .

الثانية : (نفس اللعب) بإدماجه الهويتين في واحدة .

الأول : (نفس اللعب) تقلق راحتنا هذه الهوية الزائفة .

الجابي : (غاضبا) بم هي زائفة ؟

الأول : (باقتناع) بارتفاع معدل الجريمة .

السائق : (نفس اللعب) رد فعل .

الثاني : (بحسم) عليه أن يعود إلى بلده .

الأول : (نفس اللعبة) هو أوفق لنا وله .

الثاني : (نفس اللعبة) وعي الذات مناخه محلي .

الأول : (نفس اللعب) ومحلي مثله قانون المغايرة .

الجابي : (نفس اللعب) وعلى مواطنينا أن ينزحوا عن بلده .

السائق : (في محاولة لضمان النسق المنطقي) لكي يعوا ذاتهم ويكتشفوا قانون المغايرة .

الأولى : (بلهجة رادعة) لا . الفرق واضح .

الثانية : (نفس اللعب) نستغني عنهم ويحتاجون إلينا .

الأول : (باقتناع) المعلم غير المتعلم .

الثاني : (نفس اللعب) مكاننا منهم غير مكانهم منا .

الجابي : (بلهجة مفحمة) دواليب صناعتنا الثقيلة بأيديهم .

السائق : (نفس اللعب) نقول العلم سادة ويمارسونه خدما .

الجابي : (نفس اللعب) ولذلك يرفضوننا .

السائق : (نفس اللعب) جملة وتفصيلا .

المجموعة : (بهمهمة) هو رفض لصالحنا .

الأولى : (بتشف) رفض يريح ويستريح .

السائق : (متجاهلا همهمة المجموعة) قد فعلوا ومنذ الغزوة الأولى .

الجابي : (نفس اللعب) وها هم بلغوا سن الرشد .

السائق : (نفس اللعب) واكتشفوا زيفنا .

الأولى : (بحسم) المجد لفرنسا .

الجابي : (نفس اللعب) بل المجد للإنسان .

الثاني : (متهكما) للإنسان يدون تاريخ الأقوياء .

السائق : (نفس اللعب) من خلال ضعفهم .

الأولى : (نفس اللعب) فانتازيا استعراضية .

الثاني : (نفس اللعب) وخرافات "فداوية" .

الثانية : (بلهجة داحضة) ماذا يبقى من التاريخ خارج الخرافات ؟

الجابي : (بتحد) يبقى الإنسان .

السائق : (نفس اللعب) ويبقى على الرف أعداؤه .

الكبريت خارج الخلية

(المكان) : محطة الحافلات . (الزمان) : الثانية عشرة صباحا . (الإطار) : السوق المركزي في قرية ألزاسية . (الحيوات) : أناس يتقاطرون على المحطة وآخرون يتزاحمون داخلين أو خارجين من باب السوق . (الأشخاص) : الشاب والشابة .

الشاب : معادون ومتعاطفون .

الشابة : أمر طبيعي .

الشاب : شرائح ضدا على شريحة .

الشابة : ماذا تعني ؟

الشاب : من القشرة المتشظية إلى اللب المتماسك .

الشابة : أي يمين ويسار .

الشاب : اليمين الجمع واليسار المفرد .

الشابة : لا يهم . نحن متفاهمان .

الشاب : للتفاهم بيئة .

الشابة : موجودة بالفعل .

الشاب : منشطرة .

الشابة : المعادون مرضى .

الشاب : سيكوباثيون .

الشابة : وفصاميون .

الشاب : وإذا استفحل المرض ؟

الشابة : لا يتجاوزون دائرة الكلام . (تغير مجرى الحديث) أبواي في انتظارك بالبيت .

الشاب : شرف لست أهلا له .

الشابة : وطن النفس على تحمله .

الشاب : سأحاول .

الشابة : أعدا عشاء فاخرا على شرفك .

الشاب : اعتدت أن أقايض .

الشابة : احتفاء باللقاء الأول .

الشاب : وبعده العدس والبصل والثوم .

الشابة : إذا قزمت الدلالة .

الشاب : المهم العملة .

الشابة : ولها وجهان .

الشاب : أنا ذرائعي .

الشابة : إذن فأنت تتذوق الفاكهة من النسغ .

الشاب : سيحضر أقرباؤك ؟

الشابة : وسيحتفون بك .

الشاب : باختياري أم باختيارك ؟

الشابة : ستكون السفرة مباركة بهما معا .

الشاب : أي بالشرك المنصوب .

الشابة : فيها المحار الصادق .

الشاب : وفيها الأسطورة .

الشابة : وفيها الأنس أول الطريق .

الشاب : وفيها الاستشهاد أيضا .

الكبريت داخل الخلية

(المكان) : بيت ريفي في قرية ألزاسية. (الزمان) : السادسة والنصف مساء. (الإطار : فضاء مندى برطوبة المساء. حديقة طبيعية رحيبة. كراسي خشبية موازية لصف طويل من أشجار الكاليبتوس. (الحيوات) الشيوخ من الجنسين يجلسون على الكراسي الخشبية. (الأشخاص) : الشاب والشابة يسيران مترجلين : تحمل قمطرا ويحمل حقيبة. صامتين يسيران. ينقل الشاب الحقيبة بين الفينة والأخرى من يده اليمنى إلى اليسرى كلما أحس بالثقل. يصلان إلى البيت.

الشابة : هذا هو بيتنا .

الشاب : (يلقي أعباءه ويتنفس) بيت جميل.

الشابة : سخاء الطبيعة كما ترى . . .

الشاب : وسخاء البشر كذلك.

الشابة : هنا نقطة ارتكاز الشرائع.

الشاب : هنا سنتقاطع بدل أن نندمج.

انزلاق غضروفي

هذيان هامس وانفعال ضوئي يتسربان من المدى

ويستقران على القمم المثلثة. هو الشفق القطبي

في غير أوانه يغمر السواقي والنهيرات والضيعات

وآلات السقي والحرث والحصاد. هي البهجة

مرتسمة على الجباه بالحبر الصيني. إنما أين

تلك الغارات المفاجئة يهرع الناس على إثرها

إلى المخابئ والسراديب والمتاريس هي

وحدها التي تقول ضعف الأشياء واحتياجها.

النباتات البرية بسيقانها المعروقة وبحاستها

التلقينية تجتاح صفاقة الأرض صعدا بدءا من

التركيبة الجيولوجية المائعة القشرة. وتبقى

الامتزاجات الأخرى فيما بين البين. من الفضول
إلى الوقار ومن الرزانة إلى الفطرة، ومن الوشوشة
إلى الضوضاء، ومن النظرات المسروقة الثاقبة
إلى الأطراق المتعمد. لا أحد يتجرئ علي
إيذاء الأرض بتعطيل روعة الصمت. الإغراء
لفظي والتهويمات إدراك بالخيال لا غير.
ويستوي في البذاءة والتهذيب من تركبه لغة
السلطة أو يركبها : تركبه من اللسان ويركبها
من المهبل.

البيت مسيج بشجيرات الحسك. البيت فوق التل المنعزل يشرف على اخضرار السفح. البيت أمامه صفصافتان متوازيتان. البيت على بابه حلقة نحاسية رومانية ومسامير مدببة. البيت يتجهم للشتاء ويتبرج للصيف.

البيت ألزاسي في نشاز الألوان وفي رنة الخشب وفي تقوير الإطار. البيت هو المفارقة الأولى والسؤال الأخير.

نسمة رطبة تفوح من الداخل. شخوص يشتركون في التجاعيد وفي الصوت المترهل وفي اضطراب الحواس وانعقاص الأعلى على الأسفل من الشعر الأشيب وارتباك الخطوات وانتظار الانقراض

المحتوم. المستقبل ليس سوى سلسلة من الاحتضارات تنعكس عليها الأهداب الثقيلة. لو كان الحاضر يصب في المستقبل بالفعل، لا ستغني بالجبر والمقابلة عن الكهانة.

هنا تعرش اللغة الألمانية يقرأ بها "نيتشة" نازيا
ويقصى عنها نبيا. هنا يئدون "ريلكة" في لسعة
أشواك وردة قطفها من أجل امرأة شرقية. هنا يقمعون
"هولديرلن" في حقبة شعر علماني.
هنا تموت اللغة الفرنسية تواصلا وتحيا تبعية. هنا
هنا تتوالد المعاني في أرحام غير خالقها. هنا
تستباح المساحة. هنا يزني الزناة بأدوات مستعارة
حتى لتطفو على وجوههم قروح اللذة بالنيابة. هنا
لردود الفعل نكهة الفضول وللمدخنة زئير أغبر. هنا
يغذون السير فرارا من الحصار المحتمل. هنا
الحذاء الرصاصي الثقيل وبداية الصدإ والسأم.

V

اليوميات الاختيارية

السبت 1955.7.1 (صباحا)

تجف اليوميات والمذكرات والقريحة إذا عرش النفور في الروح. تصطنع منهج الإحصائيات والنسب المئوية وتقول الصدق بالشفتين فقط. ومهما يكن الأمر، فلابد للملاك الحارس من مصاحبتها كل يوم صباحا إلى محطة القطار كي تلتحق بمقر عملها في القرية المجاورة. يخرج من الشرنقة وينخرط منبهرا في مدار الصخب دون أن يصعد تلا أو ينحدر إلى سفح. يتفتح للخضرة ويتقلص لمرأى الدغل المتشابك. أما هي فلا تبرح صيغتها الوحيدة. (بالإيجاز تتم الصفقة، وبالإطناب تقام الشعائر) هو الذي دبر كبوته، وهي التي أجبرته على عدم تجاوزها. هو يتشبث بالظل، وهي تطلق عليه رصاص الجسد. هكذا تكون الأعشاب الوحشية السائبة خلاصة لما في الغابة من تأثيث عفوي. وهكذا يمنع الصفصاف والسنديان المتشابك خيوط الشمس من ملامسة الأرض. عليه أن يقارع بدائيته

بحرمانه، وعليها أن تناجز هلوستها بلغتها الفريسية. فإذا استرد كل منهما اعتباره كانا، وإلا فإن عليهما أن يعتصما بمنطقة الارتعاش والتهوية الاصطناعية.

السبت 1956.7.1 (مساء)

خرج إلى الفضاء الرحب هربا من الشلل والجذب والاحديداب. خرج يجرب الوحدة مرة أخرى. واجه القرية كلها مواجهة غير متكافئة. هزمه فضولها. داراه بكبريائه ثم بلا مبالاته فما قدر على منعه. تذكر بائع السجاد الجوال تتقاذفه العيون الحاقدة. تذكر لغة قالت الحزن في زمنين. تذكر حزنا يلثغ الراء ويعجم الذال والثاء والظاء ويمتصها باللسان. (الحزن هو الآخر يورث) سار في منعرج ضيق. أرهف سمعه مستمتعا بأغاريد الريف وطنين الحشرات والقوارض السارحة.

أقبلت عليه في المحطة بدون هالة. انطفأ هو الآخر. محى رواء وجهه ظل الجدار الرابض أمامه. أحاطته بالحفاوة المسائية. أقاربها المتحلقون حول حمالة المشروبات والمزة المتنوعة (وراء حمالة الحطب زوجها، ووراء حمالة الشرف أهوال حربين عالميتين) أحاطوه

بمثل تلك الحفاوة.

أيها السادة ! الجلاد والمبشر والمعامر كانوا لسان حال. أيها السادة ! أحلتمونا على الوجود الماضي بقراءة اللون الشرس قراءة طردية.

أيها السادة ! لنا جمالنا المناخي وموقفنا من المغايرة، لذا فتسامحنا ضعف لقوتكم وقوة لضعفنا. أيها السادة ليس سمت الشمس الغبراء قناعا وإنما هو صفة من صفات الثبوت. ها قد تمت الجريمة بمباركة "كتاب الحوليات".

من هؤلاء الأقرباء من يخاف اليسار على اليمين، ومنهم من يطارح الجفاف بصلاة الاستسقاء، ومنهم طبيب الأسنان يقرع السن بالسن حماية لبيت الداء، ومنهم من يفسر الأناجيل برأس المال. بين هذا الخليط أضحت الحفاوة المسائية مأدبة لئام ضيف الشرف فيها يتيم واحد :

- لم لا تعالج أسنانك الخربة وأنت طبيب أسنان ؟
- لا وقت لدي. الثرثرة خربتها.
- هي دعاية سيئة لمهنتك.
- أخفيها عن الأنظار.
- تخفيها وعليك أن تتحدث ؟
- لا أتحدث حين يوجد متحدثون حصيفون مثلك.

- تتأكد حصافتي حين يوجد مستمعون واعون مثلك.
- منطق فروسي.
- بل رعوي.
- وفي الناس المسرة.

الأحد 1956.7.2 (صباحا)

نام على فراش صوفي ناعم. التحف حشية قطنية. غمره العنصران إلى حد الاحتواء. غمراه بالتثاؤب والتكشير والكوابيس. توسل إلى النوم بقراءة كتاب: "حياة مارتان لوثر". سقط الكتاب على أرضية الغرفة مباشرة بعد الغفوة الأولى. (مهذب ومقنع قربان السماء إلى الأرض).

وفي الصباح رأي تنورات على سيقان معروقة تتماوج بفعل الريح. تأكد لديه أن التصابي يوحي بالتبرج وتدارك ما فات. العجائز عند باب الكنيسة يقصدن إلى الغفران بمعنيين: مسح خطيئة لم ترتكب بإظهار نعمة كانت. (الخطاة نحن وهو المخلص والخلاص)

إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق له الغيبية وجود مؤجل. وله الغرائز باب إلى الاستهتار الفطري. وله الخطايا وعبودية

الخطايا .وله القطيعة ردة . هو إذن خروم ترمم بغير الصيغة الأولى . يتبادل إبراهيم وابنه إسماعيل الأنخاب فرارا من الطفولي فيهما ومن أجل أن الضد يظهر حسنه الضد .

قالت صيغتها الروحية وقال لها صيغته الأخرى. تقاطعت الصيغتان وصبتا مداهما في اتجاهين مختلفين. ولأن مشاريعه نزوات، ولأن نزواته غير محبطة، فإنه ابتدأ من حيث بدأ ولم يعد إلى الصفر. تمرد مع عصره لصالح عصره على الطقوسية وآثر الفعل المباشر. (تسربت عقلانية المعتزلة إلى الغرب عبر قناة اللوثرية)

الأحد 1956.7.2 (مساء)

وفي المساء صاحبها إلى الغابة. الحواس صامتة والغريزة يلجمها البرود . الطرفان أعلنا العصيان . وكما تنتهي الغابة ببحيرة واسعة انتهيا إلى الالتحام بهذا المدى في عذريته الأليفة.

تتلاشى عند حدود البحيرة سحابات زرقاء. تخترق البحيرة سفن شراعية وزوارق تزلج وقوارب مجذافية سياحية . الريادة لهذه البحيرة والعراء لهذين الجسدين الريانين المياسين، والصدق لهذا الدلال الأخرس. عليهما أن يغالبا مؤشر البرودة وأن يتعاهدا على

الوفاء بميثاق الدم. من منهما يفجر بالصدق كذب إحساس الآخر ؟ من منهما يجد دليله في الصمت ؟ الرصانة المقصودة تفتقد العفاف. يتعهر اللغز بينهما. يزداد إرباكا وارتباكا، حتى لكأنهما يأتيان النهر ولا يصلان.

الاثنين 1956.7.3 (صباحا)

تضخم شعوره بالتفوق كرد فعل لبذاءة الفضول والحصار والوصاية في القرية. لم يكن تفوقه جنونا أو حقدا أو احتقارا أو تطفلا. بل كان موقفا مناهضا لهذا الزيف. الإشفاق القاتل.

غطرس نظراته. أثقل لهجته وعمقها أمام ما تبديه القرية من عجز الحواس والسلوك. الرحلة مريحة والجحيم في نهايتها. يحمل فطرته ويذهب إلى الجحيم في أبهى كماله الإنساني. ليس بعد القوة والضعف تخوم أخرى.

خطواته بليلة وشبحه لا سمت له. وهي هي المسافة والحركة والظل. هي الانفصال يبتدئ دروشة وينتهي مبدأ. لأول مرة يدرك أن الانصياع إلى الأشياء بدون رغبة مظهر مرضي. وإلا فما معنى أن يمارس الحزن غير متوهج ؟ سعل كلماته من حيث شهقت بعض

المقـاطع. كلمـا ازداد صـفـاء من الداخل ازداد لمعـان البـهـرجـة على حواسها.

إما أن يختـارها فينسحب من حياته، وإما أن يعلن الحداد باحثا عن تبعية أخرى جديدة. حظي بشرف الأسبقية في تسميد التربة، وهذا وحده كـاف له. أما هي، فلتبحث عن آخر يحب السير في الدروب المعبدة المطروقة.

في غـبـار هذا الهـذيان المثـالي، وصل من جـديد إلى باريس مع الخيط الأبيض من الفجر.

الثلاثاء 1956.7.4 (صباحا)

إذا احتقن عصر الأنوار في باريس يتقدس اسم الإنسان والأرض: العـودة إلى الأرومـة والفـرار من مـحـيط التـملك. تتحصن مـدينة باريس من شر نفسها بلوحات الإعلانات وقنوات "النيّون" وأبطال المسرحيات ومقاهي المنحرفين ورطوبة الكنائس والسيارات ـ العلب. لا يزال الليل باحثا عن مكنسة قادرة على إخماد أنفاس الذبالات التي تشرف على حياض الموت ولا تشرب منه.

الكـائن المتـشـرد في حـاجـة إلى تاريخ معـصـوم. الكائن المتـشـرد

يلتمس النقاء في الأدران. الكائن المتشرد يلجأ إلى الموسيقى هيولى وصورة. الكائن المتشرد يرحب بالبشائر ويرتكب جريمة الفرار من الطفولة. الكائن المتشرد يمتشق باريس سيفا مخاتلا وميزانا أعمى وحزنا في الحواس. الكائن المتشرد كلعبة الورق كل شوط منها لا يشابه الآخر.

المجد للموروث يرفع الحظر عن كل توقف تقني أو سياحي.

الثلاثاء 1956.7.4 (مساء)

معصرة القهوة تفح فحيحها المزمن. الكؤوس تصطفق بصوت فقاعي وهي ترسب في قعر حوض الغسيل.

لاعبو "البوكر" يكسرون صلابة الانتظار والرتابة والتوقع والشرود ويتحكمون في الانفعال ويكتسبون المناعة ضد الهجوم المضاد. تخلط أوراق الروزنامة كما يخلط ورق اللعب بمهارة. خشخشة الأوراق كرفيف الأجنحة. يطفو النقد على المائدة فيحوم السهوم حول القلب ويبقى الترقب سيد الموقف.

تتوالد قطرات العرق القمحية من الجباه. تتسع حين ينعكس عليها الضوء الخافت. تغور الخدود وتتكلس السحنات في نظراتها

المثقوبة. تنعقد السحب الدخانية حين لا تجد لها ثغرة تنفذ منها إلى الخارج. تتبخر على شريط المصباح وعلى طلاء الصباغة في السقف. تنتهي الأعمار كما تنتهي السجائر على شأفة المرمدة رمادا متخاذلا ذليلا.

الأربعاء 1956.7.5 (صباحا)

المنتظرون في المحطة يعذبهم الضيق. الهالة الحمراء حول أعينهم تشي بالأرق. يتثاءبون في تخف ويتملقون الوقت. جاء القطار. تلقفت الأذرع القادمين. تملكتهم وشيأتهم، إلا هي فقد جاءت بطريقة أخرى. يختمر الأسى على الجبهة. يتسرب الشك إلى مساحة الظن. يجد مصداقيته في الزرقة المشوبة في عينيها وفي اهتزاز لهجتها وفي تجمد دمع الغضب على خديها.

الأربعاء 1956.7.5 (مساء)

أمسيا فارغين ذابلين آثمين. تختير السكينة قمة النصر وتفجير رحم الرماد قمة الهزيمة. ها هما في إحاطة اللحاف أو في أقنعة

الرضى أو في أوشال الفصل والوصل. التهدل هو المصير الحتمي لهذا التراكم المتشكل من لحم وألياف وعظام. أما الممارسة فليست دليلا على سرعة الهضم بقدر ما هي سبيل إلى التخمة. كانت شهوتهما أن ينالا ما بين أيديهما.

الخميس 1956.7.6 (صباحا)

تجولا في باريس النحاسة والاغتراب. حققا الأسطورة وأضاعا رأس الحكمة فما ملكا من الأرض إلا الأشبار التي لجرمهما. هي بشعرها الغلامي، (تحولت الصفرة الذابلة في الخدين إلى احمرار شبه منطفئ شوه ما فيها من ضمور واكتناز غير متناسبين) وهو بهلاميته. (بدت لونيته مزجا تجريديا إما لدفع الرتابة وإما لإخفاء ما أفسده الدهر) تجولا حتى تورمت أقدامهما. كانا يرفسان الأوراق الميتة الخريفية ويبللان حذاءيهما بماء المجاري الآسنة كأنهما يكتبان ديباجة ناصعة لوثيقة القطيعة المرتقبة. اندمجا في صمت الجدران والأرائك والمخدات والكتب ولبستهما الثياب : حجر النار هو الآخر يداجي فلا ينقدح. (انطفأ في ياقته المزخرفة وبذلته المستعارة القاتمة، في حين تألقت هي في لباس السهرة، في نعومة الظهر وفي بروز الصدر).

الخميس 1956.7.6 (مساء)

بدت له باريس تلخيصا لمقولة : "رد الأعجاز على الصدور" . وعليه، فكان لابد من ترميم تاريخيتها بتعديلات تمكن عدسة العين من معاقرتها :

(أن توضع نظرية المحاكاة الأرسطية في مكانها من المقبرة البالزاكية)

(أن تطعم "الرسائل الفارسية" بمنطق الطير)

(أن تكلل قمة تمثال "رونسار" بقلادة هجائيات جريرية)

أن يعقد لقاء ودي بين "أسطورة القرون" و"رسالة الغفران")

(أن ينقل "بودلير" إلى أزهى ساحة في ثلاثية "سارتر")

(أن تضاف لائحة بالأسماء التي تعلمها آدم إلى موسوعة "ديدرو")

الجمعة 1956.7.7 (صباحا)

ـ أنوي السفر إلى بلدي بعد بضعة أيام .

ـ خذني معك .

ـ لا أستطيع .

ـ لماذا ؟

ـ هي بيئة أخرى .

ـ معك تحلو كل البيئات .

ـ مصاريف السفر باهظة .

ـ تبرير سخيف .

ـ لكنه صادق .

الجمعة 1956.7.7 (مساء)

أذعنت وتعسفت إظهار المتعة وإخفاء الانهيار :

ـ مؤسف أن ننتهي ببلادة .

ـ إذ لم نبتدئ بذكاء .

ـ أين حماسك إذن ؟

ـ موجودا لا يزال .

ـ حتى في حالة التغير ؟

ـ التغير ضروري .

ـ كم قامرت بكبريائي !

ـ وكم كنت أسيرته !

الجمعة 1956.7.7 (مساء)

ـ أنا أيضا مسافرة هذه الليلة.

ـ لا تهزمني المباغتة ولا الإثارة.

ـ الراحل في المقيم والمقيم في الراحل.

ـ قدرت ألا أفارقك.

ـ الراحل أنت مع ذلك.

ـ اعتباطية المشيئة.

الجمعة 1956.7.7 (ليلا)

واحتفلا بميلاد القطيعة : عشاء في مطعم روسي صغير. على واجهة المطعم وشم تجريدي. الموائد قليلة. خواناتها ناصعة. صليل الملاعق والشوكات والسكاكين خافت لا يسيء إلى وقار المطعم. الشموع رابضة وسط الموائد تدمع الشمع وتبصق أشعة كسيرة تتكسر على الجدار الأسود والسقف الخشبي القديم. "ايفانوف ونينا" يحملان أطباق الأكل، "ناتاشا" تعزف على "البيانو" المنزوي في الركن المظلم. "البيانو" يقول الاتباعية الروسية الموسيقية دون أن

يتحيز لا للقيصر ولا للبلاشفة. "البيانو" أيضا يقول لقاء الشرق للغرب على لسان "شهرزاد" "لرامسكي كورساكوف".

دقت ساعة الاختيار. أحس الحنين إلى الشرق رغم ما على بشرته من مساحيق الغرب. الشرق وحده الذي يتحمل خطله. هو إطار صورته في التاريخ.

ودعها في المحطة والقطار منطلق. هزت يمناها ورأسها في حركة مسرحية وتلاشت. وسافر هو أيضا.

هل الجفاء يتوالد من وسطيه أو من محوريه ؟

VI

خارج الخطوة

سلطة الرحم :

(1)

تراكم الصدأ على جسد هذه المسيرة. انتشر البرص على البشرة. تناسلت العناكب في الأركان والزوايا. الإهمال والنسيان يستغيثان بهذا المطلق المسمى انسحابا.

التاريخ مشروخ وغير منطقي. الفجاءة قانونه الذي لا يجد العقل معه راحة : المراوحة بين النكوص والاسترداد.

النازح من تتطفل جذوره على تربة أخرى جديدة يحاول فيها إنتاج أرومة أخرى. من تحركه دوامة العجز النفسي. من لا يقمعه اختلال الصفقتين الخاسرتين فيه.

حين يتشبث النازح بهويته يكسب طبقته بانتمائه، وحين يعتمد بلاغة الاستعارة تكونه الطبقة ويخذله الانتماء. يتجذر الأول في تاريخ جهوي ثم يتهمش فيه، بينما يستأجر الثاني

بالمصاهرة قناعا إيجاره باهظ التكاليف. العيش بالاقتحام أو العيش بالسمسرة. الصعود بالهوية والسقوط بالقناع، وإلا فلا فرق بين العهارة والنخاسة.

صعب هو التخلي عن صدمة الإحساس بالنزوح، وصعب أيضا هو التمادي في نبالة أفسدها تغير التربة عليها. خاصة وأنها ذات بعد واحد، لأنها ترث من الأبوة إحباطها ومن الأمومة كبتها أو عارها. المهم هو تأكيد السيطرة على رهافة الإحساس بحيث تصبح معها الأصالة مساوية لفجائية الاجتثاث وتتكيف الجاذبية مع واقع مشروط بتحولاته المستمرة. وإذا كان كل من النزوح والنبالة فاعلين باعتبار أنهما يدفعان إلا تخطي الأعراف بما يتيحانه من الصفاقة، فإنه من الممكن أن يكونا منفعلين حين يستمسكان بعالم المثل. بهذا المفهوم يتقاطعان إذا كانا حالة مرضية ويتناسلان طردا وعكسا إذا كانا موقفا من العالم.

على أن الحقيقة الأبيدة هي أن كل ما أخذ بالتسول لا يعطي لأنه يبقى في حالة أخذ سرمدي، أي أنه لا ينزل إلى حلبة الإنتاج. وأن كل ما أخذ بالتسلل يعطى بالاختلاس، ومن ثم ينزل إلى حلبة إنتاج مزيف.

كثيرا ما يحب النازح حب كراهية : يحب بالغريزة ويكره ما أحبه بالمنطق. يحب حضور الأشياء في أرومتها لأن ذلك نسقي، ويكره منطق هذا الحضور لأنه ينتهي إلى ازدواجية بشعة. يحب الحماية مشروعا يكون فيه فاعلا، ويكرهها سلطة واستثمارا خائبا يكون فيهما منفعلا.

ينفصل هذا النازح جسديا عن خلاياه بعد الفطام، ولذا يكون عليه أن يعثر على صيغة أخرى يقمط فيها حب الكراهية ذاك. تارة يجدها في الوصاية، وأخرى في ذكائه الفطري. تارة ينتعش به، وأخرى يذوي به وفيه. وفي الحالتين لا يتطور عبر اختياراته ولا يتقلص في ممكناته وفي مستحيلاته كذلك. الظن الفاسد هنا في مقابلة الوعي به هناك. اللحظة المضببة هنا واللحظة الحاسمة هناك.

وحين يتقدم به العمر، يحبط بالفهم المضاد وبالتسامح انحرافاته وسقطاته ويحب بطريقة جديدة : إدماج الفطري في المكتسب.

ومن تمام الغرابة أن تلازم النازح طفوليته طردا وعكسا، بحيث يسقط يومه على أمسه وأمسه على يومه. أما مستقبله فهو شريط ممغنط للقطة قابلة للتشكل وفي حالة انصرام. إنه صيرورة ينعدم فيها التكافؤ على مستوى المسافة والمساحة والسطح والعمق. إنه شيء محجوز في إتيانه الآتي.

ولذا فزمنيته ذات بعدين اثنين لا غير. يستطيع عبرهما أن يمارس التستر على إفلاسه وهو يتدرج تصاعديا عبر صياغة جسده : الحبو أولا ثم الخطوة الطائشة ثم الرصينة ثم عملية التخطي فالهبوط المفاجئ. هي شبكة معقدة من الأسلاك الشائكة إن ضبطت المسافة فقد أغفلت ضبط العلاقة بالطموح الممكن مع العالم من الزاوية التي له.

- إنجازه الوحيد أنه هدل جسده وهدل من حوله الزمان والمكان. ولعل هذه الموازاة بين جرم جرميته مشروطة بوقوعه داخل شيء، وبين مقولات اعتبارية، هي المسؤولة عن كل تواكل يترجمه غيره على أنه انتهازية. هو إذن مخلوق مؤول وتأويلي لا حاجة بالعالم إليه إلا حين يكون بين فكي الرحى : الاستشهاد أو التفويت، ولذلك فهو دائم المطالبة بالتعويض.

كل وجود منشور فوق حبال الغسيل هرطقة. ومن الهرطقة أن يستهلك المنتج مستهلكه والمستهلك منتجه. ذلك أن الوجه والظهر ليسا وجهين لعملة واحدة : وضوح السطح غموض في القعر. الأول وجه يقول سلامة الأوضاع، والثاني احتجاج على انعدام الأهلية. غير أن هذا النازح في أحسن حالاته، هو المؤهل إلى مداراة جروحه بالغضب وبالاحتقار المبدعين.

وحتى حين يسقط في حبائل المثالية، يكون عليه إما أن يتنصل من المفارقة وإما أن يحملها في صلبه عاهة مستديمة. وهذا ما يجعل طفوليته تتراوح ما بين الينوعة وما بين الجفاف وتستحث خطوها للانتقال من الفطرة والبداهة إلى قشعريرة الذهن المضطهد. من دوام إلى انقطاع. من أنفاس متخلخلة إلى مناغاة ناشزة متوترة. وبذلك ينتهي إلى اعتبار التمرغ في الرجس بابا إلى الاضطهاد، ويبقى عليه أن يبحث عن حقنة من الشهامة غير موارب فيها كي يقيل عثاره من التناسخ حتى لا يسقط في شرك الانسجام مع المنطق المعاصر القائم على علاقة التناقض : المغامرة في مقابل المرونة، والرؤية الجاهزة في مقابل التفكير بالذاكرة.

يكون قناعه الأول أن يحتمي ببهاء السمت، ويكون الثاني أن يتأبى على كيمياء الطين فيه، ويكون الثالث أن يجد صورته في عراقة ما وراء الصورة، ويكون الرابع أن يضيع صوته في ركام الأصوات المشبوهة الخانعة، ويكون الخامس أن يتساهل مع تاريخيته فيعاملها على أنها ناطور، ويكون السادس أن يوزع القيم من الباطن، ويكون السابع أن يضرب العنصر بالعنصر وهو يمارس التجربة.

تلك أقنعته أو هوياته في حالها وفي مآلها. بها يواجه ذهوله وانبهاره، وبها يقارع حزنه وعطالته. هي جميعا مهره الحقيقي. وإلا فهو إما أن يتهجى مجده مكتوبا وإما أن يراه في مرآة يصقلها هو، وإما أن يتسوله في الفنادق السياحية، وإما أن يذرو رماده في المحيطات ويقيم مناحة ضد التلوث.

وإذا حدث أن آل الحكم إلى قانون التصنيفية فإن الاشتقاق يسفر عن حدين اثنين تكون علاقة الحياد الوارية فيهما حدا ثالثا : الحد الفاعل والحد المنفعل وحد علاقة الفاعلية بالانفعالية. ومن العجيب أن يصبح الفاعل منفعلا والمنفعل فاعلا، وتصبح العلاقة بينهما قانونا مرفوعا. في هذه الحالة، يغدو الحياد الذي هو وجدان الحدين جبنا حينا، وغموضا في الرؤية حينا آخر. غير أن الأمر في الحالتين معا ليس سوى تفسير أو تأويل لمناخ هلامي استعدائي يصبح مع الأيام مقولة دائبة البحث عن منظومة مفهومية جديدة.

يكون عليه في بادئ الأمر أن ينتزع الاعتراف من الآخرين بهذه المقولة دون أن يبدو عليه ما يشي بحافزية المصلحية. بحيث لا يغالي في تملق البراهين المسعفة ولا يتعسف الاستسلام إلى الاستنتاجات، وذلك بألا يكون إشراقيا أكثر من اللازم ولا خالعا

للعذار أقل مما يجب. عليه أن يحسن المزج ويمسك الأشياء من باطن ظاهرها ويتصرف فيها بدءا من ظاهر باطنها. (يلتمس الجلادون التطهير بصلبهم حلاجين يتجاوزون حدود الظاهر) وأن يزاوج بين شهامة العصمة وبين جلد الحقيقة الغائبة، بين آلام المغص وبين ارتجاجات المخاض، بين بلى وجدة الاستعمال. وبهذا تغدو حياته علامة تشير إلى محطاتها المختلفة تنفي بها في محطة اليوم ما ستثبته في محطة الغد. (يستجم بين المحطتين قليلا كالغاز الخامل)

الإثبات حزنه والنفي مسرته. بالأول يعيش حياته نيابة عما يتشخصن فيه من الثبات، وبالثاني يمارسها كما لو كان من الرحل ينتجعون التحول في طفرات الفصول. بالأول يحترف الدروشة القانعة بالحد الأدنى وتصانع، وبالثاني يختصر القيم جميعا في سؤال واحد دائم يدفع بالصخرة صعودا وانحدارا ويوفر ظهره لحمل قلق الحقيقة بحيث يخطئ القاعدة التي لا تخطئ، ويقتحمها من باب استثناءاتها. هكذا يستطيع أن يحلل النموذج إذا هو استأنس بالمثال وتلقى هبات الحظوة والتأثيل بكامل الحيطة والحذر، ووعى ذاته في الآخر وبه، ورأى الانعكاس في فضاء المرآة مع ما يتيحه من التشكلات، واغترف من برد النار مسافة ما يمتد حبل العقل، ولم يتزهد إلا بمقدار ما يعلم ويتعلم، ولم يبخس حق غرائزه ركونا إلى

التسامي بل تفسيرا لضعفه، ولم يفتتح الحوار بالصلف فيغلقه بالجدل، ولم يعطل حواسه ويصادرها خوفا من رطوبة الاحتمال والتوقع.

الغاية المزدوجة من كل هذا أن يحسن الإشفاق على الضعف وأن يقدر على كبح جماح التعقل بالعقلنة، وهو مشفقا ومعقلنا يغترف من ناموس الدراسة والتجربة. وذاك سلوك ذرائعي يتوارى خلف الفائدة المزدوجة أيضا : ما يصب في محيط الإيديولوجيا بالحوار الخائف المخيف، وما يصب في محيط المفهومية بالمغازلة وبالمراودة عن النفس. بهذا يصبح غير المعياري معياريا.

وغاية هذه الغاية المزدوجة أن يعرف كيف يجعل الآخر في حالة ضعف مستمرة، باستعماله الإشفاق والعقلنة بمقادير دقيقة وفي مواقيت معلومة. من ذلك أن يتجنب ارتياد الدروب السبخة والمتاهات. ومن ذلك أن يتلفع بنقاوته وبتنابز بالصمت. ومن ذلك أن يوزع إحباطاته على ذاكرتين : واحدة للنسيان تحفظ ولا تتلف، وأخرى للإهمال لا تحفظ وتتلف. ومن ذلك أن يمارس الخفي جهرا فيتسرى بالأشياء في واضحة النهار. ومن ذلك ألا يحتكم إلا إلى نفسه : هي البريء وهي المتهم وإليها يؤول الإنصاف. ومنها أن يستشرف الأشياء ويأخذ بها إن كان لها امتداد.

(2)

يفتح عينيه كل يوم على هذه "الكوريدا" الحريمية. يجلس على دست السلطة التي له تابعا أو متبوعا. يبدع طقوسه الأنيقة ويتسامح أو يتجبر أو يتطاوس كأنه بعل هذه الطقوس : يتزيى بألوانه المنتقاة وبحدوسه من أجل إقامة شعائر هذه الاحتفالية. لابد إذن من خرق العادة في الجمالي بتقديم القرابين والنذور. أيها الإنسان الاحتفالي ! يا صانع غيبه على صورة خلقته ! لماذا وقفت به عند باب الخرافة لا تتجاوزه ؟ لماذا كبحت أحزانك بالتأسي ؟ لماذا اكتفيت من الإفراط بالتفريط ؟

الذاتي فيه موقف أكثر منه حالة مرضية. هو عملته وهو المواجهة والوسيلة. هو الإحالة على الذي أتى وعلى الذي سيأتي. هو فيه الغامض والمفاجئ والمؤجل. هو خوفه ونبوءته وتطيره. وفيما بين النقطة المنفرجة والخط المعقوف يزن الأسماء بمسمياتها المتواطئة حتى ليوازي الفصام بالاستواء والمؤشر بإشارته. لكن سرعان ما يلبس وجها واحدا بنفس الحجم وبنفس الثراء وبنفس الصدامية وبنفس الصيغة.

أحيانا يفتته الاستقرار وأخرى يذبل في الفرح، وخاصة إذا أعاد النظر في تشكله الأول وهجس أن يعيده ويختبر الطينة نفسها: تتراص التركيبة بطريقة أخرى فتتقافز عناصرها من أماكنها الأولى. تتكيف هذه العناصر مع فضاء آخر غريب عليها. يتقيح اللون لمساكنته ألوانا بكيمياء نافرة. هكذا تهب منطقة الجذب العنصر ما يجب له من مقادير التدفئة والتهوية. ولما ينتقل منها تنتقل الجاذبية من مركز الثبوت إلى مركز التحول. للإمكان هو الآخر منطقه السديمي لأنه فعل غير راهن، ولأن أسبابه حادثة في الزمان وفي المكان، ولأن فعليته لا هوية لها إلا أن يبحث عنها عبر قانوني الفرز والتحويل. ولذا فإن الكائن الذي كان في التقاليد ويكون في الوجاهة يحترف السبيل السالك. هو الذي مسخ التسامح صورته. ولولا أن الذين يفهمون الباطن من الباطن لم ينقرضوا بعد، لكان عليه أن يفتش لنفسه عن مكان في مجرة أخرى، لأنه اختار أن يتعامل مع الرقم على أنه جفر، ومع خيلاء المادة على أنه عصمة الروح. هو الذي ارتدى الجبة الخضراء وطاف بها أزقة مدينة "وزان" قارئا أذكاره قراءة موازية. هو الذي اكتشف جبروت الغيب والأمية العارفة. هو الذي قلص البشري وضخم الملكوتي. هو الذي لو انعكست قوة باطنه على ضعف ظاهره لأدرك كماله في بعدين.

وبما أنه هجر وهاجر، فقد اتبع سبيل الحاضر الغائب، وهو سبيل يقود إلى النصر في الهزيمة.

الرقم دليل انجذاب نحو الأرض. ولذا لابد من التخفيف من ثقله حتى يكون الصعود ممكنا : واطئية الثقل وريشية الخفة تتجاذبان الصاعد فلا يتابع الصعود ولا ينزل : يحثه الذوق على تحصيل مزيد من الكسب، وتقعد به القدمان الكسيحتان عن العروج.

يحتقر في الرقم تردده العابث، ويحتقر فيه تصاعديته الناتجة عن تقاطع الأشباه والنظائر وتلاقحها فيه.

يحتقر الرقم لأنه يقيم رباطه خارج الإنسان وخارج الصراع. وذلك بتأليهه الشيء والفرضيات تسائل التجريد بدل مساءلتها الملموس واستنطاقها الحي.

يحتقر الرقم لأنه وسيلة إلى السلطوي وإلى حساب المسافة قبل ترعرعها كمن يحاور الفاكهة قبل أوان النضج.

يحتقر الرقم لأنه وسيلة قياس وليس قانون سبر. ويحتقره لأنه يكشف عن الخطيئة بالخطيئة ويتستر على الحياد.

يقرأ حفيظته مرتين. القراءتان تتحاقبان. يكون على الباطن فيهما أن يقوم بعمليات التجريد، ويكون على الظاهر فيهما أيضا

أن يترجم المطلق إلى عصمة تامة. يتراوح المثل المنشود بين كمال الذات وبين الانسجام مع منطق النسب. بين مماحكات العقل وبين كونية الذوق. الظاهر صراعي وناموسي يؤاخي بين المتقابلات عن طريق الإحصاء والتصنيف والترقيم. وعند انقراض الحواجز تتكشف صورة المثال في المادة، والباطن طقوسي فقط بسبب معاملته المرئيات معاملة فوقية دفعا لكذب تاريخيته الحية فيه. على أنه يخفي هذه الفوقية بنوع من المودة الحاسمة المعدة للمناسبة. وغرضه من ذلك حرصه على سلطته، لأنها ضمان انخراطه في هذه المنظومة ذات البعد الواحد.

تتقاطع طرقه، ولذا لا تتماسك له خطوة ولو على الصعيد المتماسك : الصدفة سيدة التواريخ يلقي إليها قيادة، ويأخذ في انتشال ذاته منها كلما تمكن من عقلنتها. إنها بابه إلى الناس وشرح أطنابي لرموزه المتقطعة.

(3)

يدخل المعدن في البؤرة ويخرج بالانصهار.

الالتماس يرفع التسول ماء لغة ويخفضه ماء وجه.

(زياد جمع بأبيه مفرد بأمه)

السوداوية سيدة الحيزين :
هي بين الدم وآلة الفصد
أو بينه وبين آصرة التناسل.
المشكل أن اليد العليا عليا واليد السفلى سفلى،
وأن مملكة الظن آثمة :
القدح والتلبس منها يأتيان
والفجائية فيها تتوالد .
جباة الضرائب موصى بهم
بعنفهم ونقيقهم أيضا.
وكما أن الشراسة قانون وضعي،
(قرقعة الأحذية الثقيلة على رخام الليل الشتائي الأعزل)
فإن العلامة التي بها تكون ضارية.
الأجداد في المقاصير المسحورة.
والأحفاد
- في ترابيتهم الأولى -
يؤثثون أناهم بالحلم.
أي الفريقين ينعم وأيهما يتنعم ؟
حريمية الطقوس

تطبيع فوق البنفسجي للخوارق :
يقول البحر الذي تشقه العصى مصداقية أخرى.
ويقول الأكمه مقولات النطاسي الذي أبرأه باحتفال آخر.
ثم تخبو نار الإيوان لميلاد بشارة ما، كي تقول القديم معاصرا.

الكساح.
الكساح !
شر ما في الأسئلة العابثة.
أيتها الحفريات المعرفية !
هو الوهن ـ ظلالا أو هجيرا ـ
ما تعلنه العينان المتعبتان والأنسجة السائمة.
(هكذا تنتج الحياة موتها. وهكذا لا تنتج الموت شيئا أدواتيا لأنها نسق مثالي لتفكيك العناصر)
كثيرا ما تتحاضن الأبوة والبنوة داخل أسوار بلقاء :
(التفقيس خروج من نقاهة أمكنة إلى احتضار أزمنة)
فضاء على فضاء
وقشرة تركب أخرى
ولا قرار للصوت إلا إذا انثلم برأس الإبرة.

مزمن هو المرض والحيلة في الحرف

والتعميد بالجفر :

(لكل عنصر عضو ولكل عضو حرف ولكل حرف سليقته النبطية)

ج جام فارغ ينتشي بشروخه الأولى . والمهربيده مقاليد

س سمعة سائس المهر. تلك حال

د دولة تنقرض بدءا من أدواتها، ولغة تبث

خ خريفها الصهبائي في

ر ريائها المختنق بالهواء الطلق .

ا

ف فقمة من شعاب البدايات الحوشية تبث

ي

م مواءها وشرهها في العلامات

ن نيابة عن فقمة يحرسها

ش شماس تحت أقدام شمسيته

غ غرابا لونا، وغريبا صورة :

ل لغم ويتلقى الأوامر.

ب ببغاء تبث وتلتقط .

ص   صيرفي وحده أدرى بالصياغة.

ق   قريبا منك أيتها الفقمة بعيدا منك أيها النهر !

ي

ع   عيال نحن على الفقمة والنهر.

تماثل إلى الشفاء من فرحه،

ترجل عن فرسه قبل سقوط الصهوة عليه.

ولما لم ينفع معه علاج

اعتقل الحروف جميعا

في قارورة سماها محبرة

وفي اليوم السابع استراح وسمى البحر حبرا.

يقال أن الرضيع يتناص مع الثدي

يخلقه لكي ينفيه بالامتصاص،

ويخلق في نفسه الرغبة في إطالة الحقبة

حتى زمن الامتصاص الحقيقي،

حتى زمن الاهتصار :

الفطام كابوس يؤوله الاستحواذ الآتي.

(فشتان ما بين السبحة والتسبيح)

يقترف المهن الحرة
كالسنور يعترف بالثلاجة من الداخل :
بصماته دليل على الندى وأنامله إرهاص بأناقة الاحتراس.
ورغم أن الوقاية تحرجه
فالإحراج وقتي،
(الحلم بالتاريخ أضغاث)
لأن الوعي يقضي حاجته في بالوعة المكتوب
(الاستجمار بورق الكتابة)
والفم الذي هو جسد الأصوات أداة اشتهاء شبقية،
وانبثاق لهذه الأجرومية البكر.
لعل كافورا
وابن جني
وحزمة من المهاترات
حلت عقدة لسان ذلك الدغل الشائك
الذي تنبأ في يفاعته بكهولته.
وفي كهولته بانطفائه.
يقترف المهن الحرة قائلا :
هاؤم اقرأوا كتابيه"

كيف يتندر بالنهر فياضا وتنذر له الحور جافا ؟
ويتهجى زجاج أفكاره بحجر النهر !
ثم يصب ذاته في ذاته غيلة
هي في بدايته حجم
وفي منتصفه مدى
وفي نهايته معية.
يغتسل
ثم يتماهى
قبل أن ينتفي في قرابة جشعة.
يختار أنيابه وضحاياها
ومهنة لأصابعه
ويتحمل صلف الشباك
والتهاب الشصوص.
تتنازل أنساغه الحية عن حيادها
غير أنه :
يطفو بالخفيف ويغوص بالثقيل.
وتحت ظلال قبعة قشتالية
يبتكر للمعنى بياضا بين السطرين

وفسحة زمانية لاقتناص مساحة النقطة والخط :

أفقيا بالإشارة

شاقوليا بالإيماء

وعمقا بالرمز المؤول من الفكرة وظلها.

وفي الأخير،

لا دليل على أن النهر هو الفكرة، كما لا دليل على أنه هو والنهر والفكرة فكرة زجاجية. ذلك أن المعرفة في حالة البكارة صدامية

ولميقات معلوم

يدجنها الاستئناس بعد الافتضاض.

الخوف من الدم يراق حيا

ويتوثن متسربا عبر قناة النوع والجنس.

منه منقوعا في الرمل.

منه مهدورا في الأرحام.

الخوف من الغياب المؤرق

يتعنجه جنينا

حتى ليراود الحطاب عن حطبه والقشة عن ساقها التيني.

الخوف من هذه الطاقة

تتشنج
تتشيع لذوي القربى
يمتلئ فمها بالماء
فلا هي بمصححة قصورها الإطنابي
ولا هي بملغية كل خوض فيه.
الخوف من الثلاثة وهم شائع لدى الذين يحسبون
الأشياء في طبيعتها الأولى ماء ورواء وما بين نهريها نسقا رقراقا
وأن فخارها "أغماتي" لا يستعصي على نحوت اللغة القاصرة
ولا على الإبداع المشاغب.
والآن لا حقيقة إلا في الخوف من الخوف.
فرح العناصر وبؤس المقولات :

التراب في أن يخرج نباته بإذن غريزي.
هو اللاوعي الأرضي
في الكتل والأحجام والألوان.
هو الصدفة وهي طلقة من كاتم الصوت،
ولذا يسترد ما أعطى بالموت،
ويتسمد بفضلات التشكيل وفتات العناصر المتحللة

من أجل سيادة الإبداع الدائري.

الهواء في أن يبسط نفوذه الكيميائي
على فضاء لا جاذبية له.
هو الجاذبية وهو سادنها :
الامتداد شاقولي،
وبدءا من هذه الشاقولية سفلا هو العمق.
أرأيت إلى عمق يبتدئ من حيث لا ينتهي ؟
أرأيت إلى تلك الياقة المنشاة
تؤ بن جسدين اختلفا في نسيج واحد ؟

الماء في أن يحتفي بنفسه حيا
ويتشاءم بها طاقة وانتهالا وتصويبا لأخطاء الريح.
هو المتوازي في هدير الواحد،
في أحيازه الرحيبة - الحرجة.
هو العرق المتساقط على ذهب التيجان
لا تعترف بالإرادة النقيض ولا بالراهن المهمش.
وأخيرا فإنه يهمس هديره في خلايا الأسطورة وبعضا من غضبه

في محيط الحقب المنسبة .

النار في أن تنش نورها المزدوج
إذ يضيء المساحة ويبدد الحجم :
الحجم بقابليته والمساحة بوعائيتها .
ذلك أن التاريخ منطوقا ينقرض في الإسناد
وهو مفهوما يخلد في السردية .
هي النار قبل أن تتجوهر يتراشق بها
لأنها انبثاق عمودي في المحروقات وسياحة أفقية في الحطب اليابس .

هذا الفرح الرباعي يتأوله التاريخ كما تتأوله الأسطورة :
(الكائن بمثيله والمثيل بنقيضه)
الرواسي
والعواصف
والطوفان
والسعير .
جوع التراب هنا وتخمته هناك،

انحسار الهواء هنا وانعتاقه هناك،

غيض الماء هنا وفيضه هناك،

استشراء النار هنا وخمودها هناك.

إشارة بالأصبع إلى بؤس تراتبية :

العرض والجوهر. الكم والكيف. المكان والزمان. الإضافة والوضع. الفعل والانفعال.

وإلا فالتراتبية الحلزونية : (باعتبارها نسقا تنازليا)

الرؤية - المنهج

المنهج - الميراث

الميراث - المطلق

المطلق - الغاء الغيرية والخلاف

في الوسع تطبيعها وتطويع التواءاتها : (باعتبارها نسقا تصاعديا)

الصيرورة - الانخراط في الغيرية والخلاف
الانخراط - الإبداع
الإبداع - المنهج
المنهج - الرؤية.

(4)

1.1 . من الأسلاف من اختصر تراتبيته في علاقة الكائن المزدوج الصيغة بالكائن صيغة الصيغة. ولهذا تقاسم استيحاشه حتى الدروشة والعصمة والتنزيه فألغى المبنى والتبس بالمعنى وأدمن السياحة في عالم الملكوت :

انسحاب الجسد من إحدى مسافتيه انسحابا يكاد يكون كليا، لأنه احتفظ من المسافة الملغاة بإحدى العلامات التي في ثباتها دوام للنوع وفي نفيها انقطاع له.

وفي حقبة الجسد الأولى تخمة الغريزة المروضة، وفي قطيعته الثانية عذوبة الانجذاب إلى الجوهري : الحقيقة العضوية والحقيقة اللاعضوية.

الحقب الكثير والكرامات والخرافات. ومن النقلة إلى الطفرة، تصبح الهجرة ضرورية، الهجرة فرارا من قمع سلطة مستوردة

وأخرى وطنية. (شيخ المشايخ سيدي "الزوين" ترك أملاكه هملا وأبناءه وديعة لدى أصغرهم وحج سبع مرات مشيا على الأقدام متعيشا من حرفة الأنبياء)

2.1. ومنهم من لم يختصرها حين جعل عناصرها حالات مرحلية تتواشج خارج الذات وتتنامى داخل المعادلة :

الرؤية (اكتساب الحظوة وتعويض التابعية بالمتبوعية) هي الإحساس بسلطة الذات على الذوات الأخرى إحساسا حين تتكامل جدليته يصبح حالة موطئة للمنهج (الاستدفاء بالسلالية المتميزة واستحضار الحقب المنفعلة بها) الذي هو اصطناع الاستعلاء وقراءة الطين من زاوية الانتخاب الطبيعي، وهما حالتان تنتهيان إلى تعصير الميراث، (ضمان تأثيث الذاكرة السفلى بروائح الأحجام الصلبة أو المائعة) وذلك باستدبار المرآة العاكسة لخلف لا يرى لأن اتجاه البصر أمامي. في هذه الحالة يتنامى مفهوم الإبداع (اجترار كينونات سابقة قصد ترميمها وتجميلها) الذي هو تنويعات على صيغة جاهزة حين تستشري تصبح مطلقا يلغي غيره من المطلقات.

هي ذرائعية تتنسم هواء المصاهرات الرابحة والعيش المترف والسلطة المباشرة على الأقرب فالأقرب.

3.1 . ومن الجدات من اختصر عناصر هذه الترابية في المسكنة : الخطوة الأولى موقف رافض. والثانية انبهار بواقع غريب الجبروت. والثالثة إقصاء الذات من فراستها وتقريبها من صورة التشكيل المدجن. والرابعة حصر الحضور الروحي في شعائر حب حزين أساسه مصداقية دم العشيرة. والخامسة غيبة العلاقات والاحتياج والممارسة في مقابل تكتل الحجم في حجمه وفي راهنيته.

هو العيش إذن حركة في الأحياز اعتباطية آلية لأنها رغبة صارخة في التهميش (الخمول نعمة والظهور نقمة) ووأد لألق الطموح والتجاوز.

4.1 . ومنهن من لم تختصرها، بل أبقت على استقلالية مجموع عناصرها ولم تصهر فيها حالات مرحلية تتواشج خارج الذات وتتنامى داخل المعادلة، بل جعلتها وعاء لتسلسلية ثوابتها : المتقدم منها علة للمتأخر.

الاحتفالية في ممارسة الطقوس البيتية : (تحصينا للبيئة ولتاريخيتها) جمالية العادات والتقاليد، (تطرف في البذخ واعتدال في التقتير) توثين الهندام بالتزيينية الموروثة، (مسألة الظرف والمظروف) قداسة بدائية للموسمية. (الثابت ديني والطارئ صدفي)

1.5. الأبوة حالة ينتقل إليها ومنها. (من العطالة إلى الامتلاء والعكس بالعكس) هي تركة جسدية خالصة تحقق التواصل في الملامح والعلامات توحدهما في إطار قانون الوحدة في التنوع.

غير أن الأبوية داء يتسرب إلى مسام النفس يمازجها فيتأزل ويتأبد. هي عدوى طارئة تسببها حالات الجسد المتغيرة. فأيهما أفعل في علاقة الإسناد بحديه السابق واللاحق؟ المنقطع أو المستمر؟ المنقطع علة والمستمر معلول، وكلاهما يصب في الذوات تلك الرضوض التي تشفى من الأديم وتحتفظ بسر المرض في الغور.

1.6. كذلك الأمومة، إنها حالة ينتقل إليها ومنها. (من الانفعال العاطل إلى الانفعال الممتلئ) هي وعاء جسدي خالص تتناسغ فيه ملامح وعلامات الودائع الموضوعة فيه.

غير أن الأمومية إقامة بالغريزة في طور يتكرر بالفعل وبالقوة. (في الإنجاب والإنجاب المضاعف) هي عدوى مزمنة تسببها حالات الجسد المهدور. ولذلك، فليس منهما المنقطع وليس منهما المستمر: المنقطع مستمر بذاته، والمستمر منقطع بغيره، وكلاهما يصب رضوضه في الذات الفاعلة وفي الذات المنفعلة. وهي رضوض تعالج آنيا ومحليا ولا تستأصل.

1.7. شذوذا تورث الخوؤلة. وإلا فالمعيار أن يورث طرفاها معا في صيغة طرف واحد: اللامبالاة حتى الإهمال والسياحة حتى التشرد وحين تذكر أو تؤنث هذه الخوؤلة، يصبح الحاقد والحاقدة والذميم والذميمة والمتسامح والمتسامحة والضعيف والضعيفة نصالا تغمد في جسد واحد، ويصبح البحث عن رديف لها أمرا ضروريا من أجل أن تعمل على إشاعة الفوضى بإنتاجها نسلا معقوفا.

الرفاهية والكثرة جوع آخر. والسبيل الأقوم أن تتناسل "الجينات" دون أن تمتزج بمحاليل المختبرات. تفعلها الصدفة وتقوم الممارسة اليومية اعوجاجها. وإلا فالأحسن النكوص إلى جاهلية التكاثر والعصبيات إذا تعذر عمل العقل في مقولاته وتلاشت جدليات المعرفة بمنطق اللامنطق.

سلطة المعرفة:

(1)

1.1. يكشف "المسيد" عن "سر اختلال المتخيل والخيالي، عن تدمير الواقع الفطري، ثم يسائل الذات المتشكلة مساءلة سابحة في غير اتجاه مجرى التيار. هو الاحتكاك المباشر بالغربة وبالغرابة. هو النزغ العرضي يستبدل الخلية بالبؤرة: يتسول إحداهما ولا يفعل في الأخرى.

لـم تدون هـذه الإدانات ؟ (رفـاهيـة القـول وترف المـمـالأة) ولمن تبث والبـاث سـمعه منطفئ في بصره ؟ صحيح أن التعبير البيتي متواطئ إلا أنه ذو مدى. (معاناة الاشتقاق من دم آخر) وصحيح أن أجرومية "المسيد" وسيطية حاذقة إلا أنها مع ذلك التحام بالغير والسوى وانتقال بالآدمي من صناعة السليقة إلى سليقة الصناعة : تأويل المحتمل وتشف في الفكرة التي قيمتها في الرمز.

يقال للذي ينتعل الحذاء وقاية الجلدة القدمين من الفساد : أن الحذاء لتسهيل الخطو، وإلا فالجلدة من الجلد فيها من المقاومة الذاتية ما يقيها لسع حسك الأرض وشر حصبائها (محمية بتداخل الاختصاصات) وهي تنتقل من محيط الشكل إلى قطره جيئة وذهابا جاذبة ومجذوبة. تلك حالة "المسيد" وتلك حالة الذات التي تتماهى معه وفيه.

حسيرا يقتبل "المحاضرية" حسيرا يحشو أمعاءهم بنقيق الكينونة المنقرضة. حسيرا يلفظهم متخومين بالتراتيل القبورية. حسيرا في ثنائية التجريد والتسليم. حسيرا في تبشيره بأمية العصامية. حسيرا يعي أن هذه المجردات تبعيض يؤدي إلى بؤس الفكر.

"المحاضرية" يبحثون عن قسيمة تأمين ضد الحرائق، (التوالد الأهوج في المجمعات السكنية. إلغاء النوع بحجة الاكتظاظ. الحفاظ

على التوازن في الطبيعة) ويثأرون لأنفسهم من الصدفة يباغتونها بفجيعة الهروب إلى تاريخ نقيض. (الراهن ينسخه المتخيل، وهيبة الفطرة تستبدل بهيبة العادة) فأين يمكن العثور على هذه القسيمة؟ أي الخسارة خسارتهم إن استحال الكسب ؟

لو أن الأسماء (المادة الخام التي علمها آدم) وازت مسمياتها لأصبح "المسيد" خلقا على خلق، أي صياغة عمودية على أخرى أفقية. وبما أن الدلالة تنكسر برتابة الاستعمال ورثاثة التأويل فإن إحدى الصياغتين تنقطع في الأخرى انقطاع الألفة بالاستيحاش.

ويسقط "المحاضرية" في سعير تتمايع مقامعه وتتسايل : الارتطام حار وكثيف، والانسحاب تياري ورخو. كيان مازوكي يبرر اللذة بالدم، وفضاء حدادي يجأر بالشهيق من كاهله ومن أطرافه. ومع ذلك، يفرج "المحاضرية" عن المقدس ويضربون الحصار حول طقوسه رغبة في سلاسة الممارسة.

وسواء أطال عمر "المسيد" أم قصر فإن لبذاءته قوة التخدير التي في العادة. (الكناف يشم بالعادة أريج النتونة) هكذا يصبح "الصلصال" و"الصمغ" غذاء أرضيا وماليخوليا جسدية.

1.2. يوصى خيرا "بالمحضري" أول عهده "بالمسيد" لأنه غريب : غريب الذات في وعاءيها الجسد والروح. غريب اللغة في بعديها المنطوق والمرموز. غريب المحيط في حديه الزمان والمكان. غريب الانتماء في وجهيه الطبقي والسلالي.

1.3. تعلب الذات فيما هو أقل من حيزها، وتطالب بالتكيف مع مساحة غير معتادة بتضئيل الحجم وتقليص الكتلة. وبهذين تنقطع الصياغة الجاهزة الأولى عن الصياغة الثانية التي لا تزال في رحم التشكل. الغربة الذاتية إذن منشؤها تعاقب وصفين على موصوف واحد متشكل أساسا من مادة تقبل الجسدية (الحجم والكتلة) والامتداد والانكماش، ومن معنى تجريدي لا يقبل هذه جميعا. (الروح والروحاني) فكيف تعامل اللاصياغة بما تعامل به الصياغة ؟ (جزئية الكلي وكلية الجزئي)

1.4. يقول الثغاء الذي هو الجريرة الصوتية الأولى بحدسيته ميلاد الأحاسيس وتناسل المكنونات واتقاد الآلام. هو شكل متراص إن جرى على غير نسق أجرومي فهو جار على الفطرة. هو الإيماء المستفز يخلخل عالما لا مطلق له. هو لغة التعين. (المسمى بالاسم)

غير أنه ينكفئ على نفسه وهو يداهم لغة رموزها أكثر عددا من مرموزاتها. يختنق بهذا التشتت ويكون عليه أن ينبهر فيسير، أو أن يسائل فيتوقف.

الثغاء مرموز ومنطوق، عضوي ولا عضوي في آن واحد. ولذا فهو دائم الإخصاب دائم البحث عن تفريعات دلالية جديدة. أما اللغة فمنطوقة لا غير. إلا أنها لقصورها تلتجئ إلى الرمز، وبذا ـ وهي العضوية ـ تسخر النقيض لخدمة النقيض.

وحين تقتحم اللغة "المحضري" تعصره بأجراسها وبأسانيدها. فإن هي هيمنت برئت فيه، وإن هي تخاذلت بريء منها. أليس من الغربة أن يكون أحدهما داخل خارج الآخر ؟ والحال أن الفاصل بين الحيزين ليس سوى مسافة التواصل وهي قيد الإنجاز.

5.1. ويكون المحيط أول ما يكون عيانيا، غموضه واضح ووضوحه غامض. بسبب من انعدام المعيار الذهني لدى "المحضري" لأنه يفكر بالمشاهدة ويمارس الانتقال من الجهة إلى الجهة، ومن المدى إلى المدى بالطفرة. طفرة الكتلة من النقطة إلى الخط.

النقطة حد تجريدي، (المدى) والخط حد رمادي، (الجهة) معقول الأول في الفلكيّ ومعقول الثاني في التعاليمي. غير أنهما

إن جهلا عيانيا في البداية، فإنهما وعاء واحد أي ظرف ومظروف في الآن عينه.

وفي "المسيد" تنهار وعائية الوعاء ويصبح الدخول في شبكة شائكة من العلاقات بين الجهة والمدى أمرا لا مناص منه إن أريد الكشف عن القوانين التي تتحكم في حياة ستأتي. هذا الدخول - الانخراط في مقولات عارية ليس سوى غربة للفكر وتيه في المجردات وبعد عن خامية الذات.

1.6. ويحول لون الجبلة الأولى للانتماء إبان انصهارها الثاني بحيث تبدو وكما لو أنها انتساب بالولاء إلى كل شيء ولا شيء في الوقت نفسه.

يتشبع المحضري "في البداية" بماهيته، وهي انتماء بالعاطفة وبالعادة. (تباين الغرائز ووحدة المصلحة المتبادلة) وينكر تلوث البيئة بالنوعية وبالصنفية، يتشبث (ما أسعفته المناعة) براهن لا سوابق له ولا خدوش في بياضه. ومن هنا فهو في غير حاجة إلى تنظير أو نمذجة جذورهما في التاريخية أو في الرحمية.

لكن "المسيد" وهو خلية تنغل بأنماط متباينة تتعايش فيما بينها بشكل من أشكال التعايش يفرض التفويج والفئوية ويدعم جانب

السلالي والطبقي. (بشرة ترفع وبشرة تضع. كيان مستقر وكيان مهتز) وبهذا يفتح باب الغربة واسعا فيقتحمه "المحضري" مرة مدينا وأخرى دائنا.

(2)

1.1. يتشيأ الكائن بالعاهات الجسدية والنفسية. يكون عليه أن يرتطم بالعالم بدل أن يبادئه بالاقتحام. العاهات بوجهيها تتعايش في ظل مناخ لا هوية له : عطب قسري يتحول مع جراحة التجميل إلى اختيار. تيار كهربائي ذو سرعة ضوئية يسري في غضون الأعصاب وفي متاهات الباطن. انتقال سلحفاتي من طور الأعراض إلى طور المضاعفات. الخلخلة هنا وهناك : هي في المحتملات وفي المسلمات. هي في الأعضاء الشلاء كما هي في الأجهزة التالفة.

2.1. الخطوة الأولى في محاولة التخفيف من حدة الارتطام، والخطوة الثانية في قراءة العنف من غاياته لا من وسائله، والخطوة الثالثة في تقويم الأعضاء بالغريزة دون الصناعة، والخطوة الرابعة في فهم الخيارات من موقعها لا من موقع النظرية والخطوة الخامسة في تقسيم السلطة بين المدرك واللامدرك بالتساوي، والخطوة السادسة

في التعقيب على اليقيني بما يميز الموقف عن المصلحة والبدائل عن البدائل، والخطوة السابعة في تحديد مجال عمل المركبات ومجال عمل البسائط، على أن تبسط الأولى نفوذها في التعاليم والثانية على المجردات.

هذه الخطوات محطات تحقن بالطاقة الحية كلما جفت شرايينها. هي ذلك الجريان الأهوج المسمى جدول أعمال جلسة قادمة أو محضر جلسة سالفة.

3.1. الشرخ المستديم يتلف التقاطيع الجسدية الظاهرة ويذهب برواء الإضافات والشروح والحواشي تغطيان ما في النص من التقصير. أين الهوس الداخلي ؟ أين جنون الرؤيا ؟ أين الطقس الملائم للولادات الجديدة ؟ أين العقلنة الرهيفة تكتشف وتكتشف ؟ أين المعايير التي لبرودتها مضاء القرار ؟

كل شيء مستند إلى عاهته. بها يساوم وبها يداجي. ولأنه محاصر بأغراضه، ولأن أعراضه انفتاحات على عاهات أخرى، فهو مأزوم وإلى إشعار آخر.

1.4. تحمل العاهة في الظاهر وفي الباطن. تسير وفق ما يمليه عليك تعثرك الحتمي. توقف هذه الإرادة الصدئة عن أن تريد. الحياد العنيف ضروري لأنه يتربص بالفكر كلما استبدل لحاءه وانتقل من منعطف إلى آخر. الجبن الفاعل ضروري أيضا لأنه هو الحركة السرية تقول الحقيقة بالصمت خوفا من إيقاع رعبها. (لنقبل جدلا أن النميمة تهميش الذات وأن العاهة إيقاع بها، فكيف إذن يميز بين الموصى عليهم وبين الموصى لهم ؟) وضروري مرة ثالثة الزنى بهذه الحضارة المنفعلة لأن كل شيء فيها يعبأ في استمارة، وضروري مرة رابعة المرور في عجلة والتقاط الفيروسات اللازمة لإشاعة الفوضى والتدمير، وضروري مرة خامسة خلع الهامة والاقتصار على جسديتها كي تكون الإصابة بالعاهة مميتة، وضروري مرة سادسة تسول النظرية الناجعة من أجل ترميم المقولات التي علاها الصدأ، وضروري مرة سابعة الاكتفاء بالجاهز وبما يقيم الأود.

للجسد المشروخ سيادته على قروحه وللروح المنهوشة جنونها السلطوي وكل منهما يتضجر من فحيح هذه "الخيمياء" التي تلين الحديد بالجفر وقد أعياها أن تلينه بالصهر.

1.5 . الذين أحصوا العاهات الجسدية لم يعثروا إلا على صنفين منها : شرخ في العضو وخلل في الجهاز . غير أنهم لم ينتبهوا إلى أن العضو المشروخ والجهاز المختل يعملان بصورة جيدة بدافع المنافسة . (السعر الحراري يعمل مرة في الصحيح ومرتين في السقيم فينتجان زمانا ومكانا نفس المسافة) المسألة في غاية البساطة : سقم الوعي وسلامة اللاوعي . الهوس هنا وهناك، غير أن حيز هنا لا يؤدي إلى حيز هناك .

1.6 . والذين أحصوا العاهات النفسية لم يعثروا لها لا على أصناف ولا على تصنيف فعوضوهما بصيغة التبست عليهم بصورة آهلة باللغة خالية أو تكاد من العلامة . ولذا فإن ما استخلصوه في حفرياتهم من المعايير صب مائع النشاذر على صفحة فضاؤها الداخلي أبيض بمداد اللغة وفضاؤها الخارجي أسود بمداد الأبجدية : كل ذلك اللغط أمحى وعوضت عنه دلالة بكماء . (لتقاطيع الجسد شأن أي شأن مع جسد لا يتزيى بمقاسه)

والخلاصة أن الهبوط المفاجئ تستشعره النفس إما بالذاكرة الاستردادية وإما بالاستبطان . هذا الهبوط بهذا المفهوم عبارة عن تداخل لا عضوي يخلق نوعا من الاكتئاب ويحدث الاختلال ابتداء من ذلك الزمن الذي تتكشف فيه تفاهة الغايات .

كيف إذن يمكن مع هذا أن يكون من وراء القصد مفهوم ولو اعتباري ؟ كيف إذن تستتب السيادة لهذه القوانين الموسمية ؟ (قارنوا انتكاس اليقيني بنقاهة المحتمل، ثم هلموا إلى البدايات الفجة !)

(3)

1.1 . يصل العقل إلى مرحلة الترقيش عند مساءلته المحيط. تكبر الحواس في فضائها. تتعرف عليه وهي تتحرك به وفيه. يستعر الحماس فيهما. ينبغي أن يصلا في الوقت المحدد كي يقع الاقتناص. كل هذا الالتقاط ممكن أن وجد الوعاء الذي يستوعبه.

تقول البيداغوجية إن العقل استوى على سوقه، وتقول الأبوة إن النقلة يجب أن يحتاط لها حتى لا تسقط في حبائل المنوالية : عادة السقي وعادة الاستيلاد في التربة وفي السماد. وتقول البنوة مقولة لا تزال في جبلتها الأولى : الاختيارات الصعبة هذا أوانها الذي يتواطأ على الأشياء، وإلا فالمعرفة معروف مبتدأها وخبرها، إذ المفروض أن اللغة تحرك غائلتها لا أن تتحرك فيها جامدة. لهذه المعرفة وجهان صدئان بأثر رجعي، هما الحنين والتطلع، إذ فيهما ينوعتها وجفافها، كسبها وجبرها.

وبعد أن تصبح الكثافة أمانا من ملابسات الهزال في العقل وفي الحواس تعتبر إنجازا تلقائيا لا تفعل فيه المعايير المعرفية ولا تضبطه المقاييس التلقيحية إلا بالتفريخ الصناعي الذي يغلب عنصرا على عنصر، ومواصفات على مواصفات. لكن الكسبي وهو مقحم على ذاته، يحفز الفعل في ردوده وفي قدرته على الاستبدال. أما الاصطناعي وهو مأجور، فهو يقيس مسافة الإنجاز بمسافة المأجورية ويدون طموحه بميزان.

تقول البيداغوجية إن الكثافة دهنية الملمس دبقة التقاطيع، وتقول الأبوة إن الموروث الجسدي تكرار منقح لهذا الشكل الذي هو نوع داخل النوع، (الجدلية تربيعية) بل إنه تقاطع يتنامى لحظة تقاطعه، لكنه عند انفصال المتقاطعين يحمي كل طرف جرثومته خوفا عليها من الضياع في تفاصيل الطابع العام. وتقول البنوة إن الانفصال بالتفريع والتقسيم يستلزم الاعتراف بالمنفصل دون المنفصل عنه (اعترف به ضمنيا) في خطواته الصغيرة المتعثرة في ظرفية حياتها وموتها، لأن الكثافة أن يستمر الهو بما هو لا بما هو نسغه.

وبعد أن تعلو السليقة صهوة العقل في الحواس والحواس في العقل، (منذ آدم والأسماء نطف قذف بها في أرحام إما لأنساقها

دلالة أمامنية ومدلول خلفي، وإما دلالة خلفية ومدلول أمامي) يتمكن الكائن بها من استعارة هوية مشاركة (بالكسر) قائمة بذاتها، مالئة قدر حجمها وكتلتها غير أنه لا شيء يعطل قدرتها على الإجراء كزعمها التجذر في الأرومات والتراث. ذلك أنها تتوالد عبر شبكة من الاتصالات والانفصالات في الذهن وتدفع بها إلى الخارج على شكل صور مفهومية. هي إذن إنية خاصة توجدها ظروف خاصة وتفجرها طاقة خاصة. ولأنها كذلك، فهي كخليلة يوم الأحد تتمرغ على سرير وتتأبى على آخر.

تقول البيداغوجية إن السليقة انبثاق من الباطن إلى الباطن رغم تجليه على الظاهر في صيغة ردود أفعال. إنه على عكس المكبوتات تتماهى بانتقالها من الكمون إلى الظهور. وتقول الأبوة إن التدجين من الداخل سياق لا يقود إلى إنية الحرفة بقدر ما يقود إلى الاحتراف. إذن فليس هو إلا احتراق الجهة لاحتراق الحيز. هو البؤرة والقالب والتفريغ. وتقول البنوة إن الباطن انفعال وإن الظاهر ممارسة، ولذا فإن كلا الإجراءين يعلن عن سيادة التجريد.

وبعد أن تصبح الفراسة بصمة راسخة على نسيج العقل والحواس (من الخيش إلى الحرير أي من النعومة إلى الاخشيشان) يتسايل الخط على اللون وهذا على الظل وهذا عليهما، ويكون هذا

التسايل مزجا وجبلا إما بانقطاع وإما بتقاطع، حتى لكأن الشكل وصله في فصله وفصله في وصله. على الفراسة إذن أن تكون معرفة تسبق معرفتها زمانا ومكانا. عليها أن تسبق الأحياز وأن تتأول وأن تتحرى مواطئ قدميها وأن تتسول المقولات إذا كانت قادرة على اغتصابها في نواتها العصية.

تقول البيداغوجية إن الفراسة تختر في الدم في مسار يبرهن عليه رياضيا بالتجريد ويلمس بالنسبي. وعند تخوم الرمز يقوله الحبر الجاف كما لو أنه انحسار التيار واندفاعه، فلا هو غموض فيفيض ولا هو وضوح فيغيض، وإنما معقوليته كل معقوليته في قبليته وفي بعديته. وتقول الأبوة إنها عراقة (عنصر فيزيائي مشع) تحتكم إليها الأعضاء التي شوهتها النبؤات. وتقول البنوة إنها تصويب بالقلم الأحمر لخطإ لم يرتكب بعد.

وأخيرا تعمل المدرسة في العجينتين ومزجا وتركيبا وظيفيا بتوريطهما في معرفة توزن وتقاس وتكتال. معرفة تستلم بوصل لا يسترجع إلا بعد انتهاء الخدمة الإجبارية تختصر الالتقاط في مسافة ما بين المهد واللحد، (الحيز يمتد والظرف ينقطع) والحال أن عمر الامتداد والانقطاع ضوئي. غير أنه لا أغشى من اتخاذ الوسيط أداة توصيل واستنساخ، وإلا فالمطلوب تعدد النسخ المتحدة في تنوعها واختلافها.

تقول البيداغوجية إن المدرسة صياغة معرفية على صياغة غرائزية، (قرابة الدم على قرابة الحبر السري) تستنزف أولاهما الثانية بجبروت الكتابة وتستنزف ثانيتهما الأولى بطاغوت الجسدية. وتقول الأبوة إنها تطبيع الفطرة وتقليم مخالبها حتى لا تخدش دون رادع. وتقول البنوة إنها مراهنة على مسخ الذات في أوصاف أخرى بفسخها العقدة المبرمة بينها وبين الأشياء والأسماء.

لا تتيح هذه "الكوريدا" فرصة الاختيار، فإما مواجهة القرنين الحادين الحاقدين، وإما النكوص على العقبين والاحتماء بالسياج الخشبي. إن كل شجاعة ابن آدم في لغوه بالصراخ وراء الأقبية والجدران الآمنة. ماذا لو امتدت ألسنة النيران والتهبت الحرائق في المرئيات وغير المرئيات ؟

1.2. هي مدرسة وهي "مسيد" في نفس الآن. يتآخى فيها المنهج بالتسيب، وتقام فيها شعائر طوطمية نهارا وتهجدات صوفية ليلا. الورع نظر وتخطيط، والدعارة من وراء القصد ممارسة.
هي مدرسة وهي "مسيد" اتخذت من ضريح أحد الأولياء مقرا لها. (مقبرة تحتضن رؤوسا أينعها نقيق الباطن وجثثا ورمها الغذاء الأرضي)

أرضها ذات تقويرات زليجية متنافرة : النشاز في النسق وفي الأسلوب، هي الجنائزية حاضرة حضورها الفاجع. وهو الطقس الصوفي المهيمن : الموت هو المآل، لكن جلاله يسقط في حبائل إدمان الاختلاء به.

وهو فقيه وهو معلم في ذات الآن. عراقته على جبهته : أمي، غر، سادي، حلاف حنات، أكول شهواني. متشبث بالحيزوم وبالصاري، متسلق سلم المبادئ والقيم أصالة ونيابة، باحث عن الراهن في الراهن، متلبس سلالة تاريخية ليست له، مسرف في تهافته على السلطة حاضرة أو غائبة، سادر في غلواء فرح يقيه شر عثرة ليوقعه في أخرى، متسلل كالعنكبوت.

هو فقيه وهو معلم بابه إلى العالم الذات وسبيله إليه سيادة يمارسها عبر منافسة دنيئة يواجه بها النظراء والأنداد بالتلويح بشعارات ذرائعية وبإدمان إثارة الغبار الإشهاري. (منطق إعلاميات الاستهلاك) كان هدف المدرسة ـ "المسيد" أن تحقق الهوية في الديني وفي الوطني وفي القومي وصولا إلى كونية المحلي وحفاظا على محليته في كونيته. فهي إذن كانت حقيقة في راهنية التشكل. أما هو، فقد فسر هذا الهدف باستقطاب أكبر عدد من التلاميذ يحتفظ بهم أطول مدة استدرارا لدوام الاستفادة من نوال

الآباء. (الرمز والإيحاء في تقرير كتاب : "قطر الندى وبل الصدى" أقوى من معرفيته) ماذا ينتظر من محيط موبؤ ؟

3.1. المدرسة - "المسيد" خلية آهلة بأصناف الانتماءات والتكتلات، ولذا كان الاحتماء بالمماثل فيها شريعة تحدد الصراع والإحساس بالتفاوت والانتماء : الأول علة للثاني، والثاني علة للثالث. (يتذوق الطفل فاكهة الفوارق من الشكل) وهكذا مثل أبناء الفعلة ستين في المائة وأبناء الصناع التقليديين عشرين في المائة وأبناء ملاك الأراضي الفلاحية عشرة في المائة وأبناء الأشراف ستة في المائة وأبناء كبار الأعيان وكبار التجار أربعة في المائة.

هذا ورغم أن أبناء الفعلة أغلبية إلا أنهم مقموعون من وجهين : ضراوة الفقيه - المعلم وتعالى أبناء الأعيان. وفيما بعد، انتهى أغلب أبناء الفئتين الأوليين إلى حيث انتهى آباؤهم فعلة أو صناعا أجراء، في حين امتهن أبناء الفئات الثلاث الباقية مهنا حرة ساندوا بها انتماءهم ودعموا استمرار آبائهم فيهم.

4.1. حدث أن أحد المقموعين من تلاميذ المدرسة - "المسيد" ضرب أحد المحظوظين منهم على قفاه بشدة تعبيرا عن انتمائه.

كانت الضربة من القوة بحيث حجظت لها إحدى عيني المضروب ثم تدلى بؤبؤها وكثير من عروقها من جفنها. كان الموقف رهيبا. ركن التلاميذ إلى جوانب الضريح تنصلا من تبعة ما حدث. تقزم الضارب وتباله، أحس الفقيه ـ المعلم بفداحة المصيبة المزدوجة. اصطخب كعادته. انهال على الضارب. قمأه بركلة انكفأ لها على نصفه الأسفل وحشرج كأنما يلفظ أنفاسه الأخيرة. مال على المضروب مأخوذا بهول الفاجعة. وضع الكتلة المتدلية من الجفن في راحة يمناه. بسمل وحوقل ثم لطم العين نفسها. عادت الكتلة إلى مكانها المعهود. رمش المضروب بعينيه حتى طرفت. أغلق عينه السليمة كي يجرب المصابة. أخبر بأنه يرى بها جيدا. فرح الفقيه ـ المعلم لهذا الكشف يهتدي إليه بالصدفة. عادت البسمة إلى شفتيه. تنبه إلى الضارب وكان لا يزال منكفئا ينشج ويتقطع في حنجرته البكاء. زحزح جسده الساكن بحركة من قدمه اليمنى. استجاب الجسد إلى الزحزحة فقال الفقيه ـ المعلم : "للقطط سبعة أرواح" وأشار إلى الضارب ثم تابع بحنو وهو يرنو إلى المضروب : "ليس الخيش كالحرير".

وفيما بعد، كان على الضارب أن تضيق به الأرض بما رحبت فينخرط تحت إلحاح الحاجة في الجيش الفرنسي وأن يموت غريبا في

الهند الصينية، وكان على المضروب أن يحصد ثروة من تجارته في تصدير زيت الزيتون إلى الخارج.

5.1. أمر الفقيه المعلم التلاميذ بالكف عن الترتيل بعد أن رآهم منصرفين عن ألواحهم العرعارية إلى النظر إلى أعلى السور المطل على صحن الضريح مما يتاخم جهته الشمالية. كان "الدباغة يمرون عليه جيئة وذهابا حاملين جلودا مبللة نيئة أو مدبوغة جافة أو أوعية خشبية ينقلون بها الماء إلى "المجايير". (من عادتهم ألا يرتدوا السراويل) ثم قال: "أيها الدباغة يا أولاد الكلب!! استروا أيوركم الهزيلة الملطخة بمسحوق "تاكاوت" إذا كان لابد من مروركم. إن عريكم يوقظ شبق تلاميذي!"

خجل التلاميذ الذين ضبطوا في حالة تلبس. أضفى صمتهم التام وقارا على صيغة الأمر وعلى الآمر. أسند الفقيه المعلم خده الأيمن بباطن راحة يمناه كأنه يستنكر هذا العري يخدش الحياء ويزري بالتعاليم السمحة التي أسست المدرسة "المسيد" من أجلها. (هي الجغرافية تجمع بين النقيضين، وهو التاريخ يناوئها من خلف حجاب) مال الفقيه المعلم على أحد مدلليه هامسا: "للدباغة أجهزة ناجعة، أليس كذلك؟ ودون أن يتلقى التلاميذ الأمر بالعودة إلى الترتيل رفعوا عقيرتهم به، كأن هذه الالتفاتة الداعرة حللتهم

من الاستمرار في الصمت. هكذا كانت المدرسة ـ "المسيد" ديرا ومباءة.

6.1. فرضت سلطة الحماية الفرنسية على المدارس ـ "المسايد" ألا تعلم الرياضيات بالعربية مبررة ذلك بقصور هذه اللغة عن التبليغ. وأوكلت أمر السهر على تنفيذ هذا المنع إلى مقدمي الحارات وإلى العسس، فهم عيونها وهم أرصادها. لم ترضخ المدارس ـ "المسايد". قاومت في السر.

غيرت مكان التلقي من التجلي إلى الخفاء، (دور عريقة قابعة في زوايا ضيقة لا يهتدي إليها دليل ولا تدل عليها خريطة) ساير الفقيه المعلم هذه المقاومة بتقزز توزعه جنوحه إلى السلطة وخوفه من الخروج على الإجماع. ولذا طالب التلاميذ بالحضور إلى بيته عشية الخميس وصباح الجمعة من كل أسبوع (زمن ميت تدرس فيه رياضيات مزدوجة) لتلقين هذه المادة في الخفاء في فضاء عار وخال من الرقباء.

ولأن الفقيه المعلم كان يجهل الرياضيات فقد جانف في تلقينها الجدل وآخى بين الرقم والذاكرة. اختفت الفوارق في الأعمار وفي المستويات، وأصبح التلاميذ سواسية أمام الرقم في صحته وفي كسره.

VII

من هذه الشجرة منحوتاتي

نخاسة :

يطمح النخاس إلى ترويض قينة ببديهته تجيد الرد وبوسطاه وسبابته تحرك ميزان العود وبذاكرته تفصد الأشعار.

طموح كالمدى وقامة في طول ساق السنبلة.

تكشط المادة اللزجة عن البشرة

تحتها الضيم

وتحت تحتها الرماد

وسيكون أن أقول له بصوتي المتفرد لغة أخرى.

أفكر في العروج وفي ثقلي على درجات السلم.

إن تلغ الجاذبية يصبح الهواء حدا وسطا بين الهواءين)

وأفكر أيضا في صيغة أتسول بها المسافة وعجين الطينة.

(لا تزال تحتفظ في نسغها بنسبة عالية من الغبار الميت)

لا أستطيع تعيين مكامن الكدمات من عظامي

كما لا استطيع ضبط رتابة الفولاذ في الأصفاد :

أنا رازح تحت نير المائدة واستدارتها.
قارب يحتضر وسط العباب لهفوة نوتي،
فأس حادة على الأعشاب الهشة،
نظرية بمعمار متكامل على مقولة سبخة.
تلك نخاسة لابد من إعادة النظر إليها. ولتكن إعادة نظرٍ !

سبي :

يلبس بعضهم خيلاءه فقط.
وبه يتحصن من السبي التاريخي.
إلا أن بعوضة النوم والضحك والبكاء تصاقب ريشه
من جهة ما هو لغة مرابية،
ومن جهة ما هو ضائقة.
وكلما انفرطت أو اكتظت
كانت حصيلة البيع والشراء أن السيادة للحواس
وأن القربان فدية.
لعل التكافؤ منعدم في هذا القداس الطوطمي المعاصر
يركض خلف الشيء الذي خلفه.
فتح باب سوق السبي ولم يغلق. تغيرت أنساق البيع والشراء
وأساليب الحيازة.

بقيت المبادرة في يد "الزمارنة" حينا وحينا آخر في يد "السراغنة" من حيث انسحب منهما من تؤول إليه أتاوات المواخير. (الجبايات على قدر المعاملات) من هنا فإن تدجين الذئب بدءا من "كروموزوماته" ضمانا لراحة الحمل إجراء تبسيطي للمسطرة وسلوك ليس إلى الخيار فيه من سبيل.

عراء :

أسترجع مرقعاتي والعراء المباشر لأمثل به بين يدي عناصر تحرسها مقولاتها المحتشمة. تزعجني أن تكون النظرة الجانبية بمجموع الحاسة.

وما يدريك أن أكون ذلك اللغط الذي يقلق مسامع الكون !
أسترجع المرقعات في صيغتها الاسمية فقط.
أعين لها جغرافية وعوامل تعرية وانجراف تربة.
أقيس البعدين والمواطئ والإشاعات.
وبعد ذلك أرحل في هذا العراء الحالم.

أوكد أن العراء قبالة المرآة نوع من تربيع الذات : بكاء سيأتي، وشعيرة حاضرة، ضحك تحقب وتهجد مهجور. وأؤكد أيضا أن العراء الحق ديناميت يفجر الراهن الرث لصالح آت لا عورة له.

البلاد المحجبة مختفية في عيونها الضيقة وفي صفرة بشرتها وانسدال شعرها وامتداد أصواتها في غمغمة خيشومية. في شبكة رموز مباركة. (لم يتم لكم الاستحواذ السلمي بعد على الكوكب الترابي)

الغابة المحجبة مختفية في فعل العراء.

(ولا مصداقية للسفور إذا كان عراء لا غير)

وشاية :

معي شاعر مغلوب بحرارة الرأس ومجتمع فيه العالم. يغازل مقولة ويضاجع أخرى. ينكس بيمينه المحور وهو دون نقطة الارتكاز يحب في غياب الآية والإصحاح ويكره في حضورهما. سادن مزارات "طليطلة" وأضرحة "شنترين" كتابي من مخلفات "القبالة" و"العاشق والمعشوق" و"الفصوص" والفتوحات وذمي في الموازنات وفي الوشايات :

- من وزع المناشير ليلا ؟
- حصانتها الذاتية !
- المناشير المؤلبة !
- أسأل "المقدم جمال الدين في "السماعيلية" !

ـ لعل لك عدوا.

ـ نفسي التي لا تسعها الدنيا.

رحلة القدم والفكرة والجوع على الصهوة أو على النعش. ومع ذلك، فالتعاليم تتعثر وسدنتها يتنصلون من مسؤولية تداخل المتغيرات في الثوابت. إنما الذي يؤرقني أن أعثر على النواة.

صلاة :

رأيت فيما يرى النائم عبدا يصلي فوائت سيده. (الجسد صريحا يصلي، والجسد مؤولا يتسول) تحامل العبد على رقيته ثم استبدل محورا بآخر واختزل الأنفاس في شهقة واحدة :

لإفراطه تفريطي.

ولقوتي ضعفي وقوته.

ظلاما لنفسي تجبلني ونورا له.

له الحركة والشفافية بحركتي ويكفيني أن أغتبط بالتقاء الساكنين.

في المحصول الخالص خلاصه وخلاصي في الولاء.

الفاضل لي وهو فضيلته ورذيلتي.

وبعد انتهائه من شفوياته، رأيت كأن طاووسا ينبثق من بين

قطيع بقر وحشي استفزه زئير ضار منبعث من عمق الدغل. اخترق الطاووس قميص العبد المشجر ورسم عليه ريشه وألوانه وشيئا من نخبويته. ثم بعد ذلك رأيته يغادر القميص من كمه الأيمن القصير ويبدي أسفه لأنه سها عن إحضار طاووسيته معه، وإلا لكان زين بها الصدر وهو في الحقيقة براعة استهلال.

ومباشرة وبعد مغادرته القميص من كمه الأيمن، نودي على النطع كما نودي على القفا، وطلب منهما أن يتابعا حوارهما المثمر.

تربص :

كلما أحسست بالتربص اقتربت من الفخ وأهبت به أن ألق عصاك فإذا هو زبد ورغاء. أنا هو إذن ذلك التربص يحز الرقاب بقلائدها ومن موقع الاستياء الناقع أشرق على أحيازي وأتخيلني على الرصيف بائعة هوى لا تتحمل الإشاعة ولا تخفي هنات الحرفة. الأرضية تنخر صحائف التعاليم من الاتجاه المعاكس وأنا صيغتها. أتسرب إلى أحشاء الأرض زائرا وأبارحها مصابا بازدواجيتي، ومع ذلك، فانا بريء من تلك الحروف تكتب العالم كناية وتقرأه من رحمه.

قلت للشجرة : هل تعادين السامية ؟

ضحكت الشجرة واستخارت وأشارت إلى الخفافيش الجاثمة على أغصانها تطمئنها إلى أنها تنازلت عن إجراءات متابعتها بتهمة الصخب الليلي. ثم قلت للشجرة مرة أخرى عن الأقليات في الأكثريات وعن الاحتقان الذري وعن الإبداع - العناد وعن الإبداع - الانزلاق الغضروفي، فضحكت مرة أخرى وبصقت علي بالعين العشواء وحاصرتني بالعدسة اللاقطة :

رأيت أن من التربص منع الجرايات

وقمع الهذيان

علي أن أتظلم نكاية وتشفيا

وعليه أن يرفع الظلم حسب ما تقضي به العادة.

نزوح :

أنزح متى ما شئت عن فلك سيار إلى آخر. لا يهم إلا أن أضمن للخطوة استئناسها بخطوة تالية، وإلا شحذ أداتي وتجنب السير في السبل المطروقة حيث سدود الجمارك منصوبة : (أهرب تلقائيتي في جيب سري من جيوب الحقيبة).

نزوح الوثن عن غرانيته احتماء بحواس الطين المتقيحة في هذه الصخرة.

نزوح الشبح عن قالبه المعتم تدعيما لاحتقان الكلام في المتكلم.

نزوح الصفحة عن حروفها السائبة دفعا لتشويش عدسة عين نصف مفتوحة.

نزوح الدم عن ضغطه انطباقا لمركز التشابك الجسدي على السائل الصابوني.

نزوح الغيبوبة عن الجمجمة المخدرة تخفيفا من حدة التصورات الشائكة.

نزوح الإيقاع في المسافة نكاية في العداد المتكئ على رقم ينطفئ بتدرج.

نزوح الجنين عن حاضنته الكهربائية استخفافا بالقيصرية وبالمباضع الدافئة.

هذا ما يتعلق بالنزوح الاختياري،

أما الاضطراري فكبوة على رأس كل فرسخ.

نتونة :

عجيب أن يتخلص من النتونة بعد تماهيها. (دار على الفلك دورات سبعا وأنا حبيسها) وعجيب أنها موسمية وبعدد الحواس :

نتونة ما في الأمس من التقسيط.

نتونة ما في اليوم من الغرابيب.

نتونة ما في الغد من القرائن.

ومع ذلك تقمع سيادة الأشياء على نفسها بتاريخية ثلاثية، ويوصى للقيم على قيم وللطقوس على سلوك وللتهريج على إيصال، بحيث تصبح التصفية الجسدية نصرا والحداثة مسلمة يقينيتها في معاصرتها.

ولأن نتونة الشم انطفاء ونتونة البصر التباس ونتونة اللمس استيحاش ونتونة السمع تعزيز ونتونة اللسان مماحكة فإن العمى سيد العاهات يميز بين الهواء ملوثا وبينه صافيا. (من المؤسف أن الغنوصيات لم تنقرض بانقراض مؤشراتها)

عراك :

اتخذ في عراكي هذه الخطوات :

1) تحديد اوقيانوس المواجهة بتحديد مقولاتها.

2) قياس الضغط الأدنى والأعلى في عداد المصداقية.

3) تسميد الحصانة بالجراثيم وبالمضادات الحيوية.

4) إخصاء الميزان بإبعاد العيار الناري يحفظ ولا يقاس عليه.

5) تحقيب المساحة بهورمونات النشاز ثم الانسجام.

6) وضع الصدى في الوعاء الفارغ وتسريح موجاته الرنانة بحساب.

7) مسح البحث الميداني بأداته لمعرفة ما في الحقيقة من حقيقي.

8) التمركز في الزاوية الحادة لالتقاط التفاصيل ولإدمان المقاصة.

9) تأجيل إلغاء الآتي لصالح ما إتيانه بالحبر الجاف طري.

وبعد ذلك أسمي التجربة اختمارا، والإعلان زعما، والممارسة انتقاء، ثم أدع الخيار للثور أن ينسحب أو أن يبقر بطني بقرنيه. إذ النصر والهزيمة يتساويان في هذه "الكوريدا" إن تكن الغاية منها في المطاردة لا في الطريدة.

حاجة :

الحاجة برهان على صحة المتكثر،

وهي محرك الاتصال والانفصال في الثنائي :

حاجة الصحو إلى السكر،
وحاجة المبادئ إلى الخروقات،
وحاجة الصدى إلى الفراغ.
وحاجة المدى إلى التأمل،
وحاجة الرؤيا إلى الإطار.

رهبانية :

فتشت عنك في كسرك فجبرته،
وفي احتقانك فصفيته،
وفي فقرك فأغنيته،
وفي تسولك فكفيته،
وفي طمعك فألجمته،
وفي إطلاقك فقيدته،
وفي إبداعك فأدميته،
وأنت !
ألا تفتش عني ؟

ممارسة :

أكره احتفالية الطقوس والشعائر،

وأصبو إلى التفرد بالمحبوب.

أكره القداس النصي.

أكره القداس السجالي.

الحركة استرقاق والاسترخاء اندماج.

وفي العناصر إبداعها فاعلة واستنساخها منفعلة.

ألا إن قداس الزي الموحد خدمة إجبارية

وقداس المشافهة انعتاق!

أمومة :

بدا لي أن أمومة الرحم تبعية

وأنها حفظ نوع في النسخ

والشتلة

والبرعم

والميتة الصامتة في غضون البشرة الأخرى

والبحث الأبيض المسترسل.

وإلا فإنها أبوة من وجهين :

من وجه أن للأمزجة جغرافيتها،
ومن وجه أن حدود هذه الجغرافية في عيادات الطب النفسي الخاصة.

قزامة :

أفتك الأقزام من يتلمظ لسانه بطعام منتحل،
وأنذلهم من يؤجر ذاته لعمله اليومي،
وأعراهم من يتبهرج،
وأذلهم من يبكي مأجورا ويضحك آجرا،
وأكذبهم من وجهه إيقونة،
واخسأهم من يتجمع جسده في قفاه،
وأسلمهم من يوهم ويتوهم.
هذا كله مع طول القامة.

IX

الرجال والساحات

I

من المؤكد أنك فررت بمزارك إلى الميناء دون تأشيرة ولا بطاقة ولا حقيبة. (ترويض البحر في مراضاة اليابسة) راغبا عن ملوحة الأرض وعطين هوامها، لأن البداهة الصوتية ناسخت "اليوسي" في "اليوطي" وهي في طريقها إلى الزاوية الدلائية. (حربائية الدلو بالماء)

ولأنك "يا أبا الليوث" اخترت لمزارك مكانك دون زمانه، وقناعته دون اقتناعه، فقد كنت أنت المستهدف (دلوا وماء) من البطن العاقر والجرح البالغ أمره حد الغنغرينا والعين الناظرة من جهاتها الأربع والقلب المفجوع في خدينه والطلاق النسيء الملفوظ في حق رعشة لا معنى لها. كل ذاكرة من هذه ترشقك بذؤابات من الصوف والقطن والحرير والخيش : دعم فسيفسائي لفوضى الأزياء وتداخل الاختصاصات.

لعلمك الخاص أن "اليوطي" أجر الحوض الأطلسي وسير ابن بطوطة فيه سفينة جارية من حيث اختار لليوسي مرقده الأخير المريح في مخطوطاته : "السبنية" و"الحنطوز" موتوران على أوتاد القبة، وعلى البركة والمدد أن يجيبا سؤل السائل من هذه المسافة.

وسواء اكنت دلوا أم ماء فإنك في الساعة الخامسة مساء (وكل خامسة خامسة في كل الساعات) غيرك في غيرها.

حطت الطائرة في مطار "أنفا" على الساعة الخامسة مساء بالضبط. استعجل الركاب الخروج. لوحظ أن الأحوال غير عادية : الحرس بلباس الميدان موزعون على كل الأركان. السطيحة خالية من المنتظرين. التدقيق في بحث الهويات تجاوز حده اللازم. تفتيش الحقائب أيضا. طالت المسافة الزمنية الفاصلة بين النزول من الطائرة والخروج من المطار.

حمل حقيبته ورزمة كتب متوسطة الحجم. وقف من الصف حيث انتهى به منتظرا دوره. جاءت سيارة الأجرة. زاحم عليها. افتعل الجري وراء حقيقة ليست له. وضع الحقيبة فوق سطح السيارة المسيج. جلس بجانب السائق لا وراءه. تنازل عن أبهة الراكب كي يدخل في صميمية المركوب. المخربون الإرهابيون رأوا في فلك القمر رؤيا، ورأى مهدئوهم في فلك الشمس رؤيا أخرى.

يتسع المتلازمان للرؤيتين، غير أن الزمان يتوحد فيهما ويختلف المكان احتراما لقانون الضحية والجلاد.

أعلن الرضى بالظاهر وخاف من فداحة الباطن. لمع عدسته (دعك عينيه بباطن راحتيه) كي يستطيع التقاط المرئيات لدى انبثاقها البكر. قال للسائق بغير اكتراث :

ـ تريث !

ـ ليس غير البؤس.

فكر أن هذه السلسلة التي تواتر عبرها لم تخطئها التعاسة كما لم تراهن على نصاعة اللون. عاد إلى ثنائية الدلو والماء.

استباح الهاربون حرمة سيدي "بليوط" اقتحموا الضريح منتعلين نعالهم الوسخة المنتنة. رفسوا بها زرابيه وزليج قبوره الملون. اهتموا بأن يجدوا عنده الحماية من هذه المطاردة الشرسة. تعقبتهم هراوات الحرس وأعقاب بنادقهم. تفتتوا عبر هلعهم واحتقان الدم في وجوههم.

زعقت السيارات ـ العلب كلما امتلأت بالمعلبين فيها أثارت الغبار لدى انطلاقها. احتمى بعض معلبيها بدفء البعض الآخر توالت الانتفاضات الفجائية وتواثب فحيح السيارات ـ العلب. شكى المعلبون من قسوة الجلاوزة ومن العطب يشل المفاصل.

قضى ليلة كاملة في مرحاض المزار المكتظ بالمعتقلين. شاء حظه أن يضغط بجسده جمجمة معتقل عذب حتى الاحتضار. (عذابان في الوعي وفي اللاوعي) سرحوه في الصباح دون إدانة ولا براءة. كانت فجيعة المحتضر أنه عانق جبروت الموت على الريق من حيث عانقت بؤس الأسئلة والتبكيت.

ولأنك "يا أب الليوث" مزار تعاليمي، فقد وازوك بما خور "عرصة الفرنسيس"، كأن مجال من اتسعت به وله الدنيا ضاقت عنه فسحة قبر خرب في زوايا "السوق الداخل".

II

تلتقط الذاكرة "خوفو" في أول الدفقة و"سيدي البدوي" في آخرها.

وحدهما المستفتيان في هذا الصباح التعب يشرق على الكنانة وهي أرض ويغرب عليها وهي سماء. هما من صنع مفارقة الخلود والفناء وهما من يتكفل بفك ألغازها.

بعثات الآثاريين ومؤسسات إنقاذ التراث الإنساني تستكنهان بالآلة سر فرعونية ناهضت تعاليم صاحب المنساة ووحدت القطرين: المومياء ونشيد الموتى.

مسافة التنقيب لا تنتهي والظرف والمظروف صامتان. تقاليد الكهنوت عتيقة عتيقة، وأعتق من إسرائيلية التاريخ. الوباء منتشر ومن يدفعه لا يزال موجودا في محاليله الكيمائية. إنما العظم مرمم في غير مفصله.

ازحف يا "سيدي البدوي" !.كسالفك على رقعة هذا التصحر. اشرب البحر بحرا وحدك، (ليس القول على إطلاقه) فالفكر قاصر والذاكرة منشغلة بإخفاء مسروقاتها !.

تقطعت بك الاسباب ولم تنقطع. اكتفيت من البحر بذرة من محيطه. مسقط الرأس ومصرعه برديتاك وكتاباتك الهيروغليفيتان، لذا كن بهما ولهما حيزا أرضيا حارسا !

أنت الشفوف يغمد الفرعونية رؤية ويسلها تاريخا في نواة تاريخيته، فبادر إلى قراءة الزمن من زمنه الصوتي وعرف بنفسك قبل أن تقتحم المغادرة مجردا من الآلة إلا من عرفانك. موكول إليك الانبثاق وموكول إليك اختيار السدنة.

قبل أن تشرف السفينة على ثغر الاسكندرية حرسها الله وآمن أهلها من الخوف، بدت لنا طيور بيضاء نافقة على سطح الماء تطفو

وترسب، وكانت من الكثرة بحيث ابيض لها اليم والأفق واليابسة. وما إن علم الركاب بذلك حتى تجمعوا متفرجين عليها والعجب من ذلك الوباء اصابها فجعلها حصيدا يأخذ منهم كل مأخذ. ولذا أخذت السفينة تميل بنا جهة اليمين كأن المتجمعين خرقوا السمت بتكومهم في جهة دون أخرى. وإذ هموا بالرجوع إلى مواضعهم التي أتوا منها حوقل كثير منهم مستعيذا بالله من هذا الوباء يصيب المخلوقات كلما دار الفلك دورات ألفا.

وسبحان ذي الملك والملكوت الفاطر من الحمإ المسنون بشرا إما رقيق الحاشية تدمي الإبر ثنايا ثوبه، وإما فظا تستنكر الأرض خشونة خطاه. فإذا كان من بين الراكبين من تقطعت نياط قلبه لهول المنظر فإن منهم من حنى على عوده فأوسعه نقرا وتطرابا إلى أن شق بعض المتخلفين من سامعيه ثيابهم شجى أو استلقى على قفاه انتشاء.

ولما رست السفينة بالبر تزاحم الأهلون عليها ما بين مستجد وحمال ومستضيف لا يرجو أجرا إلا رضاء الله. وما زالت الحال على ما هي عليه إلى أن وطئت أقدامنا أرض الفسطاط بعد أن قطعنا إليها الفيافي والقفار وتعرضنا في سبيل الوصول إليها لغريب الحكايات والأخبار.

رأى أن الملوك الذين دخلوا الفسطاط من باب الدم فأفسدوه قد خرجوا منه من باب البحر. ورأى أن التاريخ الذي يكتب بحماس حقبة تولد، يمحو بفتور حقبة تموت. وأعجبه أن الناصر "قلاوون" ناسخة الناصر "جمال" فحدد الفرق بين عبوديتي الرق والحرية. وأعجبه أن المتاريس وأكياس الرمل حول المحال الرئيسية مصداق الحماسة في حقبة ودليل التشفي من حقبة أخرى. بينما كان الحصار المضروب فترة نقاهة تنتهي إما إلى انتكاس وإما إلى انتعاش. فمن له بمزيد من العمر يسمح بممارسة النتيجة ؟

أيها البلشون النيلي يرفرف مرتشيا ويبغم زقزقته مرتشيا ويرغم الحقيقة على ذلك وليس بها حاجة إلى رقم تأجير ! هو نزيف وريدي أن يخطو الماء في نسغ الأوراق مأجورا على خطو لابد أن يخطوه غير مأجور !

أيها البلشون النيلي بالمسكنة الماكرة يقف على طحلب الترع ويروض حصباء الأرض وثراها ! مني تلك العاهر المرضع تبيع الجسد ضمانا لاستمرار الحياة في مشتقاته، غير أن مسكنتها الماكرة منك. (بالشق المنفعل العاري تضغط على الثدي فيفيض ندى أبيض يساقط قطرات متزاحمات متواليات) أما أنا فأترك لك هذا العرفان المرتشي وأرحل.

III

لا أكتمك أن الإصابة بالزكام مزدوجة في مزاريك الأسفل والأعلى مدى سريان العطر في أصدافك وعقيقك. ومدى استحكام الشنآن بين الاختيارين: السنة والشيعة.

تلتقط العين ملامح الأنثى المهجنة تتمرغ على باب ثاني الاختيارين في انتظار ذات شرعية تستأجر لأجل محدد سلفا، وترثى السبحة حباتها الكربلائية تورث العصيان وترث الطاعة. تحتفل حاسة الشم بميلادها الفاغم على باب أول الاختيارين، بينما تبكي الأذكار بكاءها الصامت الأورثوذوكسي شعورا بالذنب وتكفيرا عنه.

أتوجه إليك ببادرة أن تبيح لصلفي مطاولة حنكة "بلقيس". لا أقصد بلقيس الصرح، ولكن تلك التي قبست من الهند طيبها واحتقان البشرة بما هو فوق اللون، (لم أر سيخيا قاوم الفطرة إلا بحساب) وأتت إلى الأنبار كي تحسن نسلها باستيلاد جداريات محروقة اللون من مائيات خطوطه غبارية وأطرافها شعائر. أتوسل إليك أن تقربني منها كما تقربت هي إلى "كيتس" بدموعها اللفظية، فأنا مستباح للماء وهو قداس صابئي، وبي رغبة في أن أبعث وافطم على ما بعثت عليه.

رافقت فيك "الغصن الذهبي" إبان ازدهاره العربي. همست إلى جبرا إبراهيم جبرا أن ألق عصاك في التموزيات بدل الهللينيات. حضرت مخاض ثلاث ولادات :

ولادة السياب والبياتي ونازك (زواج كاثوليكي للمرأة فيه حق الطلاق) من تلاقح الموشح والبند والاليوتيات وهباء الشعر الغربي من الصورة ولها ظل إلى الصورة الدادائية.

ثم ولادة بلقيس في وعيها بقطوف العصر الإليزابيثي الدانية (مختارات الكنوز الذهبية) أسبغتها على ضياعي في غربتها وضياعها في تجلياتي.

وأخيرا ولادة "جماعة بغداد للفن الحديث" من علاقة تراتبية شرعية ببابل وآشور والواسطي واتجاهات التشكيل المعاصر لاتينيا أو جرمانيا أو ساكسونيا أو سلافيا.

جلست قبالة المنصة التي أنشد عليها السياب قصيدته : "بور سعيد" في قاعة المحاضرات بدار المعلمين العالية كي أسامت الصوت المبحوح والسحنة الداكنة الهزيلة والولاء إلى القصيدة تضامنا مع مصر غداة العوان الثلاثي عليها، وتحايزت إلى لميعة عباس عمارة في هذه الجلسة لأرى انطباق النقيض على النقيض، ثم تعقبت الشاعر بعد أن تقيحت الذوات بفعل الولاء المزدوج لأحتفظ له بما ينبغي

من المسافة وحجاب المعاصرة.

ونادمت البياتي في مقهى "برازيليا" هو وثلة ممن كان ولاؤهم ثابتا لما هو فوق البنفسجي، ومنهم الرسام المصري أحمد مرسي المسكون بوحشية "ماتيس". كان البياتي يهشم أباريقه كل ليلة في حانة "جاردينيا"، أما أنا فكنت أهشمها على رأس أعداء الإنسان، ولشدة إعجابه بهذا التهشيم المزدوج، أدرك بعدي كقارئ واستراح إلى تقييماتي. واستمعت بإعجاب إلى محاضرة نازك عن: "جذور حركة الشعر العربي المعاصر" في نفس الدار وفي نفس القاعة، ولم تفتني ردتها الملحمية أعقبت مرحلة نضوب الوعي.

وطلبت من بلقيس أن نؤجل هذياننا إلى وقت يأتي فيه الله بالشمس من المغرب فبهتت إعجابا بمسافات دون قياسات وبأبعاد دون أطوال وبجهات ست تتبادل المواقع، ثم بهتت إشفاقا على بين البين هذا.

وتبنيت بيان "الجماعة" التشكيلية الأول وأدمنت التردد على معارضها واقعا في أسر تلقائية عالج بها جواد سليم ألوانه ومنحوتاته، ويوم أنجز نصبه "لباب الشرقي"، ألقى في روعي أن الإنسان كينونة متراصة : بابل وآشور مبتدأها ومملكة النفط النفطية خبرها. شهدت الصيغة ولم أحضر قداس الدفن.

أيها الجيلالي داو حالي بما ينالني من حوضك السائغ ! فأنا مضرب عن ازدواجية الولاء وعن وحدته، متكئ، على قاعدة التماثل اتكاء من لا يقصد الدلالة في المسند والمسند إليه تبليهما رتابة العقيدة. يستفزني المكرور بتحصيل حاصله والمتجدد بفجائياته، وتملأ عيني لحظة تقود إلى أختها حاملة في نسغها عفويتها وتأويليتها : من نار المقيس إلى برد الشاذ : من نار لها بردها إلى بردها، ومن بردها يصبح نارا لها بردها إلى بردها، وهكذا في حركة هرمية لا قمة لها.

IV

تبدأ نزوة "فرانكو" من مطار "مارتيل" الأجرب في طائرة مروحية. وجيوب هوائية، وتنتهي في ساحة "الفدان" بتلميع المخيلة على ضوء دخان العشبة. زهد يفضي إلى تعويم الذات في إكليرروس تاريخي".

"السيرينو" هنا يتذوق لذة المفتاح الليلي في صرير الباب الخائف وينقل الأخبار طازجة. وهو هناك ينقع المفتاح في حذوة حصان.

المفروض أنهم ثلاثة يتدربون على الخنى في مظانه ويتطهرون منه بحلولية جبران وكونية ميخائيل نعيمة وإنسانية إيليا أبي ماضي

منتقمين من إحباط الحرف اللاتيني ومن تقتير الأبجدية السامية.

والمفروض أنهم بموازاة ثلاثة آخرين ينبشون قبور الكتابة ويحتفون بعام الكتاب وبصورتهم في حالة بذل دائم. الإصابة القاتلة دمرت التاجر منهم والمتقاعد والمسكون بالنار الفارسية. (تتمنع السليقة على الرحل) يستوي الستة على أريكة الحواس فيعطلونها إلا الشم فبه يستمنون بالإسبانيات الفارهات العابرات. تمتد الأبعاد والأحياز بين كأسي شاي ونبيذ طرفي النهار وزلفا من الليل.

سيدي "الصعيدي" يشهد أن امرأة جميلة قالت له خيارها لأول مرة وشيئا بالحدس: جلباب ولثام وصبوة معتقلة وراءهما، وخطوة متعثرة وجسد متمكن من نفسه ومن أدواته.

ميلاد الكلمات وميلاده فيك يا سيدي "الصعيدي"! الميثاق الخابوري عقده مع حالاته السائبة، لأن الكتابة اغتيال الجوع بالعطش.

كثير عليه يا سيدي "الصعيدي" أن يدور كثور "السانية" حول مائدة "درسة" برؤية جديدة متبرجة والمكتوب بردية قوطية أو قشتالية.

لا يمنعه النفي في كشك الموسيقى داخل الحديقة من التأمل في من يكتب على جبهته رثاءه أو تنفيسه أو نقمته أو استدراره العطف أو استلهامه العيون أو بكاءه بكاء مستوردا من سهب خرج منه غرناطي ولم يعد. المهم أنه بكى وضحك على غير ميزان الضحك والبكاء. كان عليه أن يضع قواعد غير مألوفة لتقاليد جديدة تلمس إرهاصاتها لدى أناس سبقوا زمانهم لأنهم كانوا من العجلة بحيث لم يتحملوا ثقل الانتظار فانبثقوا بقوة ما فيهم من الإبداع. بمقتضى هذا التأسيس يصبح الإنسان إنسانا إن تنبأ بفواجعه، والحقبة حقبة إن وشت بغيبوبتها، والشعر شعرا إن طفر من اللغة باللغة، والحب حبا إن تراوح ما بين الشغف والحاجة، والكونية كونية إن تخلصت من المشكك لصالح المشترك. كل ذلك من أجل أن يبطل العمل بميزان الزمن (أصالة = تراث =/= حداثة) ليعمل بميزان الفعل والانفعال، (التغير والتغيير) لأن هذين حالان فلا يسبقان أوانهما ولا يتأخران عنه، على حين أن الزمن إيصال بالحدث يستلم قبله أو بعده.

هو المنفي في طموح يحتد شعوره به كلما اقترب من سيدي "الصعيدي" وداهمه الليلك الريان في الحديقة وصدى الشدو الجماعي اللاذع في المزار والأجنحة المقصوصة أمام باب "سبتة"

الموصد رتاجه مفتوحا من اليمين إلى اليسار في وجه مهرب قلب نظام الفصول يدعى "بريمودي فيرا" .

لن يقول لك يا سيدي الصعيدي شيئا عن "خيرارد وديبجو" وقد زارك دون أن يقتبس من مددك نورا أو نارا يمد بها جيل السبعة والعشرين ولن يحدثك عن "فيسينطي ألكساندري" وقد مات كالأشجار واقفا في "ستوكهولم" . غير أنه يود.لو يخبرك خبر شاعرة تعنست عنادا من أجل أن تستمر شاعرة فتكشف عن "زمن مطمئن" عبر أزمنة ثلاثة وتموت في غرناطة وفيها يموت الميتون. حضورها المتنسك طمعه، وشعره حدودها، والقطبان خلاصة "الغموض الرائع"

Hermetica belleza

Hermetica belleza,
Mundo de la palabra que preciso,
Toma mi voz y cerdena tu figura.

Yo soy este inconcreto geste inerte
Que espera tu caida vertical a mi senso.
Yo soy esta angustiada sed que bebe
Tu promesa de adviento.

Piedra que caiga en mi, plabra mia

Deteniendo la huida de lo leve,
De lo que soy, cortando
Todo intento de vuelo

Piedra que quede inmovil en lo mio
Cuando mi voz se quiebre sin remedio.

Trina Mercader.
"Tiempo a salvo"

V

لابد من "تيغسالين" وإن طال السفر إليك. صنعاء أخرى قاتها الجسد القارئ المقرؤ بالمقابل. بعد الجحيم المطهر، وتنزل السماء في مزار بين الأطلسين.

أراك وتراني ولو قبل اغبرار القدمين تتعززان على غير زيارتك. الورثة بالتعصيب متفائلون بما هو قياس بالطول وبما هو قياس بالعرض. (الزمن مسيرة والفرسخ مرحلة)

أنا دمك المتدفق المهادن المشاكس، وأنت غربتي وصوتي ومعاصرتي وحجابها يمتزج طينه بصديدها.

الأطلسان عاريان في منطقتي الوحل والطمى ومتدثران في منطقة التمايز. نكبة الأقدام قبل نكبة جسد يصل الرحم بهذه السماء تنزل وتتنازل. السعال يخلخل الصدر والضراعات تطفيء

الغلة. الماء يشح هنا ويسخو هناك، والعبرة تعويد الحنجرة على المفارقة. وحيث تسكت الأشجار تعتزل التربة لغتها كأنها تقطيع اللسان بازدواجيته. أيها الأوقيانوسان المتوازيان! قولا ما شئتما باللسان الذي تشاءان، على أن يستفز منطوقكما إيقاع الجسد يصل الرحم.

وتختبر "القلعة تربتها الحمراء منقبة عن قامعين فعلوا السبي وكتبوا بهجرة المقموعين "سفر الخروج". المخطوطات كثيرة والرفوف أندر من كثرتها، والبقاء للأرضة. المحطات تثبت وتنفي، والقدمان معا تتعثران في أرض أفسدتها أساليب الري وسلوكية الإنتاج المبتسر: المحور اللغوي المؤشر انقرض في إيماء بالأصابع.

والعجب الأول أن الأرض آخت بين قبري القامع والمقموع في المجال، فهل على دورهما أن يتم ما بدأه الجسدان المتنافران وهو يتغذى منهما غذاءه المتنافر؟

والعجب الثاني أن "القلعة" اختارت لمكانها أرضا مهادا وعادتها أن تختار القمم الشاهقة، مما جعلها فريسة سهلة لردود الفعل الضارية المسماة حينا "سيبة" وحينا آخر رد العجز على الصدر.

والعجب الثالث أن تمتد الشرايين من "القلعة" في عراء جغرافي إلى سيدي "الزوين" في معتزله السري: في قراءات سبع وفي إنتاج

أرومة مشتركة.

"سيدي الزوين" !

أيها الوارث نفوذه من "مولاي عبد الله بن طاهر" ! (الأبوة والأمومة المتقاطعتان) إن تكن الصحراء هي النطفة الأولى وعنها انبثق الكائن النبي والكائن النفطي مرادفين للكائن السلطة والكائن السائمة، (ولادة الأرض واختصارها بالأولين، وتبابها واحتضارها بالثانيين) وإن أكن أنا من قطبيها، فأي كائن هي هذه الصحراء ؟

سيدي "الزوين" !

يقال إن "ثعلب الفيافي" كان يأتيه خراج المواخير كل غروب شمس، وإنه كان ينادم الشعراء ويعطيهم بسخاء عصارة رائحة الإبطين وعرق العانة، وأنه التقط من مزبلة الحوليات ودفن راكعا ولم يركع في تمثال حل فيه قبل موته المفاجئ. (لم تنتشر النتونة إلا بعد عقدين) ويقال أيضا إنه ساهم في حروب التهدئة وكتب جزءا غير يسير من مذكرات ضباط الحملة الفرنسية على الجنوب، وإنه والقائد "المتوكي" صنوان من دم تتغرب فيه كرياته، وإنه لولا قمعهما لما هاجر الجد مرغما كابحا لوعته بطلب العلم في أروقة "القرويين".

سيدي الزوين !

خرير القراءات المريح على صخب البنايات الجيرية الحمراء يرقصان الأفاعي ويخصبان الرحم العاقر صناعيا ويصبان في انطباعيات "ماجوريل" ولا شمس فيها غير الاحمرار المنبهر المتشفي بحضارة شاهقة من أسفلها عبر مختصرات تلاميذه المائية وتكويناتهم الرصاصية.

"سيدي الزوين" !

المعمار يستنتج صلف النخلة ويخطط للطلع فقط، لأن من يؤنث لهجته في المزادات يذكرها بالسبحة.

"سيدي الزوين" !

هذه الكتلة المأفونة لا محالة منتهية إليك (كما انتهيت أنا) في صيغتك الصادقة، صيغة القرائين الأولين.

VI

عند ساحة "سان سيبليس" تنشقت رائحة تنزيه قديم نفخ الحياة في الصورة وفي الهيولي وجادلت الكتبة الخطباء: "بوسيي" و"فينيلون" و"فليشي" و"ماسيون" الواقفين على قاعدة تماثيلهم:

- لعل اسم الساحة على المسمى !

- ليست الباء عن تضعيف. ومع ذلك...

ـ ومع ذلك ؟

ـ الجسد ـ كما تعرف ـ عذاب .

وهنا أقفلت الخط، لأن الجسد ليس زمانا بل مسافة .

وحيثما كنت من هذه الساحة، فأنا منشطر في حانوت بقال أو حوات أو جزار بما فيها من مقومات الجسد وما فيها من مقومات الروح. (الكتب والأسطوانات واللوحات الزيتية والتوابل والسمك واللحم) أذهلني هذا الازدواج ولم يتملكني، فأنا امرؤ يقيل عثاره من العبودية بالطلاق ويسفح دم باريس في مذبحة "بارتيليمي" ، ويعبد "السين" طريقا يمر منه المتاجرون في الخمور المغشوشة ويقتصر على ما يقيم الأود استعدادا لمحاورة كبير محققي جهاز الدفاع عن أمن الحدود. (الأسئلة فخاخ والسيئة بعشر أمثالها) ومن سد إلى سد ، ومن سحنة إلى أخرى، ومن دفتر ضبط إلى تأكيد هوية، ومن انتظار إلى استجداء، العطر والألوان مريحان، والزبانية بلباس موحد : تشفيهم علني مدروس وتجوهرهم بالريبة علماني :

ـ كثير السفر والترحال أنت !

ـ هو قطعة من العذاب .

ـ حتى ولو تقلصت المسافة ؟

ـ هو فوق المسافة ودونها .

ـ أفصح !

ـ هو تقطيع المكان بحثا له عن زمان مناسب.

وهنا أقفل الخط، لأن السفر ليس انتقالا بل بعثا.

وحيثما كنت من هذه الساحة فأنا موزع بين الناطور وهو حقيقة وبين الفزاعة وهي مجاز. لم أقتحم الحقل ولم أقطف وروده أو أجن ثماره. اكتفيت بالنظر إلى وجه متعجرف أبلى الاتكاء على المكتب أرنبة مرفقيه وأجبت عن الأسئلة بما حضرني من البداهة.

VII

وعند ساحة "لاسيبيليس" لم أكن مضطرا إلى الاحتماء بالأسطورة ولا بأعضائي احتماء من يخاف عليه منها، فهي شلاء ومرخص لها بأداء الشعائر والاستجوابات على طريقتها. القديس "ريموندولوليو" نسبي في مخطوطاته البرانسية، ومطلق في اقتباساته العربية : بينه وبين البحر الميورقي ما بين السائل ووعائه. أوروبا الوسيطية على هجير أفريقية الحفصية :

ـ أراك في نار الخرقة.

ـ أستعذب نارها وأستمرئ بردها.

ـ الخيار تدجين الحالة الواحدة.

ـ لا خيار مع التدجين.

ـ النار تصطلى نارا لا بردا.

ـ أنا أصلي فيها.

وهنا أقفلت الخط، لأنه أدمج كثافتين في استدفاء واحد وابتهال مزدوج.

وحيثما كنت من هذه الساحة، فأنا خارج دولة هزمها جيش ريفي قليل العدة والعدد، سيء التطبيب والتغذية، وداخل طاغوت منتصر بأعدائه على ذويه. نقيق الضفدعة على لسان الأطفال انطق رجلا صودر منه أبوه اليساري، وشاعرا تبنى المعسكران موته غيلة، وأرملة عقيما رعت في صالونها آداب ما بعد الحرب

اكتهلت مدريد في ليلتين وقد قضت دهرا في ترميم ما أفسده الدهر. لم أشهد الليلتين في حينهما إلا على لسان "إكليروس" ينوع الأسئلة التي جوابها واحد :

ـ للحمامة طوق.

ـ قوة الرمز طوقها.

ـ المشكلة في هذا الرمز.

ـ المشكلة مشكلة الرجل الظاهري.

ـ هو البذخ يفعل فعله.

ـ في رجل فاضل وقته أقوى منه.

ـ الوقت الفاضل للتأمل.

وهنا أقفلت الخط، لأن التأمل فيض وليس إنتاجا زائدا عن الحاجة.

وحيثما كنت من هذه الساحة. فأنا في مقهى "خيخون" أفلي القمل من شعر فنانين يقدمون بوهيمية الشكل على بوهيمية المضمون في انتظار ساعة يسمح فيه "الأتينيو" بعرض مسرحية لوركا : "الإسكافية المدهشة"، فهي السؤال الفرد الذي جوابه متعدد.

VIII

وعند ساحة "الميعارة"، شافهت ربيا (لم يمد يده لمصافحة يدي الممدودة) مهموس المعرفة عن "دلالة الحائرين" وعن القبالة. المصاب بعمى الشم يجثم على الحقبة التي أغادرها، ويغادر التأويل أصب فيه معاييري :

ـ أكلنا قبلكم من مائدة الرب.

ـ وأكلتم بعدنا من مائدة المعرفة.

ـ نحن أولى بميراثكم.

- لم نمت بعد.

وهنا أقفلت الخط، لأنه لم يحتمل مجازه في حقيقتي.

وحيثما كنت من هذه الساحة، فإنني أعجم ما يعجم، وأرسل من مرصد القرويين المتهرئ بطاقة معايدة إلى بقايا المزولة العنانية في فاس مترجما على موسى بن ميمون المزدوج.

أيها الربي !

أستميحك العذر عن زئبقية اللغة فأطارحك بما تفهمه بالعادة لا بالذوق : الآرامية صلاة والعبرية مخاطبة والفرنسية استجداء والعربية مداهنة. أما أنا فمستجوبك بما يكفل إيلامنا معا :

Arbre ! Episode d'ombres. Figue de l'athymie. Lassitude des dogmes honorifiques. Talisman d'alchimie et de morsures. Périnière mixte. Pomme privée de sa légende. Sectarisme au-dessus des soupçons.
Autour d'un arbre prolifique, une hémorragie de feu d'artifice, un consensus, une éclosion de la chaux et du sel. Juste à l'axe de la cité spirale, vieillesse tempérée, et quand sonne l'heure de l'ascension, la polygamie scriptuaire s'avère unanime. Une fibre suffit pour attiser le périsprit de la tolérance. Intégration avortée, croisade raccourcie.
La cité fait l'arbre et l'arbre fait deux anges : Le Rabbin amrân Ben Dîwân et le Chérif d'Ouazzân. Des cataractes

d'aumône yankee, des logiques extatiques s'injectent des anticorps.
Un arbre qui donne raison.
Un arbre qui prône le cordial.
L'arroser de sémitisme ?
Oui ose !

X

نوبات المعرفة

(1)

تدور المعرفة على الألسن وعلى الأسماع دورتها الحلزونية، وعلى الملفات وعلى الإضبارات دورتها الإخبارية. غير أن عادتها الشهرية لا تغشاها إلا حيث تصبح حوليات عارية. (أظرفة محكمة التغليف والختم مزينة بشرائط ذهبية. من غير الفحل للافتضاض ؟) هي الصرع يعطي هذيانه ويأخذ ما زاد من الذاكرة عن الحاجة. هي الخفاء يخبر عن حرارة التلقي ويكتم فجائية الثبات. هي الأوار ينبثق خجلا من عرائه.

مرة تينع في "أور" متربعة عباب نهري جيحون. ومرة ثانية تتشبث بلوحة برغواطي يساجل ساجل "ملوية" بما يتوهم أنه عقيدة. ومرة تجفف التين والزيتون والأعناب في جبل "ورغة" العاصي. ومرة رابعة تتعرفن حتى ليتملقها كتبة معاصرون يصطلون النيران المجوسية.

ومن المؤكد أنها تتسرب إلى القلوب القاصرة تسرب الانحرافات المدونة على صحائف حجرية تستعصي على البلقنة. ومن المؤكد أيضا أنها تبعث في اللمع الهرمسية تسقط على المادة فتشكلها حضارة ثم تدجنها فكرا.

(حتى ولو كنت جسرا واطئا فأنت لست من النوع الذي يركب بالشهوة الجانحة).

تصدق في الأثاث المائي، وتكذب في نقاء الديباجة. ويوم قداس النهار في بعليك تصبح رخاما ونقشا ومغارة، لكنها يوم قداس الإخصاب تصبح بعلا مصداقيته في غير الكتاب. والخلاصة أنها صدمات كهربائية عولج بها العقل مما ألم به من نوبات صرع على مدى أحقاب طويلة.

تحوم المعرفة حولي بنوباتها. تراوح بعدها التنازلي بين الحقيقي والمجازي، بحيث لا ينجو من نوباتها إلا المنقول من الصيغة إلى صيغة الصيغة.

أقتحم باب حوار سجالي مغبر ولا أختنق بغباره. الإبحار في النوبات أولى من الإبحار في الشيء من طعومه. لماذا تدور المعرفة تابعة حول العارف متبوعا وحول المعرفة واسطة؟ لماذا لا يفتض بالسؤال غشاء العلاقات؟ ولم اذن تفضي هذه المعرفة إلى مناحة

بوصفها شعائر ظاهرية وهي تنتقل من نوبة إلى أخرى، مع ما في ذلك من إحساس بالانصرام وبالانقطاع ؟

المعرفة أن يخطىء السهم الرمية لسوء في تقدير المسافة ولإهمال حساب في ثنائية الفرار أو الموت. ذلك أن في المزيد من الأخطاء المزيد من ترويض العلاقات، وفي المزيد من هذا الترويض المزيد من التضاؤل.

أذن لي شيوخي الاغتراف من بحر علمهم الزاخر : "الخطوات معدودة ويلبس العارف والمعروف والمعرفة ذلك الدوار اللذيذ الذي كلما اكتشف تكاشف. فأعقب الخطوة الأولى بالثانية والثانية بالثالثة والثالثة بالرابعة والرابعة بالخامسة. ولا تتوقع أن تحلق ولو طرت، ففي المحجة فضاء من حجر، وفي الحجر كبرياء، وفي الكبرياء علامات لا تخطئ، (إلى هنا والسمعي ـ البصري مجال معرفي) وفي العلامات برزخها الدال.

فأعد نفسك لقبول إهانة التلقي وعودها ألا تجني الفاكهة حتى تسيخ في أمها الشجرة وحتى يأكل الدود الصمغي أوردتها، (دودها من عودها) ففي نكهتها العطنة تعزيز لهذه النفس تتأبى على عناصرها".

وقلت لشيوخي بعد أن سمعت فوعيت : "العارف والمعروف والمعرفة ثالوث يتعالق"، ثم أضفت قائلا بعد أن شاطروني رأيي : "أنا أبحث في المفرد بأداة هي المركب. فقد تعودت أن أواقعه من تركيباته. لذا فأعينوني رحمكم الله على التقمص والالتباس حتى أتخطى مهوى الجنون فأجدكم في النقصان الذي به كمالي".

أخبرني من أثق بخبره أن الشيوخ بعد هذا الحوار المباشر غيروا بنود الاحتضان ورفعوا سعر الرسوم المؤداة. لزمت حالة الندم على الطارف والتليد وتوسلت بهم إليهم، ولبست المصالحة طيلسانا واندمجت في الحجوم وفي الكتلة وفي المسافة وفي المقاس عليه، بينما تآكلت داخل هذا القمقم، أي داخل نوبات المعرفة.

1. نوبة الاستئناس :

فأول الابواب في المبادي وتلك عشرة على مرادي ...

ابن زكري

2. نوبة التعزير :

وذات حمل أن تدانى حملها لم يمتنع على الأصح بيعها ...

ابن عاصم

3. نوبة الإيقاع :

فاسمع فهذي صفة الدوائر وصف عليم بالعروض خابر ...

ابن عبد ربه

4. نوبة المعايير :

وما بتا وألف قد جمعا   يكسر في الجر وفي النصب معا . . .

ابن مالك

5. نوبة الاحتلام :

مهلا على رسلك حادي الأينق   ولا تكلفها بما لم تطق . . .

ابن الونان

1. استانس بالبداية ولا تلازمها جبرا أو كسبا .
دجن الرتابة بإدمان التقاطيع فالنهاية في المجردات .
إياك أن تتبرم بحصار البداية في النهاية،
فهو سماد خصي وحصيد غبار
يعتكف فيهما وعليهما .

2. الجدير بالتعزير يخطئه،
والجدير بالاسترقاق يصيبه في غير كينونته .
(من الصدفة يتفجر السمت)
وهذه المرأة صداها في رحمها
وصوتها المقموع كائن في المزايدة،

حتى لكائن المقاضاة آخذة من السجل حرفا
ومن منطوق الحكم فصل خطاب.
هذه المعرفة إذن، عجين لا فطرة له
لأنها تسائل العضلات بتجاهل العارف.

3. الإيقاع حاصل ضرب المسافة في الحركة :
فهو خارج الصوت رتابة
وهو داخله انسجام الكثافة.
وأنت تنتسب إلى حلقاته
انتساب الثور إلى دوران الناعورة.
الإيقاع ليس للثور
بل للثرى الأعلى من ثراه الأسفل
حيث ينبثق الإيقاع من النسق العاري،
أي من الكسر الذي في الجمجمة.
أنت في النقطة لا تزال
لأن الخبرة بالجسد إخبار معياري.

4. ثق أنك حين تزن بالمعايير تزني بالموزون !
تختبر جسده فقط.
(تبكي حلقات النجف في ركن قصي
بكاءً خاليا من اللحن، أي بمقدار
على من استشهد فداء للمعايير)
وفي الركن الموازي تقودك المعرفة الوحشية
إلى المسكوت عنه
ويقودك المسكوت عنه
إلى نقض العهد بالصمت
ويقودك نقض العهد إلى أن تخطئ مقام العارف
وأنت فيه.
لذا فقل الكلمة بنية عارية !
وقل أيضا : إنها الهباء الصوتي !

5. وهنا حسبت أنك أدركت نوبة الاحتلام
وسقوط التكليف السابق بأثر رجعي.
لكن الاحتلام حلم،
وهذه المعرفة المستفزة

لا يوسف يعبر لك رؤياها
ولا شيطان "يتخطاك" بها ليلا .
لذا فلا أنت تواقع دفئها
ولا هي تنقدح في باطنك عند القذف .
وكان أن اجترت الناقة خطوها
كما تجتر عظام التمر .
وكان أن باب العاهة المشروخ
انكفأ على معرفيته
فدعى الحلم احتلاما .

أيها الرجز !
يا طفرة العربة بالحوذي !
ويا وقع أخفاف الإبل في اسطرلاب المراصد !
(الشعر علم وقيصر غير الرب)
انه ليؤلمني أنك كلما ابتعدت عن الملحمة وعن المغناة
خدمت مخدومك بحمارية فيك مركوبا
وفيه راكبا .
كلهم يدعون لآبائهم .

شيوخي-لم يبلغوا سن الرشد بعد .

هكذا تبتعد المعرفة عن أنساقها وتتداخل البدائل في البدائل فلا تؤدي النوبات إلى الصرع المطلوب .

(3)

غادرت رواقي وكتبي تحت إبطي ملفوفة بلبدة حمراء صوفية . احتقن الدرس في صوت الشيخ واحتقنت الرطوبة في تلك المعرفة الناسكة ووصلت فاطمة الفهرية في العدوة المذادة إلى ذروة الإيمان والاحتساب . (الجواب مسكن والسؤال اعتباري) لذا أطفأت غلتي لدى حلواني السماط . (عصيره يشرب وملفوفاته سائغة) وصادف أن فاجأني رئيسي - رئيس الجراميز - أمارس الأكل والشرب في السوق . احتمى بوقاره كأن لم يرني . اتكأت عيناي على الحلوى العارية وانتشتا بانسكاب السائل الزبيبي في الكأس . استعدت سمتي أمام المرآة الموازية .

اعتدت أن أحضر كل يوم جمعة صباحا حلقة دراسية تحتفي بالمجردات المعرفية يديرها رئيسي - رئيس الجراميز - الذي حضر معبأ بمقولاته لم ينبزني وإنما سعل الكلمات واللعاب والهمهمة : "قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الأكل في السوق دناءة" .

حالتان هما سليقة البهيمية :

أن تأكل وأن تضاجع.

ولو طالت الأيام بفرويد"

لأضاف إلى العقل الباطن العقل الآكل والعقل المضاجع

ولجعلهما من بنيات السمت

والسمت النقيض.

كنت في خرجة استكشافية مع جراميز الطليعة. وكان علينا أن نتسلق قمة جبل "تغات" الموحل. الأرض تسيخ والمسافة الصاعدة لا تنتهي والخطوة تتقاطع بحدي التقدم والتقهقر في ذلك التل الطيني الزلق.

وصادف أن فاجأت رئيسي - رئيس الجراميز - وراء صنوبرة ضخمة مجوفة القاعدة. يحتضن جرموزة عارية ربضت تحته ذليلة (ذل الإهانة إلى ذل البرد القارس) تراجعت محتميا بوقاري كأن لم أرهما. انحدرت وافتعلت الانزلاق إلى السفح. هو الآخر يأكل متسترا بفضاء الصنوبر المجوفة. وآتت الحلقة الدراسية أكلها.

السليقة والسليقة النقيض.

وواحد من اثنين :

إما ترحل وإما أن أرحل.
وكان في الرحيل شفاء الاثنين.

دخول زيري :

دخل زيري بن عطية "وجدة" معلما نسي تعاليمه.
فرحه بها بحجم انطفائها أمام عتبة الرمل
وأنفاق المناجم.
خطه الأندلسي الأنيق ملثم بلحاف صوفي
يحجب ما عدا العينين.
ويوم غادر حجرة الدرس كان الفحم الحجري نادرا
وكان الاستدفاء ضروريا.
لم إذن يدان بشهر سجنا سارق الفحم الحجري طلبا للاستدفاء ؟
ولم يمهر طوارق الجنوب
فرحهم الناسك ببكاءين :
لأنهم دخلوا تاريخ الجراد ولأنهم خرجوا منه ؟
السافر من "وجدة"
سهوب "ملوية"
أن أدركها مجال الصحو.

فيا غريق شلال "لوريط" التلمساني !

لا تقتبس من لجة النار ما به تتوثن !

هذا ولحنين الترجيع والترداد في القصبة و "البندير" حقيقة تسمية الأشياء بأسمائها تقربا لحقيقة الحقيقة.

خروج الأفشين :

بالنجم يهتدي الأفشين في بادية الشام

(النجم بين دمشق وبغداد حمام زاجل)

ولما يحتجب وراء غبار الزوابع

يدخل الراكب والمركوب

في تيه المفازة أربعين ساعة

فتنتها وقتلها في نفاذ الزاد.

ولولا رمل "السماوة"،

لخرج المتعلم من عرفانية النار وصهبائها

وأجفار الشيوخ الثلاثة :

رشيد ونوري وقاسم.

تعلم الأفشين مداراة معبد "أسوان" بخماسين حزيران وتعلم أيضا تزويد أنفه بجهاز للشم كي يتجرع المعرفة طوفانا من السوائل والجوامد.

وتعلم كذلك ما لا يبوح به إلا حبا تفيض به العيون والقلوب.

هناك الناصر الإيبيري، وهناك الناصر "قلاوون"، وهناك الناصر الذي يصلب مكانهما يوم قسمه الميراث بين الشيوخ الثلاثة. (النص للأول والحصار للثاني والسجال للثالث) وكالعادة فإن الهوية لا تصلب منسوخة في حامل أختامها، ولذا فهم لم يصلبوا إلا شبيه الأفشين.

XI

هوامش على دوران نصف الدائرة

(1)

قل إنهـــا لـم تـرضك. قل إنني أهرب. قل أي شيء ! يكفي أن أسمع صوتا آخر غير صوتي يفضح استمساكي بعجزي كلما راودتني تلك الرغبة الهوجاء في أن أنشر كلماتي النيئة.

حين تصفحتها تقززت منها فرددت عليها دفتها لتفتحها أنت بكشفك عما خفي من عيوبها. منك الكشف ومني مرونة التلقي.

من السادية أن أبوح إليك بتفاهاتي وحماقاتي.ولغوي. لكن ما حيلتي وأنا مسكونة بالكتابة ملسوعة بهاجس التجويد !

(2)

كأنني في ذلك السبت على موعد مع انفجار داخلي أفر منه بخطوات عمياء إلى المدينة الشرهة.

كنت وحدي ومعي كابوس الموضوع المؤرق. كيف لي أن أبثه أو أن أتخلص منه ؟ أنا المخلوقة الضالة الحبلى بموضوعها وبمعاناة الصمت على غير العادة. صوت الأحذية بوقعه المنفر يتلولب هنا وهناك، وليس غير جوع المدينة في مائدة المدينة.

انتظرت من ذلك السبت أن أجدك في رسالتك بوجه أصر على أن يكون لك وتصر على طمره. أيها العارف بحقيقتي ! العاجز عن حوارها ! الهاتف المتمكن من وسائل نجاحه ! أستنجد بك أن تفك عني هذا الحصار الذي ضربته حولي وحشة العالم وأنقاض الكائنات.

(3)

بعيدا عن الوجوه الفاعلة باحتجاجها الجماعي. بعيدا عن الرؤوس المهمشة. بعيدا عن السجون المكتظة. بعيدا عن أساليب الحكم القراقوشي. من لي بقوال فعال ؟

أنحشر في البيت الكئيب صحبة أغنية وكتاب أداري بهما قنوطي وضآلتي وأوازي عبرهما هذه الترابية المهينة في الخانع القانع بالترابية الأبية في الرافض الآخذ بأسباب التغيير والتثوير.

بالأمس رأيت مشهدا هو صورة مصغرة عما يجري. استبسلت حين رأيتهم يمسكون بطالبين من طلابي صارخة فيهم أن أطلقوا سراحهما ففعلوا كان غضبي سعاريا وأنا أرى سحنتهما المغبرة الهلعة. لماذا يروعون هاته الوجوه الشابة في موسم أحلامها ؟ وهي ترهص ببوادر الخلخلة لدى شعب تجاوز حربائية قادة ملتزمين تنظيرا متذوتين ممارسة.

(4)

أحسستني بالأمس كتلة صخرية تحركها اعترافات محتضرة فات إبانها. وإلا فما معنى أن نبعثر ساعة من عمر الزمن نصل بها الحاضر بالماضي ؟ كلمات شاحبة في دلالة تلاشت على سحنتك وقد جاهدت كي تحتفظ بوضعها العادي.

صحيح أن الماضي يبرئك بقدر ما يدينني. وصحيح أيضا أنني الآن أجتر ندما وتبكيتا حين أصبحت بالنسبة إلى مجلى انفلات وظل حنان أتطلع إليهما بيقين كلما قوي إحساسي بضياعي وحاجتي إلى الفيء لدى اشتداد الهجير غير أن الرؤية الواثقة - رؤيتك أنت - ألحت علي عفويتي المتهورة وتعقبتها.

وكنت لي شيئا آخر. ضمان إشراق الإبداع بك في. إذ انك تذكر نجاتي بك مما دبر لي من إبعاد وحصار وموت بطيء. فقد اعتقد من له حق الاعتقاد وحده أن دوائي في مجافاة اليراع ما دام دائي في إدمانه، واعتقدت ولك وحدك حق الوصاية على أن الناري حقه الالتهاب السرمدي وأن الترابي حقه الرمادية الدائمة. فكان أن أنقذتني من إفلاس محقق.

(5)

من أجل مزيد من الاحتجاج أصبحت تلك الشرسة. أصبحت قابليتي للصمود وللمناوشة وللتهديم غريزة. لم أكن بالقطع بشرا وإنما تراكما صخريا إذ مهما يكن المرء، فهو ذو لون وطعم وظل وماء. وحين يهدم ما حوله وتحلل من وجهه الوجوه يصبح المكان الأخرس والزمان الأصم لوعة تسري بثقة في عروق الإرادة والمغالبة والتأبي.

هل أنا غير ضعفي ؟ وغير تلك الإمرأة التي أبلتها الهزائم ولم تكن لها فيها يد ؟

صوت "فيروز" حصار، ورواية "الشحاذ" حصار آخر، ويمتلئ الحصاران بالكلمات ووجهات النظر والأسئلة والعذاب، وأمتلئ بوجه هو وجهي وبإحساس سرمدي بعجزي عن إبلاغ صوتي إلى الآخر. ومن تم أستعيض عن اللسان بالأذن.

ليس صحيحا أن الصمت غابة التأمل المعشوشبة، وليس صحيحا أيضا أنه دغل الوجوم المتشابك.

(6)

نفس التحقيب يتربص بي حتى وأنا في القاهرة. كان يتفيأ ظلال نعمه في الفندق. وكنت أنا ذاهلة عنه منشغلة بأنوار هذا البلد الألفي مخدرة حس الفواجع في نفسي، مشتعلة في تمردي الغريزي، متأبية على المرونة والتطبيع. أما هو فمطمئن في جلسته وفي قامته المكتسبة وفي ابتسامة يبتلع نصفها ويشرق بنصفها الباقي في دعة فاترة.

هاجمت شرقيته بمغربيتي وتعالى عليّ بما زعمه معرفة بالنساء وخبرة بأحوالهن. غير أنني احتقرته فأوقعته في الشرك. (الاستهلاكي صيد سهل) ولو كان مسكونا بالإبداع لالتأمت به

فيما هو واقع فيه. المهم أن أنجو حتى ولو تبعثرت خلف زجاج الممر الخارجي.

حضرت سهرة أم كلثوم، فكان أن تحللت مركباتي وتفتتت عناصري إلى أن بلغت من الشفافية حد التبخر.

(7)

المدن والأطواق والوجوه خارج متناولي، وليس لي منها سوى ندمي على مواجهة الحسنة بالسيئة.

ألا ما أقسى الندم حين يكون شخصيا وعفويا ومحتدا !ولذا فإنني أسألك : إلى متى يستمر هجرانك الروح ؟ أتمنى أن نملك من الوقت ما تحدثني فيه عن ذلك. أما أنا فأعلم أنه لا قيمة للحديث إزاء رعشة إحساس تندحر أمام جلالها عجرفة العقل وادعاءاته. أليس أنه ومنذ ماضيه العتيق كان عاجزا عن تأكيد إثبات أو نفي ؟ يبقى أن الأمر اكبر منه وأعظم، فلا يبث فيه إلا ما هو أكثر شفافية وأوفى نفاذا إلى الأعماق منه.

أبلغك أن المدن التي زرتها نبهتني إلى بعض ما فيها : "وهران" كئيبة بأبنيتها القوطية، غير أن أهلها إن كانوا خشنين فهم طيبون.

والجزائر مدينة تعطيك الكثير شوارعها المكتظة بالإيحاء. إنها كفيلة بفك الكثير من التأزم الشخصي، وبدفع الأنامل نحو اليراع واليراع نحو الورقة.

أما قسنطينة فمدينة تكتسحك بإشراقاتها وتعاني معك قبل أن تحشرك في خصوصياتها.

(8)

أنا في هذا المساء بالذات أكثر انشراحا وإقبالا على الثرثرة والتواصل عبر الحروف، ولذا فإنني ألوذ برسالتك الأخيرة أقرأها وأقرأها لأزداد شعورا ببعد المسافة بين الكلمة ودلالتها. فكأنك بالكلمة لا بالسفر مططت البعد ووهبته صورته المادية.

بودي لو أحدثك عن تونس وعن المؤتمر وعن الأشياء الأخرى. وبودي أيضا أن أسكب في المسمع الرحيم ترهاتي حتى ولو قوبلت بابتسامة التشفي والتساؤل: كيف تملك كائنة لم تملك بعد نفسها؟

لصدقك مراسيمه وقدرته على وصف حالة أعوزني التعبير الملائم عنها.

لن أقول لك الآن شيئا فأنا خارج القول والفعل والتفكير. أطل على نفسي آونة بصلف وأخرى بتجرد.

أيها المنسي في كلمات تفضح مسافات بعده وابتعاده !أنا أدري منك بمستوى احتياطاتك. ويوم تسقط عني تكاليف الحاضر الغائب سطحا وعمقا أكتب إليك متجردة من التزاماتي. أرجو ألا تأخذك باريس الهرمة المتصابية.

(9)

أنت هو أنت، ومع ذلك أهرع إليك لا طلبا لحماية بل درءا لخطري.

إنني أنثى من الداخل حيث أنثوية غيري من أعضائه. ولذا فلا أمن ولا سلام ولا حماية إلا في شفاء الغرائز من إحباطاتها.

لا أريد امتلاك الآخر بدءا من صلاحيتي المسبغة علي رواءها، كما لا أريده أن يمتلكني بدءا من سخاء يد. ذلك أنني أعي خطواتي وأقدر ما في من قدرة الإجهاز على ضعفي وعلى ضعفه : شروطي متواضعة ولكنها صعبة المنال نادرة المثال، وشروطه فخمة واحتفالية لكنها نخاسة.

فكرت مرات عديدة في أن أواصله بالقطيعة حتى ليتأكد له أنني طموحه بغير طموحه. غير أنني ارتددت خائفة من رتابة الصدق فيه.

أكتب إليك مقترفة نفس الأخطاء السابقة في حقك. ومعترفة في نفس الآن أنك إنسان ومن البدء كنت كذلك. فليكن عذري في متناول عفوك !

(10)

أ- تلح على الأنثوية المسحوقة تحت ضغط حاجتها إلى الذكورة، وهذا إن كان مدعى لتقبل الإهانات فهو غير وارد إطلاقا في الصفحة الثانية.

ب- من الممكن أن تطفر الأنثى ساعة الاختيار من مقام الغبطة بالعاطفة إلى مقام الحلول في الوطني فالقومي فالإنساني.

جـ- ليس اليأس من العثور على قلب الآخر ما يدفع إلى التماس التعويض بالقضية. أما رفض هذا القلب فبديله العمل الثوري صنو الحرية.

د- قصدت في الصفحة الثالثة إلى أن القلب ليس تحديا معاكسا

ومغريا في نفس الوقت، إنه للقضية ملح المائدة.

هـ ـ في الصفحة التاسعة يرفض الشخص (نحن) المسيح وفق الصورة المعطاة ويقبله مسيحا جديدا نابعا من كنيسة القيامة.

و ـ البطولة ألا تستأثر بالمرء هواتف ذاتية. وإلا فهناك ميتون لم يموتوا يصلحون لأن يكونوا قرابين لهذه الرسالة الجديدة.

(11)

الصمت والغرفة الأنيقة والدكتور "جيفاكو" والكتابة إليك.

فكرت ألا افعل وفعلت تحت إلحاح السأم.

ما أصعب الحشرجة الأخيرة تلمس وتحس في تنفس المرء وهو يخلو إلى قضية أكبر من حجمه لأنها أسمى من التفسير والتأويل.

جميلة هي برلين وجميلة هي الرحلة في عين من بقيت عدسته صافية معدة لالتقاط الجمال ولو كان في غمد محارة. أما أنا فقد اندثرت. ولعلك لا تصدقني إن أخبرتك أنني بكيت الليل كله لا تبكيتا لإحباطاتي ولكن من أجل أن هناك وطنا يسمى فلسطين التبس على الخرائط الرسمية.

بشع جدا أن أكون على مثل هذا التطرف. أليس كذلك؟ لكن

ما حيلتي وأنا لا أستطيع الفكاك من الدمار يحاصرني فلا أرى ولا أسمع إلا تقويض عالم بآخر يبتدئان هناك حيث التيه وينتهيان إلي. ألا إن الهدم لدى كل مقايضة يصبح سيد جميع أنواع المبادلات.

هذا موضوع كان وانتهى بالنسبة إليك، لكنه بالنسبة إلي منطلق كينونة لا تنقطع.

(12)

كل رعب ليس رعبا إلا في ذورته،
وهو غيره في سيرورته نحو التلاشي.
ليس لنا أن نتفرغ للأحزان السائبة
أين لنا ما يكفي من الوقت
وما يطفو من المراثي على سخاء العيون ؟
لعلنا بالطارئ منها نستعيد الذاكرة الآبقة
ونوقظ الحس المعطل.
تلوثنا بقذارة لا نعرف كيف نتطهر من أرجاسها
قذارة الهوام السارحة

. ولسنا وحدنا المتلوثين

وليست المدينة هي التي لوثتنا .

العالم أجمع لوثه تلوثه .

ت . اس . إليوت .

كانوا ثلاثة :

الأول صالح السائمة،

والثاني تزيى بها،

والثالث احتفظ للدلالة بمعناها فركبه النقيضان الخلو والامتلاء :

C'est ainsi que fut crée un cri tripartite.
Le chômage paradisiaque résonne mieux les corps
Et les corps s'y récupèrent intuitivement.
Le cri, d'un geste sournois a repoussé le déluge d'ennuie.
C'est
L'unique
Cri
Le l'ultime
Cri.

فاس، في 1987.5.9

(1) = (1)

يولد الشيء حين يولد في كمـاله الأول. لا يهـرب مما هو ولا يهرب منه ما هو. هو بداية تؤول إلى نهاية تفعلان في مسافتهما شيئا يشير إليه وشيئا يشار به إليه. ومهما طالت هذه المسافة أو قصرت، ومهما كان فعلهما كاملا أو ناقصا، فإنه يتحول إلى هاجس هو بدوره يصبح سبب وجود.

وما يضاف من التنقيحات إلى المخطوطة (بالذات أو بالغير) ليس إلا ملقا لم يحسن إخفاؤه ولا التعبير عنه : ملق المتلقي. هوجاء هي الكلمات في خاميتها، فقد تؤدي إلى أن تقال كما تؤدي إلى أن تقول. هوجاء هي الكلمات في المعنى وفي اللامعنى، في الحكاية وفي الإنجاز، فهي إما تصميم على قالب، وإما إبداع من عدم.

إن أرضت فبما تحسن من الملق، وإن أغضبت فبما تفصح عنه من فعل الخلاف والاختلاف : ملقها تجويد صناعي، وإفصاحها اختيار بالسليقة. على أن المخاطب بها ليس قطبا مداريا حوله تدور حقيقة الكتابة إن دار حوله جزء منها، لأن هناك أقطابا مدارية أخرى على هذه الكتابة أن تطولها.

الشيء / الفعل يخرج بإذن كما يخرج بغيره، هو مأذون له غير مأذون له، أي أنه مستو في عين نيئ في أخرى. وإلا فسعي المبدع

وراء معرفة رأي غير المبدع في الإبداع هو عين العجز عن إبداعه في كماله الثاني.

ومع ذلك، فلابد من الترويج لهذا الإبداع ونشره تحت شمس جافة أو تحت سحابة دبقة: تتناسخ حالته حسب ما يظلله من جفاف أو من رطوبة، ذلك بأن الفضاء الأعلى ذو تأثير بين على الفضاء الأسفل: جمالية الإبداع مفروضة لكونها محتازة في حيز هو نقصانها لدى كماله الأول الواعد بكماله الثاني، وكمالها لدى كماله الأول الواعد بكماله الثاني.

ومن الممكن أن يصح للمتلقي تأويل المبدع وللكشف عما يصعب الكشف عليه منه. ومن الممكن كذلك أن يقرأ هذا المبدع عبر عيوب المبدع تارة وعبر عيوب المتلقي تارة أخرى. لكن الذي لا سبيل إلى إمكانه أن يكون هذا المبدع متلقيا طيعا مستجيبا إلى تخمينات مسبقة مفروضة. الرحم الحقيقية لا تتنكر لمبدعاتها مهما كانت عاهاتها، وثنائية التشكيل سبب مباشر في تكثر المبدعات وفي تعدد العاهات. ومن هنا فلربما كان المتلقي نقيضا للمبدع، وليكن ذلك على الأقل في اختلاف طبيعتيهما ووظيفتيهما.

ولذا فتفاهة ألا يوجد بالفعل ما وجوده بالقوة، وحماقة أن ينظر بالكمال إلى ما وجوده بالفعل وبالنقص إلى ما وجوده بالقوة، ولغوا

أن تؤخذ المقولات جميعا على أنها فاعلة إذا ردت الأعجاز على الصدور. المهم هاجس الكتابة، وهو بدوره هاجس التجويد.

(2) = (2)

لماذا يوم السبت بالذات ؟ أليس أنه يوم استراحة الإله التوراتي من فعل الخلق ؟ التشنج (معاناة المخاض) يفضي إلى الاسترخاء، والاسترخاء قمع الظاهر بتفجير الباطن بدءا من مكبوتاته. فأي فرار هو ذلك الفرار المزاوج بين القمع وبين التفجير ؟ الفرار في المكان نقلة من العيان إلى العيان، وهو في الزمان انتقال من عيان إلى غائب أو إلى مغيب. (الزمان والمكان يتحايزان) ذلك أن فرارا من مكان إلى أخر يفضي إلى المغايرة في العيان، وأن فرارا من زمان إلى آخر يفضي إلى المغايرة في الغائب أو في المغيب : واحدية المكان تتكثر بالتجزئة، وواحدية الزمان تتوحد بالتركيب. المكان متعدد بالسافل، والزمان متعدد بالعالي، وبين التعديين مسافة ما بين متعدد بذاته علوا ومتعدد بغيره سفلا.

مكانية المدينة فضاء محشو بالعمودي وبالأفقي مندمج في لاهوتية الطين والإسمنت والفولاذ وغطرسة المسطرة والبركار يدوم بمقدار دوام الغازات في الرغوة لدى الإرغاء. هو إذن فضاء مدروس

مـهندم يقـوم على أسين : كـشف المحـجـوب المادي، وحـجب المكشوف المادي : (خلق في أحسن تقويم فخلق في أسوئه) وحل العمى على وحل الشراهة.

ولأن الموضوع المؤرق واحد فلابد لبثه من اختيار الطريقة المثلى. فهو من القوة والعنف بحيث يقدر تأججه الداخلي على فك حصار الرحم عنه. ضرورة البث كضرورة افتداء الأسير.

أما ما يبدو أنه جوع في المدينة فهو جوع من يمشي على ظهرها هونا : جوع التخمة أو فائض الإنسان، جوع الغذاء اليومي المغشوش أو سوء التغذية، جوع في ارتخاء المفاصل أو في الانفعالات، جوع الاستخذاء أو الاستسلام، جوع الزهد أو الطمأنينة.

يوم السبت يوم استراحة المحارب التوراتي بقناع على الوجه ووجه على القناع : يوم عـرضي ومـؤجل لأنه ليس حـالة بذل بل حـالة استهلاك لما هو مبذول. يوم للأفعل نكاية في الفعل وإصرارا على طمر الصحيح لصالح إبراز المزيف وأسلوبا آخر تحاور به المصداقية المنعكسة. ولذا فلا وجود لحقيقة تعرف ثم يعجز عن استنطاقها، ولا وجود لحقيقة تعرف ثم لا تتمكن المعرفة من القبض عليها انطلاقا مما تملكه من وسائل النجاح، ولا وجود لحقيقة تعرف ثم لا يتمكن العارف من فك ما ضربته حوله من حصار، ولا وجود

لحقيقة تعرف ثم لا يروضها العارف بالاستئناس دون الاستحاش. بالناقض في المنقوض يحدث التوازن.

(3) = (3)

ذهب ذلك العصر المشائي الذي كان فيه الإنسان يموت دفاعا عن مقولته تقمعها مقولة فكر مضاد أو عنف متسلط. اليوم زمان الإنسان المنذور إلى "الإيكولوجيا" المتلوث بفضلاته المنفذ تعاليمه بالمحاكاة. اليوم زمن الإنسان الإعلامي المتورم بالنبإ وبالخيال العلمي وبالفئة على الفئة والعصابة على العصابة.

على أن الاحتجاج الجماعي إذا كان من حسنات العصر المشائي فمفرده في الجمع وجمعه في الجمع يحركهما رأس حربة هو بالفعل رأس حربة. في هذا العصر، كانت الوجوه الفاعلة رموزا فاعلة، تتبلغ خبزها وتمرها من مقدونيات الوجه المقدوني : قيراط من "فنار" الأسكندرية وقيراطان من مكتبتها. (ذو قرنين ينادم إله موسى) أما الرؤوس المهمشة بالأحكام القراقوشية فبذار لفظي كالدلو المثقوب يثير الرذاذ ولا يحمل الماء. الشيء على الشيء توفير للصيغة الثابتة، والماء على الماء تأسين للصورة الطافحة على صفحته. والمصلحة أساس الفرضية، والفرضية قانون يحفظ على

الهامشي هامشيته وعلى المتصدر صدارته. فما هو على الحقيقة لا فكر فيه ولا نظر إلا ما كان تأملا في المطلق، وما هو على المجاز لا حلم فيه ولا أمل إلا ما كان استيهاما بالخيال. (التأمل رذاذ والاستيهام ماؤه)

بين البيت وبين كآبته أن يكون وعاء لا غير، وبينه وبين إشراقه أن يفيض جدله على جدليته. أما التزيين بالخارجي فما هو إلا ترميم المومياء الفرعونية بتصورات انباذ وقليسية. المسكنات آلية المفعول يحتال بها على تحسين القبح، وإلا فالموسيقى للحظة الابتهال والاندماج، والكتاب للحظة التمرد على المعرفة الحسية: هما معا أداة للتذكر وللحضور ولا للنسيان ولا للهروب. وعليه، فلا نسيان لحدث باستعداء لحظة على أخرى، ولا هروب من ضآلة الحجم إلى ضآلة الوزن. وإذا كانا ضروريين، فمن التثوير أن ينسى بالسطحي لا بالعمودي، وأن يهرب أماما لا خلفا، شريطة إقامة الإهانة في رحيل القناعة واستبدال إسهابية النظرية بإيجازية التطبيق وإدماج كل ذلك في تشريح الواقع.

لا تزال النظرية إسهابا، ولا تزال الممارسة اقتصارا على ما قل ودل : لأن المعنى قبل ولادتها اللفظية لا تسعها البلاغة فتسعى إلى القبض عليها بالإطناب، وهي بعدها تحجيم لهذه البلاغة فيما هو

أكبر من مقاسها الشكلي. هي في الولادتين ثرثرة نظرية، وهي بعدهما وقبل الممارسة تهييج الفكر الموتور بالتقعيد، وهي بعدهما وبعد الممارسة تثخين النحيف وتنحيف الثخين بالاحتواء، ووسط هذا التقاطع يوجد الفعل الراسخ يبنى عليه الفعل الأرسخ. وفيما عداه، فالذات المتأمرة متذوتة بأكثر مما تتذوت به الذات المتأمر عليها. (أينما تولوا فثمة حرباء)

(4) = (4)

من يستطيع تلمس بشرته مما تحتها ليعرف مدى انصهار الروائح والطعوم في المسام ومدى اختمارهما فيها واستنباتهما شعرا كثا يحميها من القوارض والهوام السارحة ؟ لذعة واحدة من حشرة ذات دم ذاتي أو مكتسب كفيلة بتحريك سواكن هذه البشرة. وما سواكنها إلا قشرتها المدبوغة. وقديما تساءل شاعر عن جسد لا تحركه المدامة ولا تنعشه الموسيقى، رغم أن حركته عن غريزة لا عن تطبيع.

الاعترافات مهما فات أوانها لا تعدو أن تكون سرد وقائع، ولذا فهي حركة إلى الوراء من حيث مرجعيتها وإلى الأسفل من حيث قرارها، أي أنها إقرار في حالة ضعف وضعف في حالة كبت وكبت

في حالة توقف وتوقف في حالة انقطاع.

من يستطيع التنصل من حركة تتقهقر أفقيا وترسب عموديا؟ الحركة في الزمن ثلاثية، وهي في الأطوال والأبعاد والجهات رباعية، وعلى الثلاثية أن تندمج في الرباعية لخلق مسافة تطوى بانتقال هذه الحركة من زمانها الزماني إلى مكانها المكاني. وإلا فإذا كان المقصود بها زمانا مكانيا أو مكانا زمانيا فلابد من احتيازها، ولا تحتاز إلا في الذات، أما خارجها فهي علامة إبداع فوق الحيز.

من يضمن إذن سلامة العاجل بالآجل إذا اعتبرت الإدانة حركة عاجلة والبراءة حركة آجلة، وعلى هذين أن يكونا إدانتين أو براءتين لا غير؟ الإدانة تخمين سابق من حيث الرتبة والبراءة يقين مضاد لاحق من حيث نفس الرتبة. وتلك هرطقة جرى العرف بها. ولدحضها يسلط الضد على الضد كما لو أنها حركة تبرير أو وخز ضمير أو دفع فهم سيئ أو إصلاح خطإ، وفي هذا ينحصر مجال التأويل.

إن مبدأ الحركة بين اثنين مآله سيزيفية المراوحة بين نقطتي الانطلاق والوصول، فهما الطرفان اللذان تتكامل بهما حدة هذه المسافة. فما بدا رجحانا فيها على غير رجحان يكمله فيها ضمور على غير ضمور.

هناك الرؤية إذن في جانب، وهناك الإنقاذ في جانب آخر : الرؤية بالإبداع والإنقاذ للإبداع. الوثوقية متعلق الأولى، والظنية متعلق الثانية ولا يفصل المتعلقين عن حافة الإفلاس إلا مجرد كبوة بسيطة. هذا وإذا كان هذا الإبداع هاجس طرفي المسافة فهو أقوى في طرف منه في الطرف الآخر.

ومع ذلك، فهو تكامل شفوي وليس عضويا، إذ الرزين هنا يقابله المتهور هناك.

(5) = (5)

وماذا بعد الاحتجاج الثلاثي (له ومنه وبه) وهو في دائرة الكلام ترداد يفضي إلى رتابة ثلاثية أيضا ؟ إن الصيغة تقضي بأن يكون رد الفعل دفعا للإهانة ثم شراسة في قول القول ثم مناوشة القول بالفعل ثم تنقيبا عن تقاطعهما في الصورة الأولى ثم في الصورة الثانية. هكذا هي غريزة أن تغير من حولك بما حولك.

الاحتجاج لون وطعم وظل وماء لأنه عنصر شعاري سيال في حالتي الإشعاع والخمول، ينسحب على القول كما ينسحب على الفعل :

يتلون القول كتلة بألوان هي مأتى عنصرية لون على لون،

فيكتسب طعمه من نسيجه الظاهري أي من سلاسة الحواس العضوية كما يكتسبه في نسيجه الباطني أي من سلاسة الحواس النفسية. وباعتبار فيض الظاهر على الباطن فهو ظل، وباعتبار سيولة الباطن على الظاهر فهو ماء.

ويتلون الفعل مضغة بألوان هي مأتى نسبة لون إلى لون، فيكتسب طعمه من نسيجه الباطني أي من سلاسة الحواس النفسية كما يكتسبه من نسيجه الظاهري أي من سلاسة الحواس العضوية. وباعتبار شفافية هاجس الإبداع فيه فهو ظل، وباعتباره سيالا على المبدعات فهو ماء.

وتتلون العلاقة بين القول والفعل تجريدا بنسبية المطلق، فتكتسب طعمها من جدليتها. وباعتبار فيض الشكل على عل المضمون فهي ظل، وباعتبار سيولة المضمون على الشكل فهي ماء.

وتتلون هذه العلاقة أيضا محسوسة بمطلقية النسبي، فتكتسب طعمها من ظاهر النسق بالكمال أو بالقصور. وباعتبار انقطاع القصور بالكمال فهي ظل، وباعتبار استمرار الكمالين فيما هو قصور بالقوة وبالفعل فهي ماء.

هذه هي التركيبة وتلك هي أخلاطها. وحين يختل مزج هذه بتنافرها مع تلك، يصبح الزمان والمكان هزيمة أي عاهة مستديمة

(تقاطع الخرس مع الصمم) من حيث تغدو هذه العاهة حصارا والحصار إدمانا والإدمان تبنيجا موضعيا والتبنيج الموضعي قولا معياريا يقاس على الشاذ إما خوفا وإما تبريرا. ولذا فلا تعشوشب الغابة بالصمت، بل هي معه وجوم وعماء خلاء، أما كونية الكون فيكشف عنها بالكلام ويتأمل فيها بالصيغة.

(6) = (6)

من البديهي أن التحقيب فرز كتلة تاريخية عن كتل سابقة عليها وعن أخرى لاحقة لها بإخراجها من سرديتها العامة إلى الخاصة، من الثانوي إلى الأولي، من القصد بالغير إلى القصد بالذات. وإلا فمجرد تشابه حقبتين في الحدث وفي السياق وفي النتيجة ليس تحقيبا. ذلك أن نفس الحدث لا يسقى من ماء واحد، وأن نفس السياق بالقرائن لا بالقرينة، وأن نفس النتيجة قراءاتها عشر.

يقع الحدث أكثر من مرة لأنه مؤطر بشروط إن تمت تم. وينتظم في نفس السياق أكثر من مرة لأنه متواطئ مع القبل والبعد. ويصادف نفس النتيجة أكثر من مرة لأنه مسلمة رياضية بالحتمية لا بالصدفة ولا بالاحتمال. (الكشوف الرياضية الأولى بالصدفة) هو

لا ينسى الدرس المستوعب.

ليس هذا القول تنقيصا من قدرة الإنسان وإنما هو وصف لجبروت القدر في دورانه الأعرج. يعيد التاريخ نفسه لخطإٍ في التقدير وغلط في التصميم وسوء التسيير وانتحال النسب للإحصاءات وعقد المقارنات بين النييء والناضج. ومن المفروض ألا تتشابه الحقب، غير أن ما يقع منها في الوسط يتاح له أن يلتقط بنفس العدسة منظورها من الأبعاد والأطوال والجهات من زمانه في زمانها، ومن مكانه في مكانها.

البلد الألفي ألفي من حيث تداخل الزماني في المكاني، وغير ألفي من حيث قرع الآلة بالإنتاجي. زير الفنادق والابتسامة النصفية هو، تكرير قول مقول بالتقية هو، أما إنتاجيته فتأليه للذات فيما لا تتأله فيه الذات. حس الفواجع فيه ولا يعيه. واشتعال التمرد في غيره ولا ينتقل إليه ولو بالعدوى، حتى لكأنه تعازيم شتى في تعويذة واحدة.

وليست الجهات الست إلا تحايلا على الفضاء لضبط حدوده وزواياه، لذا فلا معول عليها في استبدال العادة بالسليقة، إذ فيها من الإنسان متعامل مع قشرة المرئي لا غير، ومتعامل مع الملمح الخفي ووراءه العناصر ووراءها الذرات : الأول يعرف الفوري

بالحس، والثاني يسبر المؤجل بالنظر. الأول يعرف المرأة من أداتها المهيجة، والثاني يسبرها من أداتها الموحية. لذا فهي بالأول تشتهي أن تشتهي، وهي بالثاني تشتهي أن تعرج، وبدل أن تدحض التهييج بالتسامي، فإنها وقد أوقعت الأول في الشرك كانت من معدنه، وليس هذا سوى الإمعية ونقاء الخد ولمعان الغضاريف وامتلأ الصرة.

ومن المؤلم أن تصلب النجاة من مأزق ليس بالمأزق، وأن يصبح الحوار الواعي أنموذجا مصغرا لزي كبير يلبس في المناسبات. على أن الذي يتحلل بالموسيقى إلى مركباته ويبلغ من الشفافية حد التبخر، هو المسكون منهما بهاجس الإبداع.

(7) = (7)

نفس الخطوة نحتها آدم على صخرة في جبل "سرنديب".
ضعف مراود وإيغال في فوضى الطوفان الليلي.
ينكص المغيب على عقبيه وحده ينكسر وحده
وفي الاصطرلاب احتقان الفصول
كأنما نمو الأشياء من داخلها تهديد صريح
بتبديد الظاهرة في صيغة التركيب.

لو ان السابق سابق واللاحق لاحق لا يتداخلان ولا يتقاطعان
لتوقفت المخيلة عند مائيات الصورة.
وحفظ الثلج وزنه من عبث المعيار بالقياس،
وحلا للنضج أن يسقط عنه تكاليف الجاذبية.
غير أن المجد في بقاء التعليق والإلغاء
فلا مسافة بين الكائن وبين غباره الأخير،
بين النجم المتابي وبين النظرة تلسعها حياتها.
ويبدو أن المهد قاطرة وأن القاطرة هامش أول الصفحة
وأن الإنعاش الطبي هو بالفعل كذلك لو ضبطت
مسافة ما بين الكون والفساد.
ليست الوجوه والأسواق والمدن في المتناول.
في المتناول المقايضة بها والتبريح.
وكما هو معلوم، فالحسنة بالسيئة، والندامة بالكسعي.
ويجدي الندم بالتبرير العفوي الشخصي المحتد.
كان ملوك الهند إذا غضبوا على الآدمي سلخوا جثته
وحشوها بالتبن، (من بلاغة الحشو الانتفاخ)
جلد الطبل يبكي حشوا زاد عن الحاجة لأنه لغة واصفة.
الهجرة وأدواتها غير واردة هنا لكونها ممنطقة بما هو فينا بالظن.

من الغريزي ولع العدد الصحيح بكسره،
ومن العادي تنزيه العقل الروحاني عن تركيبة خيميائية
إن زادت عن الحاجة أظلمت محيطاتها الاستوائية
وتسرت المعايير بانتسابها إلى الكوني،
بل إلى الملائم من الشفافية والمناسب مع التقعير.
آه كم هي مطالبة هذه المدن باستيعاب الكائن في الكائن
وإفراغ الكائن من الكائن بالتخسيس والتسخير المتبادل
من أجل أن تروج الواجهات الزجاجية
لجمالية محتملة على حساب ذمامة حالة.
للإشراق وجه آخر.
هو أن تورث القطيعة بدل أن تكتسب،
هو أن يستعمل الأنف للشم لا غير.

(8) = (8)

يخلو إلى ثرثرة مباح لها أن تسكت بين مقولتين.
هو يقصد إلى أن ينشرح بالمتضايفين.
هو يقرأ التشكيل الطيني دون تشريح المنحوت
كي يكشف عن المجاز الهارب من المعيار

وعن البعد في المسافة لا في الذي تقاس به المسافة.
(للأنحاء ما فوقها وما تحتها وللبركار أخطاؤه)
ويخلو إلى ثرثرة النضج المعرب
تشفيا من ترويض إحباطاته بترهاته الباسقة
يقلبها كلاما فوجوما فصيغة فضائية.
تنكشف له أن حقيقة الصفعة بث مباشر
وأنها ابتسامة محترقة منْ جهة ما احتراقة عادة.
يحاول أن يمتلك كائنة لم تملك نفسها بعد.
الانشراح تذكر طقوسي :
انضباط الصيغة أولا،
وانضغاط الصوت ثانيا،
وانصراف الرنين إلى خلاياه الأثيرية ثالثا،
واندماج المتلاشي في المتماسك رابعا
من أجل تحييد الكلام بالوجوم.
الانشراح تلميع الأداة حتى لا تخدش الدائرة
وتفلت أسنان المشط من مغبة التشحيم.
لا خروج عن سلطة الفكر والقول والفعل،
كما لا محيد عن الثرثرة بفيض في التصور،

واهتزاز في الموجات،
واستقرار في الحجم الصوتي.
ففيها يتقاطع الإدراك مع الالتقاط،
والصلف مع الادعاء،
والتجرد مع التلبس.
آه !أيتها العجوز المتصابية !

(9) = (9)

جرد كامل بأوصاف المتخيل السابح ضد التيار الآتي في غير أوانه: المصيف المشتي ينتجع الوقتين الحادث والمنتحل. على أن التفاحة من طعمها إلى خطإها الكاسح تنبر إيقاع الهزيمة ضمانا للاختلال المطلوب.

ومع ذلك يهرع إلى حرفة الأنبياء للحماية من خطر المحتمى به. الراعي فوق كوكب سيار متعطل ميلاده فيه سنين ضوئية، وموته عليه نزوة أبطأ منها طرفة العين. (ينقض أول التوازن آخره)

الأنثى من الأعضاء شرارة، والأنثى من الذرات انزياح، والأنثيان معا تتسربان إلى أخاديد الليل والنهار مقابل إيصال ومداراة الإحباط ببعث العضو الميت في الذرة حياة محتملة.

ومن جديد يمارس الطرق على الصوان رغبة في مفاتحة صمم الكلمات بما هو طوفان لفظي. ومن جديد تقول المطرقة الصدام والإزميل الشظايا والغرانيت الصورة الساكنة. ويكون على الثلاثة تدجين المقولة، ومن جمالية الإنجاز إلى رتابة البصري يكتسح الفيض اللغوي بالبصر ما يتلقى بالإنصات أو بالترداد.

يتملك الآخر لما فيه من قابلية إلى القنية. وهي مبادلة قيمية بالفورى الناجز مرة وبالمفاجئ السري مرة أخرى. ويوم تصبح الشفافية عدسة يصبح العمق وراءها وأمامها، فلا يدفع الضعف بالضعف ولا النحافة بالهزال، بل يقمع الكبرياء باحتراف اللاءات.

لا يتملك الآخر لما فيه من رتابة الصدق، وهذا سيرورة خطية لها فجائياتها وجيوبها الهوائية. شيء آخر غير رتابة الصدق ما يوازي بين القطيعة والتواصل. ويسبق احتقان المواجهة إرادة التغلب، مما يتكرر معه اقتراف جريرة الاستيعاب الكاذب في إقرار وإنكار، وفي سابق ولاحق. وثنائية إثر ثنائية، يوازي الفردي الزوجي ولا يواجهه.

صورة هذا الآخر في النحات ينحت على الصوان مقولاته الصامتة تطبيعا للمادة وهي تنويع على خلق سابق يغترف من العدم (نفس الاغتراف الإلهي) لا عن منافسة بل عن احتذاء. النحات

والمادة والأداة يتماهى بعضها بالبعض الآخر : الأول ينقل داخله إلى خارج الثانية، والثانية تقولب خارجها بناء على رغبة داخل الأول، في حين تفعل الثالثة الداخل في الخارج بقولبة النسب والأبعاد. إذ لابد من تقريب الأداة من هاجس الفعل في النحات وقوة التلقي في المادة. وما كل الاحتياطات المأخوذ بها إلا قياس نسبيته فوقه ومطلقيته تحته. وكلما تدخل الظل لتهدئة ارتعاشة العضو المنحوت، كان على النحات / العراف أن يطالب بحقه في تلك السحابة العائمة، وأن يتوكأ على عصاه أو يهش بها على غنمه أو يتمأرب بها.

(10) = (10)

الحاجة غير الاحتياج، إذ بالأولى تستأنس الأنوثة بالذكورة والذكورة بالأنوثة، وبالثانية تغتربان. على أنهما معا ذعيرة تؤديها الغريزة تكفيرا عن إهانة متواطإ عليها أو عن تكريم للذات في الذاتين. لعاب الشهوة المتحلب، وزفير اللذة الصوتي، واندماج الإفرازين في استرخاء يعقب التنفيس عن المكبوت. الاحتياج بالحاجة من أداته، والحاجة بالاحتياج من منطقة جذبها، لأن الصفاق يحجب التسامي ويفضح الباءة.

وعليه، فالحاجة تحتاز الباطن (بالمعنى الصوفي) بينما الاحتياج يحتاز الصفاق الظاهر. (بالمعنى التشريحي) هذا ورغم بروج الجهتين، فإن الأولى كامنة فيما ورائيتها غير محتجبة بها وفيها، على حين أن الثاني مضمر في ما ورائيته محتجب بها وفيها. لذا فليس وجود الأولى تحديا للثاني ولا انعكاسا له ولا إغراء به ولا ملح مائدة له. بل إن الحاجد تحد لنقيضها في الكائن وانعكاس له فيما يحاكيه من العناصر، وإغراء به لغيره ممن يتطلع إلى مقامه، وملح مائدة في بشريته. أما الاحتياج فهو انتساب إلى الضعف بالتحدي، وإلى النقص بالانعكاس وإلى القلة بالإغراء وإلى تغير الطعم بملح المائدة.

وفي هذا الصدد، تقبل "الأنا" في الخبر أو ترفض "النحن" في الإنشاء ذلك أن الفريسي يقول لغة الكائن كائنا ويختزل لغته هو. (يكذب المنجمون في صدقهم المؤقت) وإلا فكل مسيح لابد أن ينبثق من قيامة ما، فإما بالناجز وإما بالمؤجل.

الجسدية فيهما عاهة : (الخنثى المشكل في الاتجاهين، والخصي أصالة أو ولاء في الاتجاهين، واللامتجنسن في الاتجاهين، والمثلى في الاتجاهين) لذا فكيف يطمأن إلى استمرار الوارث في الموروث من ميزاب عطن لتصريف القاذورات في الاتجاهين دون تكييف هذه المجاسدة ؟

هناك ما هو متاع وهناك ما هو استمتاع، ولا أدل على أن هذا التقابل تقابل بين متكافئين يجتمعان أبدا ولا يرتفعان أبدا من أن الاستواء النفسي أو عدمه هما خاصيتان لهما. إلا أن القدرة الوارية في الأولى في مجال هو لها دون غيرها، تعوضها لدى الثانية قدرة أخرى في مجال هو لها دون غيرها.

ولأن المتاع دون الاستمتاع والاستمتاع دون المتاع حالة "شيزوفرينيا" موروثة، فإنهما يتبادلان القمع والتسلط والعنف باللغة وبالقهر وبالتغييب وبالخيانة وبالقطيعة، إلى حد تبادل المواقع : فمن حيث يصح المخاض للأولى، يصح الاستنفار للثانية.

(11) = (11)

المنشق والمشتق والمترادف في "باسترناك"،

وفي "الدكتور جيفاكو" المهمش والمولد والمدمج على صورة الظل الآبق.

لكن اللغة تفضح من عجز عن افتضاضها بالتأويل،

وتتصابى في أنامل الحاصل على الجائزة

ابتغاء مرضاة يوم تنزل فيه المباهلة على رأسها.

وكما ينتقض باللعان زنى المحجوب من حيث يثبت زنى البادي

يصبح التحييد والتدجين والتهجين مرادفات للتسييس

فلا ولادة لصرة تألف الدرهم إلا بالقيصرية.

المعايير الزانية في صف الجائزة، والمعصومة في صف الفكر الوحشي.

(دور النشر الكبرى في عباءة Best - seller)

يتشفع إلى لجنة القراءة بوسطاء التطبيع،

يستمرأ ثقل اللذة المتخيلة الآتية،

تعقلن الدروب التي يمر منها الشغب المزدوج.

تارة تدحرج الصخرة وأخرى تنفجر الشجرة من حطبها.

(طريقة ناجعة للاستخفاف بالبراءة)

امتد العمر "برامبو" حتى شاهد عصر القتلة "قليله في كثيره".

وحيث إن رياضيات الرقم قائمة بذات رياضيات الحجم

فإن الوشاية مسافة ضوئية بين تفادي الرصاصة

وبين خيلاء خنزير بري أو بجعة تصاد في مائها

وفي عنقيهما جرس إنذار وطوق واشتعال الخوف في الوريد.

يقولان للرصاصة المنشقة المشتقة المرادفة وهي خامدة في نقاء الأرض :

جربي حظك من هذا البرد القارس المطبوع في نسخة يتيمة

فالمنجم من مرصده يحصي عسل الشهور من خلية واحدة،
وبعد سقوط الثلج ينفرد دجنبر ببياضه وبشجرة الميلاد
من حيث تتصدر قروح الفالح ألوان الخريطة المطبوعة،
وتصفو العدسة متأهبة لالتقاط ما في غمد المحارة،
ويبكي من يبكي، ويندثر من يندثر، ويتذكر طابع الخريطة نسيانه
فلكأنه يبكي ذاكرة مجهضة حتى التطرف، حتى يستعيد حصاره.
الدمار والتيه في هذه "الكوريدا"، أما الكينونة الحق ففي خارج:
الانشقاق
والاشتقاق
والترادف.

(12) = (12)

التدرج يبرر التلاشي من حيث ما هو جوع ويعلل الولادة من حيث ما هي امتلاء:
المسافتان معا سيرورة لهذا على ذاك وذاك على هذا.
غير أن الوقت ذاكرة رسوبية والحزن تذكر فيضي،
وهما معا توثيق محفوظ في لوح محفوظ.

أما التفرغ لهما فهو توثيق التوثيق.
ليس سخاء ما يطفو على العيون من دمع مهما غزر
إنه بكاء ما لم تحتفظ به الذاكرتان الملتقطتان قبل زمن النضوج العقلي :
الإباق مستساغ إذا كان من ذاكرة إلى ذاكرة يطير طيرانه الوطواطي.
لعله تحاقب أو تبنيج موضعي مؤقت أو نطفة شريانية
أو تلوث في فضلات هذه المعرفة الناشفة.
لابد لهذا التدرج من ضفتين : إحداهما مطلة على مزبلة محصنة
وأخراهما مفتوحة على شروط هدنة مفروضة.
وما أن يرد على التحية بأحسن منها
حتى تستنسر الديدان في سيقان الضفتين.
الدروب القاتمة يتشرب ضبابها المعنى واللامعنى،
وحتى الإصابة بالجذري وهو عدوى الضحك بالبكاء
تفوتها العذرية إبان تلاقحها، لان لسحنتها الشمالية غبارا صقيعيا
يؤخذ باللين لذوبانه وانفراطه من بين الأصابع الهشة الماجنة.

كتاب الصنائع

قائمة مفصّلة بأنواع الصنائع
(أوّل الكلام عانس)

توهّمنا أن للكتاب كينونة بها سنقتحم هذا العالم المتشنّج العصيّ على الفهم. أحضرنا المحبرة واليراع. وجلسنا قبالة المجهول والمعلوم نضع الأسماء للأشياء. نسينا أن الملاحم تعاش حارّة وتكتب يابسة. وعلى ورق صينيّ خشن تحت ضوء الشموع خططنا علامات أصبحت فيما بعد حروفا. علّبنا الكلام في قالب صمغيّ ظانّين أنه كالوشم على البشرة البضّة لا يمحى. صدّقنا عصرنا المتنطّع. فتحنا أمام الكتابة باب الذاكرة، وأمام القراءة لذّة الاجترار، وأمام المقروء قشعريرة المنبهر. بررنا حسرتنا على ما فرّطنا فيه من الزيغ وهو رأس المال الذي دخلنا به إلى جحيم هذه الصفقة. وإذ أصبحنا صورة ممّا في أذهاننا من الهذيان اعتقدنا أنّنا ضبطنا في

حالة التبشير بقيّم معرفة بيعها بالتقسيط حقّ مشاع. بالغنا في العبث بذكائنا إلى حدّ أن جنحنا به نحو بلاهة متعالمة. ولمّا لم نستطع أن نثبت أنّ ظلام الليل ردّ فعل مكفهرّ لبياض النهار، قرّرنا رفع الحظر عن هفواتنا. مسحنا عن غيظنا الأساسيّ آثار تفسير مغرض قدّمه ضدّنا الورّاقون والنسّاخ. نقلنا كلّ شيء من الكتاب إلى القمطر، ومن القمطر إلى الشاشة. كظمنا الغيظ. "شذّبنا العبارات القلقة". فاوضنا ضعفنا بما يلزم من اللباقة. وضعنا للمعاني ألفاظا وللألفاظ رموزا وللرموز حروفا. هكذا تمّ لنا الكلام الذي انتشلنا منه خيوط الصوف والقطن والحرير والخيش. انتشلناه من المغزل والنول الآليّين ثم علّبناه في اللغة وكسونا اللغة فكرا والفكر جدلا والجدل حرفة والحرفة ناموسا للتعيّش. توغّلنا في سراديب المعلوم والمجهول، ولما لم نصل إلى شيء، تيقّنّا أن النكوص خير ما يمكن أن تسفر عنه نهاية المغامرة.

صنعة الجنّيات :

تحترم الجنيّات لأنهن إناث،
ولأنّ أنثويّتهنّ حادّة وتجريديّة،
ولأنّهنّ ضحيّة جنون سابق.

"الجاوي" يفتح شهيّتهنّ إلى غزل
يعلّلهنّ بقرب المعافاة من الصرع.
تجبدهنّ صندوق أسود آهل بنمال الذكاء.
نخاعهنّ الشوكيّ السيّال مهيّأ للتجلّيات :
الوجبة الطازجة وليمة لجسدين متناظرين،
جسد يطارد بها الأرواح الشرّيرة،
وآخر يجد فيها كمال معناه المغتال.
يحجزن تذكرة العودة من النقاهة إلى الانتكاس.
تتسع سلّتهنّ لاحتواء ضفيرة شمس وجمار كانون
وصياح ديك لم يحسن الفجر استقباله.
غير أنّ دور الحضانة التي توقظهنّ
إذا هنّ نمن على عشب مشعّ
وتوسّدن رطوبة مسلّماتهنّ،
تكدّر عليهنّ صفاء العيش في كون مفتوح
عقله الباطن مأهول
بأشباح ذوات قدرات استثنائيّة.

صنعة الآخر :

من عادة الآخر أن يصنعه الآخر
لحما وعظما وغضاريف وأعضاء جانحة.
حتّى إذا استوى نفخ فيه روح الاغتراب.
أقلّ ما يتطلّبه الاختمار والتركيز من الجهد،
يعرّض الآخر للمساءلة ومعاناة التكهّن والتأويل
انبهارا بقدراته الخارقة،
وإعجابا باختلاق ظلّ للصورة.
في حدائق البلاغة،
في واحات الكلام الصامت،
يشهد الآخر على خفوت الضوء،
وبقدر ما هو هويّة هو ذريعة للتناسل.
(وسيلة العقم إلى الإخصاب كراء الأرحام)
مهما يكن جندبا أو غرابا معلّما،
مهما يكن خطّافا أو إوزّة،
فما هو بأول من ولد جندبا أو غرابا،
ولا هو بآخر من مات خطّافا أو إوزّة،
لكنّه بالقطع كائن تفوح من حياده

روائح "العادة الشهريّة" .

صنعة المطلق :

عدد عديد من الآلهة :
صابئيّة الماء.
مجوسيّة النار.
قدّاس الطوطميّ.
خندق حشد فيه الكائن ذكاءه.
أدمج واقعه في الأمر الواقع،
وفتح به أبوابا موصدة تفضي
إلى حروب الاستقطاب وحروب الردّة.
إلى حروب التهدئة وحروب الاستنزاف .
حرفة الموت في سبيل تجّار الأسلحة،
حملت سيفا في غمده صواب رأيها
وخطأ رأي غريمها الأعزل.
من أجل المطلق كان
شرب القهوة ملحمة باذخة،
تستحضر لها حبّات "الهيل" من الهند.

من أجل المطلق دخل الجمل في سمّ إبرة.

صنعة النسبيّ :

تعتمد الصناعات التحويليّة على فعل انقلابيّ
جدير بأن يكون ترجمة حرفيّة
لآخر نبض في القلب ساعة الاحتضار.
ولاستخلاص نسبة عليا لتمرّد الذات،
من الضروريّ تصفيّة الدم من الإرهاق،
من ارتفاع نسبة عناده المرضيّ.
من الضروريّ قمع تخرّصات الساسة،
وضبط نسبة العاجل إلى الآجل.
تتحرّك الموت في خلايا الكائنات،
لحركة الحياة في خلايا الألغام العنقودية.
لغة الإدانة نسبيّة،
والتواصل بها حريق،
وقليل من يجيد التحدّث بها.
رجاء،
إذا مررتم بشاعر أمام طلل،

ينبّهوه إلى نسبيّة البكاء ومطلقيّة الاستبكاء.

صنعة الماء :

لم كان لون البحر أزرق وهو مائيّ،
والماء لا لون له ؟
لم تصلّب وجه الصخر ومنه انبجس الماء،
والماء بشرة دون مسامّ ؟
لم شفّ الهواء البلّوريّ وهو بخار مائيّ،
والماء أهمّ ما فيه الرغوة ؟
لم اندحرت قوّة النار أمام ضعف الماء،
والماء غامض كالملح ؟
الخبرة العفويّة المنهمرة من الأعلى إلى الأسفل،
والجريان المتقطع من المنبع إلى المصبّ،
والتوغّل في أعماق التراب والرمل والحصى،
والوعود المستهترة بريّ التائه في الفيافي،
والحقول اليانعة المتلهّفة إلى القطرات النديّة،
والأنهار الضالّة المنسابة في "الأرض اليباب"،
شهادة على ظمإٍ سرابيّ نابض،

في شرايين جافّة وتنقل الدم دافئا
إلى حيث الحياة تعاش من خلال الموت.

صنعة "الفوبيا" :

تقول لي العرّافة : "أرني خطوط راحة يمناك
لأستخرج من دمك الأزرق فصيلة ألقّح بها
تواضع نسبي وحاجتي الملحّة إلى صيت".
أعتذر للعرّافة عن سوء قصدها.
عن حسن تصرّفي.
عن سخريّتي من مخدّرها
المهيّج للأعصاب الملوّنة.
لم يرشد مصالح الاستخبارات
إلى مكمن الجوديّ في جبل "أرارات"
غير نازيّ كتب إنجيلا سمّاه "كفاحي"،
محشوّة بالديناميت أسفاره وإصحاحاته :
"إذا لم تستطع شنّ حرب أهليّة،
فابحث عن ذريعة لشنّ حرب خارجيّة".
تنتقل "الفوبيا" من الإرث إلى التراث.

وبالانعكاس تختلّ صورتها في المرايا الصقيلة.
(من لأحدب "نوتردام" الشهير بقامة رشيقة ؟)

صنعة "الإيكولوجيا" :

تدوّن الأرض يوميّاتها على ترابها المغشوش.
يهدّيء البحر من غلواء الماء بمزيد من الملح.
وبمروحة ضخمة يدفع الطقس عن نفسه حرّ النار.
"للإيكولوجيا" وصاياها العشر :
أكل توت الأرض الطازج غذاء موسميّ،
واستنبات الخضراوات بدون سماد تصرّف عاقل،
وردّ الاعتبار لبروتينات النبات طعن في فائدة اللحوم،
واستنتاج اليود من السمك مراهقا أو بالغا عمل مشروع،
وقطع المسافات القصيرة بالقطار لا يقدح في عفاف الطائرة،
وركوب السيارات الصغيرة في المدن أوصى به طبّ جالينوس،
والاهتداء بنور الضوء الأحمر تتبيّن به مسالك القنّاص في المحميّات،
والتدفئة بالطاقة الشمسيّة طبقا لتعاليم "هرمس" إله الحكمة مفيدة للمقرور،

وترهيف شغاف الآذان بحوار الماء السجاليّ بين المدنّس والمقدس،
وإعادة شحن البطّاريّات بنسب متعادلة من السموم والترياقات.
على "الإيكولوجيا" أن تهيّئ للكائن حساء "بالكلوروفيل"!
علّه يعتاد الخضرة الرائقة
على مقاعد وثيرة في البرلمانات.

صنعة الأبجديّة :

لترقيش النصّ ومعادله بالبياض والسواد،
توصد الأبواب في وجه النظام المقنّع.
ينقّب عن "السين الرياضيّ" المجهول.
يقلّص الإيقاع بصرامة اللاّإيقاع.
يصحّح خطأ المعيار بعصمة اللامعيار.
ولأنّ النمطية محاكاة
أي طيلسان جاهز للاستعمال،
فمن العسير كتابة التخيّل قبل اعتقاله.
التنظير عمره موسميّ،
يجرّد المادة من غيابها السابق،
والتشكيل بالحرف واللون والضوء،

يمنع سقوط اللغة في فخ الفضول الثرثار.
صورة الجنين بالكلمة المكتوبة.
ظلّ الجنين بالكلمة المنطوقة.
ومتى اكتملت الصورة والظل بالمعنى،
كان على اللغة
أن تولد من رحم ما فوق اللغة.

صنعة الولادات :

في الإمكان إبداع قرنفلة من نسخ برتقالة
إذا انبثقت من حلم بستانيّ بلباس الميدان.
أحلام تناسليّة،
تخلّص المحاكاة من النموذج،
والكثافة من الورم الصناعيّ،
والمسافة من ضرب الطول في العرض.
يرفع الحصار عن فصّ الخاتم اللّؤلؤيّ
ولا يستعيد سليقته المحاريّة.
رحام جاهزة لولادات تحت الطلب،
لا تقرّب اللؤلؤة من المحارة،

ولا تباعد ما بين الفصّ والخاتم.
أساس مشكلة الولادات المستعصيّة
أنها تخلخل المشيمة وهي
بين رغوة الفرضيّة ورغاء الفكرة.
أساس مشكلة الولادات المستعصيّة
يلتمس له ردّ الفعل في المواخير
كما يلتمس له الفعل في المعزبات الخاصّة،
لأنّ إعجاز التلقيح الصناعيّ
وانطلاء الحيلة على الأرحام المكتراة
خطواتهما القلقة محسومة النتائج.

صنعة المفاهيم :

(البرامكة)
"بوربونيّين"
أو "روتشيلديّين"
أو سلاجقة،
من زوجات أو محظيّات أو أمّهات ولد،
فإلى "الباب العالي" يقدّمون أوراق الاعتماد،

وإلى حاشيّة البلاط وسدنة الإيوان تقدّم الهدايا .
عدّلت البيولوجيا قانون السلالة الصارم .
اعترفت بعلقة ونطفة ومضغة نكرات .
(كان زيّاد الألثغ ابن أبيه فقط)
غيلان هم القياصرة والأباطرة والأقيال :
من نسخ الليبيراليّة ذرّة،
ومن الإيديولوجيا قطرات واكفة،
ومن العولمة مكر جدولة الديون،
ولا يغفل سفر الحضارات عن التنديد
بنبيّ دافع عن حقّ أسبقية العبور
للجسر دون النهر.
من يضمن عودة قطعان التيوس
إلى جزيرة "البقدونس" ؟
إذا زرع الفلاسفة أجهزة تنصّت في العقل ؟

("ميكيافيللي")

نمال هم الرعايا .
يزحفون فوق أديم الساعات .

يتراكمون فوق جثث الحقب.
يستبطئون قدوم الأنبياء.
ذمّيّون مواطنون يقتطعون من راتبهم حبّة بكاء،
يحتفظون بها ليوم يرفع فيه الحجر عن الضحك.
قرامطة متمرّدون تأخر بهم الزمن،
وليس بينهِم خصيان الذاكرة،
أولئك الجباة الوسطاء
بين مواطنة شائكة
وصوت يؤخذ منها للاقتراع المباشر:
علاج القوميّة
بلاهوتيّة مفلوجة
تفاديًا لسقوط مفاجئ في الرقّيّة.
تاريخ مقتطع من شريحة واحدة،
يتقن الجمع بين أوّل الحكاية وآخرها.
يراهن،
ولا يتقيّد بنتيجة الرهان.

(المقوقس)

دسوت وثيرة،
فوقها ساحر
وتحتها سيّاف.
الاسم هو هو، والصفة تتحربأ.
الاسم بالوراثة يعمّر طويلا،
والصفة بصندوق الاقتراع تعيش نصف حصّة.
الاسم والصفة معا،
"سيف مع "عليّ" وقلب مع "معاويّة".
هذا ودون الامتناع عن تسخير الغضب للاستجداء،
فعادة الضرب على الطاولة بلاغتها مسرحيّة،
وقعقعة خيزرانة الخطيب وفصاحة رغائه،
قول نحاسه للصدإ وغباره للمخطوطات.
أمّا معنى المعنى،
فلا يزال يرقة في رحم شرنقة.
مع القليل القليل من الحدس،
تكتشف الكائنات ـ الرعايا أنّها دمى،
وأنّ ما صرفته من الوقت في فكّ غوامض البديهيّ،

لو استثمرته في رفض ذلك البديهيّ،
لأمكنها تقليم الوسخ الكامن بين الظفر والبنان.
المقوقس قراقوشيّ
ينقل المفاهيم من الفنّ إلى الصناعة،
وحين أطلق عليه المتنبئون أعيرة ناريّة
من مسدّس كاتم الصوت،
لم يصيبوا منه غير رعشة استخفاف.
صدريّة واقيّة من الرصاص،
وحارس الأمن الشخصيّ.

صنعة العظام:

(1)

دلال الأرض رسوبيّ عميق،
وتواضع التراب مباشر وسطحيّ.
ومن المتوقّع أن تلصق الجيولوجيا بالمعادن
تهمة الاستحواذ على مفردات غزل سرّيّ
أغدقته الطبيعة على الأرض والتراب:
رشاقة الكالسيوم في العظام الفتيّة.

ارتفاع درجة الاشتهاء في الأملاح.
تناسل البروتينات من عظام الخنثى.
تحضير الفيتامينات من ديدان فقاريّة.
ومن المتوقّع أيضا أن تحمّل البيولوجيا
مسؤوليّة هشاشة العظام إلى سوء التغذيّة.
هذا وعلى العلم أن يضيف إلى فهرسته ملاحق
بإحصاء ما في عرق "النسا" المتشابك،
من قابليّة لزرع الشيب في عظام المفاصل.
وفي هذه الحقبة "الطبوغرافيّة"،
هل يستعصي لمّ عظام الشعاب المرجانيّة
من أوردة الصخور الكلسيّة،
من نصاعة الثلج الأبيض المتجمّد،
من ماموث عثر على عموده الفقري الألفيّ،
من المدّة الفاصلة بين تنصيب وخلع ملك،
من برامج أحزاب اليمين والوسط واليسار؟
إذا تعذر لمّ شملها فأقلّ ما يمكن فعله،
أن تسمّد ضيعة "الأب الهنديّ" برماد عظامه.
أن يبدع من عظام "الأمّ طيريسا" شكل صليب.

أن توشّح عظام "الجدّ الأوّل" بوسام الخطيئة البكر.
أن تنقّح "عظام الجدّة الأولى" من حلاوة طعم التفّاح.
أن يعثر في عظام "جرير" على رضوض هجائه الباكي.
أن يمزج "النواسيّ" عظامه بشرايين خمرة "قامت بإبريقها".

(2)

يلملم الحزن أشلاءه.
يجفّفها تحت أنظار الشمس.
يتعرّف عليها ناتئة من موقع القرار
في جسده الهرم وروحه الشبح.
خزّها ووبرها طحلب متقادم.
حيرة في خفّة ريشة،
استياء عضويّ إدمانيّ،
إلحاح على البداية من الصفر،
عودة إلى الإنجاب بعد العقم،
قساوة فترة التكوين،
ليونة فترة اكتساب الخبرة،
اكتشاف نظريّ لمذنّبات حديثة النشوء.

سفور القرعة عن السهم الطائش.
عظام الحزن هي ما يبقى في النعش.

(3)

عظام الانتظار معفاة من الترقّب،
إذا ارتفع عنها القلم تصبح تربصا "بغودو".
"غودو" الأرجوحة الصيفيّة المطلّة على الطفولة.
"غودو" الساحليّ المتشيّئ.
"غودو" معدّل الطقس الصقيعيّ.
أمّا الاحتمال فقد اشتعلت عظامه شيبا منذ الإعلان
عن قانون منع التجوّل بلسان صفّارة الإنذار.
عثر الجمل في طريقه الرمليّ
على هودج متشبّث بعظام امرأة تائهة.
راودته عن نفسه لقاء محو سمة الندم من السجلّ،
ولبّى تحرّشها به لقاء تقريب الشقّة بين الجدّ والهزل.

(4)

لو لم ينتشر الكسل مباشرة بعد انصرام أيّام التكوين الستّة،
لكان تفكيك عظام المستعمرات-المنتجعات أسهل من تركيبها.
ولكان تعطيل إنتاج الغلال موقفا إيجابيّا من تسويق المجاعات،
ولكان على الأجساد أن تفسّر فسادها الحتميّ باستبطاء أمد الموت،
ولكان تأجيل عمل اليوم إلى الغد محض نكاية في تساقط أوراق العمر.

عظام الكسل
وعظام الأحوال المناخيّة
كعظام الشاعر
تعلو صدره الأوسمة التاليّة :
- قال له : "زه وأعطاه ألف دينار وجاريّة"
- خلع عليه بردة وتعامى عن سوابقه.
- أقطعه أرض "ما بين النهرين" إليه يؤول خراجها.
- دفنه حيّا تحت اسم "وضّاح اليمن".
- استوزره في حكومة التناوب.
هيكل عظميّ متّهم بالسرقة الموصوفة،

عثروا في خزانة الودائع على حامضه النوويّ،
لذا وطّن نفسه على تأجيل عطلة السبت القادم
إلى سبت لن يأتي إلاّ حيث ينهزم الزمن
أمام أيّام ستّة ليس بعدها استراحة.

صنعة التوابل :

الأسوجيّة في موسم القطاف.
الشركسيّة وهي بعد في الشرنقة.
الصوماليّة الملتحفة بوهج اللون.
المجريّة والإسكندنافيّة وضفائر الشعر الأشهب.
وتجمع المزّة بين الحلاوة والمرورة،
بين ملح المائدة وزيتها.
توابل نساء الحريم في أجسادهن.
توابل موصدة : قفل العفّة على ملمس العفّة.
مع أنّه لا خوف على الخصيّ من فتنة الماشطة.
وصال يشترى بسنّ لا يزال في الميعة.
هجران يباع بسعر العمر المتآكل.
قميص بنصف كمّ للذراعين البضّين.

وشاح فضفاض لمنع الحشمة من التبرّج.
ولا يتعفّف شعر الغزل العذريّ
عن مطارحات "بورنوغرافيّة" سرّيّة
بين عاطفة مكبوتة ووتر عود متمرّد.
كم هو عسير تجفيف البحيرات من الملح الطحلبيّ!
الدونم الأرضيّ مفتّت إلى أقلّ ما تقسّم إليه الذرّة.
الأدمغة صغيرة والفكر معلّب بالمشيئة.
الجلوس إلى مقارعة أنخاب الأرق الماجن.
الخفاش وأبعاد الجهات الستّ المتساويّة.
العينان المكفوفتان بوصلة عاطلة.
فحل يحجز الأنثى في أنثويّة جسدها،
ويوقف ذكورته على اشتهائها.
وعلى مدى مسافة قريبة من السلب والإيجاب،
يقرّ الإخصاب بمعادلة الذكر بأنثيين.
(لك الشكر يا "إلوهيم" لأنّك لم تخلقني امرأة)
جبنة معلّقة في الشجرة وثعلب لا يستطيع القفز بالزانة.
ومن سوق النخاسة إلى "بورصة القيم"!
يوصى بالتوابل لعلاج قرحة المعدة.

نطف لم تخلق بعد تخاف من أنوثتها،
ولولا الشعر لانطبعت صورة الخوف في المرآة.

صنعة اللاجدوى :

خطاب "أورثوذوكسيّ" جدليّ
ملاسنة لفظيّة ترمي بالهرطقة طرفي الحوار.
خليّ يستهزئ من معاناة شجيّ.
تعثّر في أولى درجات السلّم.
طريق الغد والأمس حلزونيّ.
طريق الراهن إسمنتيّ.
ولا يتحصّن من انجراف التربة
غير اللاهوتيّ والإيديولوجيّ والفوضويّ.
العصا البيضاء وحدها تتحمّل ساديّة أعمى
يحتكر وحده حقّ اتّهام اللامنظور بالمازوكيّة.
لو تجاوز عاهته،
لو قاطع حواسّه الآليّة،
لصفّى جميع حساباته مع الظلام.
قربان طوعيّ لآلهة الوعد والوعيد.

موت مجّانيّ لجسد دائم البحث عن روح مناسبة.
(أولى بمن لا يعرف عمل شيء بحياته أن يراهن بها)،

(1)

جرى عرض مسرحيّة "الأيدي القذرة"
والشبابيك مقفلة.
نفدت جميع التذاكر.
احتمل المسرح ما يفوق طاقته الإيوائيّة.
(مع القناعة يكفي طعام اثنين لأربعة)
كائن أعجم
في إهاب كائن لغويّ.
انطلق اللعب من نقطة الصفر.
تناولت المهارة المنشّطات المحظورة.
انتقلت من الحرفة إلى الاحتراف.
ظهر أنّ عمليّة الاستشعار عن بعد،
في حاجة ملحّة إلى "رادارات" جدّ حسّاسة.
من الأنا إلى الأنت، ومن الأنت إلى الهو،
يعقلن العناد رفض الجوائز الملغومة.

من الأنا إلى الأنت، ومن الأنت إلى الهو،
لا يتعهّر الهندام بالأقنعة،
بل بما تحتها من صفاقة الاسترزاق.
لا بأس من سحب البساط من تحت
رجلي الماشي على جماجم الموتى.
كما لا بأس من اتساع العدسة الضيّقة السفلى
لاستيعاب جماليّة العلويّ الشاسع الرحابة.

(2)

تحلو مرافقة قنّاص ملهم
إلى رحلة لصيد الخنازير.
إمّا أن تفتّت جمجمة الوحش برصاصة،
وإمّا أن تمزّع مخالب الوحش لحم القنّاص.
مدار اللعبة على دقّة التسديد أو عشوائيّته.
اللاحق حماية مزدوجة للسابق المستهدف،
والسابق دليل اللاحق إلى الهدف،
ومن ينقش اسمه منهما قبل الآخر
على زغب الطريدة الداميّ،

يستطيع أن يكتب "سيرة الجنون" .
ويردّ للبطولة هيبتها اللاتينيّة،
ويمشى في شعابها
زحفا على بطنه كالسلاحف،
قبل أن يلجأ إلى مغارات جانبيّة كلّما استفزّه التأويل.
أيّة "ريكونكيستا" هاته التي مهّدت الطريق إلى
كتابةِ العبث دوريّا ب"الكلمات والأشياء" ؟
(الثرثرة الصامتة تقول غضبا متقطّعا)
أيّ جدوى لذات تحسّ ولا تحدس ؟
كحوذيّ عربة القيصر يفعل المشي ولا يمشي.
(ما ثبت أنّه مشي مسافة دونم)

(3)

الصورة داخل الإطار.
الإطار خارج الأشكال الهندسيّة.
الأبعاد التخييليّة محاصرة بالصورة والإطار.
للناظر إليهما أن يتأكّد من قدرة عينيه
على اختراق الحجب الحائلة دون الفهم.

في هامشيهما توقيع رهيف غامض كمنمنمة.
التوقيع خال من تاريخ الالتقاط والبثّ.
مكابرة إنسان في ذهنه عشّ،
وفي العشّ توراة وأناجيل.
تشهير بمثالب الميز الطبقيّ،
ومصالحة بين الجدل ومحترفيه؟
مسؤوليّة العين والمخيّلة عن التحريف ثابتة،
ولا ينقض إدانتهما غير تصحيح الإمضاء.
فراشة بالأبيض والأسود حائمة حول أقحوانة ملوّنة.
قصور الفراشة الفطريّ غير رشاد الأقحوانة الإنّيّ،
مع أنّ حاجة الأولى إلى الاحتراق بلهب الضوء
كحاجة الثانيّة إلى الاحتراق بذبول الماء.
تتوحّد الحاجتان بقانون المفارقة الصارم،
بمقولة دفع العنف بالجدل الذي هو أحسن.
ليحرس الراعي خراف ضيعته من ذئاب "الغابة السوداء"،
وليبحث الفيلسوف لمدوّناته عن براءة اختراع هو صاحبه،
وليتحلّيا بحصافة من ينتحر فوق سريره الأصليّ!
كساد متوقّع لسوق نموذجيّة بها أروقة زجاجيّة،

وفي الأروقة نظريّات انتهى تاريخ صلاحيتها .
لكلّ نظريّة باب ومزلاج
إذا فتح الباب مدوّناته الموثّقة
سارع المزلاج إلى قمع حشرجتها المبحوحة .
كان ذلك منهما تأويلا لواقع واحد
من زاويّتين متعارضتين .
(للعبث خرائط ورسوم بيانيّة غاية في الدقّة)

(4)

اقتداء بكبير الأساقفة
فاجأوه وعلى ظهره خرجه وعصاه .
استفسروه عن الجهة التي يقصد إليها .
لم يجبهم إلاّ بقوله :
«Du côté de chez Swann»
مأتى عنفه من :
البحث في الحقائب عن العصب الحيّ المتوتّر .
(عنف المسكّنات والمغيّبات والمنشّطات)
البحث عن المعادلات بواسطة السحر الأبيض .

(عنف العيش سرّيّا تحت أسماء نكرات)
البحث عن العصاة في جيوب "تورابورا".
(عنف متبادل بين بوذا وشركة نقل الأموات)
الزمن الراسخ في سوابقه ولواحقه.
الزمن الطريّ صنيعة الفلكيّين الهراطقة.
الزمن الحقبة المقتطعة من راتب الأزل الأبد.
(عنف متبادل بين البكتيريا والمجهر الرقميّ)
الضياع وجماليّة الإحساس به خارج عيشه.
الضياع العنوان وما بين دفّتيه من الإحالات.
الضياع التيه اللفظيّ في سديم الخليّة الأولى.
(باهظة هي تكاليف السفر الجوّانيّ في الذات)
هاهو يحط رحال البحث عند ملتقى البحرين.
ماذا بعد عطلة بدون راتب غير الاسترخاء ؟
ماذا بعد هذه الخلاعة المتبتّلة غير العصابيّة ؟
ماذا بعد شحن بطّاريّة الكائن بالغاز المشعّ ؟
(كيف أمكن تهميش الفعل الكامن في الطاقة ؟)
لقد عثروا في عنفه على آثار أقدام آلهة عابرين.
(إلى الآن لم يرفع الحصار المضروب حول الفهم)

(5)

له فضل السبق في عقد "المحاكمة"
مؤازرا بشهادات الإثبات التاليّة :
"أوديب" وأبوه على أمّه.
"إيليكترا" وأمّها على أبيها.
منحوتات مرمريّة عاريّة
مدوّنة بالآراميّة
بعضوي تناسل مختلفين.
(التقطت "هيلانة" زهريّا حادّا من نابوليون)
(التقط نابوليون شبقا ملكيّا من "جوزيفين")
انعقدت المحاكمة في جلسة مغلقة.
نابت عن المتّهم أوراقه الشخصيّة المصادرة.
توهّم القاضي أنه لسان حال هذه الحقبة الدمويّة.
فتح الملفّ ولّما تبدأ المرافعة.
في الملفّ قضيّة.
في القضيّة علاقة.
في العلاقة ندوب دالّة على ارتجاج في المخّ.
تساءلت الصورة عن جدوى مثولها أمام

لحظة واحدة من لحظات حياة لم تكتمل بعد.
لحظة انفجار الفعل دون إرهاص بردّ الفعل.
– كيف تشابكت خيوط النازلة؟
– عند دخول الكلام في اللامعنى.
– هذا إقرار بفعل أنت تنكره.
– بل إنكار لفعل فعلته.
– انتقال عابث من النتيجة إلى المعطى.
– ذاك هو العنف.
تمخّضت المرافعة عن رجل لم يستسغ حلاوة عصره،
لذا عوّضها بحموضة المخلّلات لتسهيل الهضم :
تصنيف الكائنات حسب ارتفاع معدّلات الاشتهاء.
إبراء ذمّة التماثيل العاريّة من غلمة النحّات.
تفسير الواقعيّ والغيبيّ بغبار الأسفار القديمة.
أسفرت التحرّيات عن إصابة المتّهم بداء الفهم.
قرّرت المحكمة إدانته مع تمتيعه بظروف التخفيف.

(6)

وراء واجهة زجاجيّة لدكّان بائع التحف،
يبدو أثاث قديم محنّط في ذاكرة طلليّة،
أعيدت إليها الحياة مع احتفاظها بأقدميّتها.
يشترى العجز في زمن القوّة
بثمن ما يبدو عليه من الأبّهة المسالمة،
لكن القوّة لا تباع في زمن العجز،
بل تشترى بالعنف الذي بقي فيها.
بدا ل"سيوران" أن يتماهى مع عنفه الذاتيّ :
تغيير "ديكور" البيوت المسكونة بالأشباح.
تجريد الأبراج من دلالة السعد والنحس.
بيع الكائن بثمن ما له من الشهرة.
شراء الكائن بالموت الذي فيه.
دعوة الكائن المزعج إلى الكفّ عن الشغب.
دعوة الكائن المنزعج من ميلاده إلى المصالحة :
إمّا الهروب وإمّا ممارسة لعبة التخفّي.
إمّا المقايضة وإمّا تحوير قانون المزايدات.
إمّا الاحتراق وإمّا منع الغابات من تجفيف الحطب.

إمّا الزيارات الخاطفة وإمّا مجاملة القصور الكلويّ.
إمّا العشاء اللاهوتيّ الأخير وإمّا عشاء عمل.
ليكن في الانزعاج من عنف المعرفة المتاحة
شفاء ما في الكائن من الحالات العصابيّة،
(أكيد أنّهم سنّوا للدعارة قانونا يحميها من الأخلاق)

(7)

ما المانع من تسكّعه الليلي؟
(انطفاء الفوانيس إنذار باشتعال ظهيرة الأرق)
ما المانع من نومه تحت جسور المعرفة ؟
لا شكّ أنّ نهرا لا يجيد السباحة من منبعه إلى مصبّه،
يتفادى الوقوع في كمائن البالوعات الخفيّة.
يحضر دفن الكينونات المستغنى عنها.
جرى له استقبال حافل في "المسرح العلبة"
كان حالاً في جسد "مغنيّة صلعاء".
تحت "باروكتها" شعر وفوقها ضفيرة.
غنّت بحنجرة بحّاء ووجه أمرد.
غنّت إلى أن استبدل القنفذ شوكه بزغب فأر.

نام للمرّة الأخيرة تحت "جسر ميرابو" .
رأى في منامه زوارق شبحيّة وبحّارة مخمورين،
وما استيقظ حتّى وجد نفسه فوق سرير متوتّر،
يحصي حبّات الرمل في فيافي القارّات الخمس.
لم تطاوعه معرفته العميقة بعلم الجبر والمقابلة،
ومع ذلك أصرّ على استجواب الأصفار.
وكخطوة أساسيّة للزحف خلف الرقم الهارب،
رتّب الكراسي في القاعة الخاليّة من الروّاد.
جلس في الصفّ الأمامي قبالة تيّار الوعي.
قال كتابا عن الحضارات،
وفصلين منه عن الهروب من الجبروت،
وصفحتين منهما عن تعويد الصبر على الصبر،
وكلمة من الصفحتين عن جيل اجتاحته حمّى الأسماء،
وحرفا يتيما من الكلمة عن هنود حمر لم يستأصلوا أبدا.
محاضر شهم خدع الكراسيّ ببيانه،
وحمّل تبعة الفراغ لإمارات الأرض السبع،
ولحكّامها وهم دون هذا العدد بقليل.
(دعارة سيّاحيّة تتهرّب من الضرائب)

صنعة الدمى :

البجعة :

يافع هو "والت ديزني" .
في عمر دميته البجعة هو "والت ديزني"
أغرى بها البحيرة الحالمة .
بثّتها البحيرة في مطالع "السمفونيّة" .
المفاجأة أنّها عزفت خارج السرب .
اعتذرت للسلّم الموسيقيّ عن نشاز عفويّ،
ولضفافها عن الصدى المتموّج ضدّ مشيئة الماء .
أعادت "للنوتات" المارقة صوابها،
وقالت :
"تكنس علب الليل آثار نسك النهار
وتفتح النوافذ لتهويّة عهارة الليل" .
(خليج ينظّف عقاله ويلوّث عمامة جاره)

الحمامة :

حمامته البرّيّة العاقلة،
دمية سمّاها "بالوما" .

لا يحصى عدد الأسرّة التي حملت منه .
(سفاحا في أغلب الأحوال)
طارت من قفص "غيرنيكا"
إلى سواحل بحر تكعيبيّ .
وآلت على نفسها ألاّ
تعير جناحيها كالقطاة
إلى شيخ في عمره الثالث يتعلّم الطيران الشراعيّ ،
إذا طارت فبأجنحة سرب من النسور ،
وإذا حطّت فعلى حصّتين من ميراث مفتوح .
من يجرؤ على انتزاع ريشة من جناحيها
يغمسها في دم رجل اعتاد توقيع لوحاته باسمه ؟
(فنّيّا يبطل سحر النميمة بعد موت الوارث)

الغراب :

قيل لقابيل : "إذا كنت غير قادر
على إيصال الكذّاب إلى باب الدار
فلم قتلت هابيل نصف قتلة ؟
(من يسرق صومعة يحفر لإخفائها بئرا)

لم التجأت إلى خبرة الغراب الدمية وحده ؟
"الميكادو" اليابانيّ يواري موتاه في أعماق البحر.
"براهما" الهنديّ يحرق موتاه ويحتفظ بالرماد.
غراب أبيض
بهويّة غراب أسود،
وشاهدة القبر
جداريّة في متحف قارّة
ألفت أن تدفن موتاها.
أن تعيد إلى التراب وديعته.

الضفدعة :

روّض "أريستوفان"
ضفدعته الدمية
على نقيق رتيب.
أجاز لها تقطيع النبر والإيقاع.
(من الغبن تفجير المقاطع لصالح قافيّة)
أنطقها والماء في فمها.
انبهرت المقاطع من رتابة نقيقها.

منعت الليل من الاستمتاع بسواده الحالك.
هذا،
وإذا أعدّ الحفدة الأسيويّون حساء
شهيّا من أفخاذ الضفادع الراشدة،
فلأنّهم على ضفّتي "الميكونغ" الأصفر،
عاشوا إبادتهم الجماعيّة بالتقسيط،
بشهادة ضفدعة
استأنست بخرير مياه النهر
وكرهت انسيابه ضدّ التيّار.
(يكون الكائن بالصوت أو لا يكون)

التمساحة :

تعجّب خوفو من تمساحة دمية تضحك من أسنانها
وهي تعبر المنطقة الباكيّة من النيل الأزرق.
رافقها إلى حيث اعتاد أن يسبح عاريّا،
في صراحة الماء وفي مكر البالوعات الغامض،
ولم يمنع رجليها ويديها الحافيّات
من التبرّج في القفّازين والنعلين.

وحده طبيب الأسنان من يقدِر
على جعل أسنانها متساويّة كأسنان المشط،
تلوك وتأكل وتبلع وتهضم بمعدة منسّقة.
لو فعل لأضاف إلى الحسّ حدسا غير مألوف.
وشوشة رتيبة تحت ستار ليلة مقمرة،
ذريعة ناجعة لتأسيس مجتمع مدنيّ تمساحيّ،
وطريقة فجّة لتخدير اللغة ببلاغتها المزعجة.
(تقتضي الأعراف إجهاض الدموع الصادقة)

الفأر :

الفأر الفحل دمية.
محشوة بوبر الغموض
ولعب الأطفال
ومختبرات التجارب
و"سدّ مأرب"
والمتابعات القضائيّة بتهمة تخريب الأهراء.
هو دائما على أهبة سفر استكشافيّ :
خمره اليوم "قرض" الشعر

وأمره غدا قطّ شرس يحفظ الشعر وينساه.
الأسنان مخالب الكلام
والأظفار أصابع اللغة،
ويقرأ بالأظفار من يكتب بالمخالب.
الشراهة المستويّة على نار متوتّرة
تحت سقف واحد تقيم مع الشهيّة،
الوليمة كالحريق الناضج،
يفصل الجدّ عن الهزل
يعزو إلى قدر أوكل بالقطّ
رعاية الفأر.
حرب باردة بين عداوة ثابتة
ومجاملة ضروريّة.
(آه لو كان العالم صهريج زيت !)

الخفّاش :

للخفّاش الدمية قصّة مع طيران الليل الأعمى.
اعترضت مروحيّة تحويمه فوق مغارات "الألب".
أدلى لها برخصة قيادة الطائرة بمحرّكين.

أطلعها على شهادة تخرّجه في معهد الطيران الملكيّ.
لم تقتنع إلاّ بحقّها المطلق في التحليق وحدها،
دون غيرها من السلاحف والسحالى
وعناكب المحميّات.
التجأ إلى سماء عزباء وحلّق فوق رؤوس أرزات عوانس،
عثر في مغارة "قاديشا" على وطواط مارونيّ أمرد،
أدركته النبوّة وهو بعد في ريعان الصعلكة.
عكّر عليه صفاء الظلام
أعمى ويبصر الهواء بجناحيه.
حمل منطاده ومظلّته.
وقّع على إفاداته باسم وطواط آخر
خجلا من سماء فوقها أرض
وتحتها ميازيب فارغة.
توغّل في الأسطورة.

العنقاء :

العنقاء فعلا دمية
جرّدت الرماد من سرعته،

وانتسبت بالتبنّي إلى النار
في زمن الاستنساخ.
من تخيّلها ثيّبا
بعثها بكرا
وأثنى على الرماد دون النار،
لأنّ البكارة توقظ شهية الاغتصاب.
"أكواريوم" آهل بسمك ملوّن "مسكون".
"رجل الساعة" يظهر ويختفي:
كائن فوق ـ أرضيّ
يتقفّى أثرها خطوة خطوة
من الكسبيّ إلى الجبريّ.
وإلى الآن لا تزال
جوارحها شفّافة:
يداها درّتان شائكتان،
رجلاها حوافر بأظلاف،
تأنس إلى البحر وتقلقها اليابسة.
لا يزعجها غير إحصاء إداريّ
يداري الرماد دون الجمار.

صنعة الصيف :

تعتبر
طواحين الرياح
أنّ الصرّار والنملة
من بنيات صنعة الصيف :
الصرّار يعدّل طقس الزمن،
والنملة ترشّه بتوابل الأسطورة.
الصرّار حقبة
والنملة جيل.
وما تنصهر الحروف في جحيم الكلام
حتّى تمهّد الصدفة الفرصة
لتبرّج الفصول الأربعة
في كرّاسات أطفال العولمة
حيث يسهل استخدام ذكاء النملة
لصالح استمتاع الصيف بعبث الصرّار.
عيون السماء
ماكرة كالمجاز،
واسعة كصحن،

فخمة كحروف الإشباع،
فلا عجب في استعارة الصيف من الشمس
ظهيرة غاصبة،
ومن بقيّة الفصول
مطرا أخضر وسعفا يابسا.
عنوة،
تؤجّل الفواكه نضجها
لحين تفريخ الدساتير في الخريف،
وصدور قانون يسمح للمراهقة المتأخّرة
بان لا تحول دون اقتران الصرّار بالنملة.
(من أجلهما عدّل "فريد الدين العطّار" منطق الطير)
هذا ولخطى الصيف
نقيق نعل مطّاطيّ،
وحفيف خفّ جلديّ،
وقرقعة قبقاب خشبيّ.
كم هي رائعة أرض لا تستاء من تعدّد لهجات الأحذيّة!
وكم هي بذيئة خطى تغافل المسافة وتصل قبلها!
يرجع الفضل إلى الصيف

في تجميع الحكمة، كلّ الحكمة
في حماقة الصرّار ـ العصر،
وفي دهاء النملة ـ الحقبة.
وبعمليّة الاستنساخ
يتمّ تبادل المواقع
بين عازف الليل
وحارس ماخور النهار.
الصوت "أوبيراليّ" ولا يزلزل،
والجناحان ضيّقان وأكبر مساحة من الإمكان.
من يدلّ الصيف على سلّم "ريشتر" ؟
ومن يعيره صفّارة إنذار ؟
العذاب هنا وهناك
والإحساس به مختلف.
(للتذكير : كلّ الثورات صيفيّة)

صنعة المدينة :

"هذا أنت يامدن الغمر والطمي والشوك والقصب والإسفنج !"

(ندوب غائرة بقيت من جروح قديمة على صفحة الأرض)

(1)

مدينة عرضت الأسفار والإصحاحات مفاتنها :

عصر جيريّ قبله حجريّ وبعده برونزيّ.

سبع جماجم وما لا يحصى من الأضرحة.

وبقليل من الكرامات وكثير من الأساطير

استقبل مبغاها زناة سكنت الحمّى عظامهم.

بحثت في شبقهم عن "الكاتارسيس" اليونانيّ

لإقناعهم بأن عراء البحر لا يخلّ بالمروءة.

(2)

مدينة رضيّت عن فصل بعلها عن بكّها.

بجراحة تجميل وبفضل تخدير موضعيّ،

صحّحت الآلهة خطأ الخزّاف السريانيّ.

استردّت الحنطة فطرتها الغذائيّة الأولى

كما استردّ الخشخاش سلطته على الحسّ.
أعمدة مرمريّة لم تصح بعد من الإغماء،
وأطلال رهن إشارة البكاء والاستبكاء.

(3)

مدينة عثرت في رحمها على جنين حجريّ.
حسبته محارة صدقها الخفيّ من كذبها الباديّ.
ورغم أنّها عاقر لم يمسسها لا جنّيّ ولا إنسيّ،
لم ترتعش حلمة ثدييها احتفاء بالأمومة الآتيّة.
راهنت على ما في الضمنيّ من صمت حيّ،
وأغدقت عليه طوفانا من الحليب الصناعيّ.
ممّا أكرهها على احتراف البغاء المجّانيّ.

(4)

مدينة قباب أضرحتها فسيفساء رقميّة.
تحت القباب أولياء مانويّون وكيوميرثيّون.
منهم من أعجم البحر ومنهم من أعرب البرّ،
تنوء أجسادهم تحت رهافة الطياليس والعمائم.

حدث أن تعلّق بعلها الخوارزميّ بحساب المثلّثات
خرج منه وهو قاعدة أسيويّة لإطلاق الصواريخ.
علما بأنه لا موانيء في بحار لا هواء في رئاتها.

(5)

مدينة كان من المتوقّع دعوة عباقرتها
إلى تعبئة بطّاريّة البلاغة بلسان الحال
لضبط نسبة الشراهة في فعل القراءة
وارتفاع معدّل التخمة في المقروئيّة.
ظهر أنّ التلعثم المسرحيّ معرّض للارتشاء
على ألسنة رواة يشحّمون حبالهم الصوتيّة
بالسعال كلّما عاق الشجى أداءهم الكوراليّ.

(6)

مدينة مكتفيّة بسياجها الترابيّ الصحراويّ :
نموّ سكّانيّ ومستوطنات من دور واحد،
مفصولة عن الأرض والسماء بمجرّات ثقيلة.
اعتادت تجديد مسوح القداسة كل خمسمائة عام

واختيار قرابين من أجود لحوم الوعول الكنعانيّة،
متذرّعة بتنقيح خرائط الطقس من خدوش الجفاف،
رجاء أن يؤخّر الليل نهار الأمس إلى الغد القادم.

(7)

مدينة عقد بحّارة برتغاليّون قرانهم الجماعيّ
على عرائسها لقاء صداق مؤخّر جدّ مالح:
أرخبيل على الساحل ومرجان وأنابيب غوص
وزوارق من ورق البرديّ وأكواخ للصيّادين.
وما تخلّصوا من ممارسة مكائد حبّ تحت الماء
إلاّ بعد قيامهم بسبعة من الانقلابات العسكريّة،
خلّصوا بعدها أسطولهم بحذر كثير وحزم قليل.

(8)

مدينة حمل ميناؤها الرمليّ إلى البحر رشاد العقل،
وحمل البحر إليها صليبيّين يربّون القطط السيّاميّة،
ويقسمون كعكة الميلاد على سنوات ما قبل الميلاد.
لو تخلّص مبشّروها من اقتناص الرخويّات اللاهوتيّة

بشباك غير قانونيّة وفي زوارق شراعيّة عرعاريّة.
لو فتحوا كوى إضافيّات ضيّقات في رباطات الثغور،
لتمكّن العقل من إعداد طبعة ثانيّة منقّحة لمخطوطته.

(9)

مدينة عتيقة دوّنت سادوميّتها في معاجم المعاني.
لم يجفّ مداد براءتها من تهمة التلبّس بالهجرة السرّيّة
والدعوة إلى تذكير التأنيث بالإكثار من أكل فول الصويا.
تحرّجت من غوص قدميها في وحل المشي المؤجّل.
وإذ جلست للاعتراف بما ينقصها من الغدد الدرقيّة،
لاحظت أنّ لغة مغناجا موشومة على ذلاقة أسنانها.
أرغمتها البيولوجيا على العلاج بالتنويم المغناطيسيّ.

(10)

مدينة استدعت "سعدي" إلى ندوة تعقد في بستانه.
رأى "النيلوفر" الظامئ لا يتجرّع كفايته من الماء.
بلّل عروقه بلغة إيقاعها أزرق وجرس إيقاعها بنّيّ.
كفاه شرّ عبور النسغ من سراديب الحقيقة والمجاز.

تفقّد عبره شعراء يتلون مزامير داوود طردا وعكسا .
انتقى من بينهم ديلميّا يحفظ عن ظهر قلب غزليّات
أكاسرة أسروا إلى ليلاهم بواسطة مركبة فضائيّة .

(11)

مدينة محصّنة بالمسلاّت والتعاويذ وظلال الإيقونات .
طرود بريديّة لا تزال إلى الآن تصل إلى عناوينها
مغبرّة بالجير الأحمر يهبّ عليها من مقالع الأحجار .
تحمل الآن في حضانة الثلج والرمل اسم "عامورة" .
تنتظر الحصول على نصيبها من الخجل المتواري
خلف السيف الأصدق أنباء من كتب متخمة بالهذر
خلف قبر منسيّ دلّ على عبث السيف بعصر كامل .

(12)

مدينة صاعدة مع الزيتون نازلة مع جدائل الليلك .
رمّانة مغلقة على أسرار قصرين وبكاء بثلاث لغات .
برتقالة ماردة ورسيّة كفّرت عن خطإ التفّاحة الأولى .
أبواب بيوتها مشرعة رغم صلف الأقفال والمفاتيح .

ملامح موسيقيّين ورسّامين وشعراء ومصارعي ثيران
تزور قبر شاعر (مطلوب رأسه حيّا وميّتا) عاش زمانه
رفقة مروحة/مدفأة وقتل ويداه على يراع وفرشاة وقيثارة.
استعادت الأبواب بعد مقتله سلطتها على الأقفال والمفاتيح.

(13)

مدينة بالقطران تبرّد الماء وبالفاسوخ تنظّف الصوف.
بالغاسول تجفّف دموع دمية موسميّة اسمها عاشوراء.
بيارق "عيساوة" وبحّة صوت "مؤنس الغرباء" في المآذن.
نفايات الزرائب والمعاصر والأرحيّة و"الدرازات" والمدابغ.
اختصار التعب الأسبوعيّ في "الملاّح" أيّام السبوت التوراتيّة.
يا "أبا المواريث" كيف لدار العجزة المشيّدة على ضفّتي ينبوع
أن تعالج بطبّ الأعشاب زحف الكهولة على أعمار عنفوانيّة ؟

(14)

مدينة قرأت مؤخّرا رسالة كتبها تمثال برونزيّ لابن رشد.
وجدت أنه أنجز بعد فوات أوان الاحتفال بأرسطو في شخصه.
ساءلت النحّات الأندلسيّ عن أيّ إزميل لائق بنحت الوثن في معبوده؟

هرش النحّات حوافر يديه واستدرك قائلا : "الخيل للزينة والبغال للركوب،

وخطيئة الميّت الثريّ تركه فقرا مفتوح المصراعين للوارث الألمعيّ" .

فضّل التمثال نعمة الخمول مقيما على لعنة ذيوع الصيت ظاعنا، معتقدا أنّ القنافذ الملساء ما تخلّصت من شوكها لغير التبرّج .

(15)

مدينة أنجبت هراطقة رائعين عالجوا غفلة العقل بالأفيون

يتسرّب مباشرة إلى النخاع الشوكيّ لاختبار صلابة المفاهيم،

ومنه إلى تبسيط البيع والشراء بقانون : لا تساوم، خذ أو اترك!

نبات مرطّب يزرع في حقول لا تتحمّل تربتها بتوليّة اليقطين .

يأخذ "الزرادشتيون" منه كفايتهم للاستدلال على الظلام بالنور،

ويحرقه البوذيّون في مباخر ذهبيّة لتدجين الحضور بالغياب .

أمّا العلمانيّون ضعاف البصر فيصقلون به زجاج نظّاراتهم .

(16)

مدينة رخيم صوتها ورخيم صداه في الطرق المؤدّيّة إليها.
أصوات قراصين البحر وسراطين الأعماق وخوّار الثيران.
المصابون بالفالج في محجر صحّي خارج المدار الحضريّ.
علاج الهجرة السرّيّة بوضع "الدونكيشوتيّة" في معجم مريح.
ومنذ نشوء الحضارة البحريّة في الضفة الجنوبيّة للبوغاز
نالت الضفة الشماليّة حظها من فضلات الأبجديّة العالمة.
أسرفت الضفّتان في الإنفاق على زينة تاريخهما الأنيق.

(17)

مدينة بابليّة خرجت من عصر "الدياسبورا".
دخلت إليه وهي غبار ذرّيّ في متحف رمليّ.
بكلمة واحدة تقول السيرة ما لا يقوله عصر كلّه.
وبفارس واحد على فرس واحدة تشيّد أنساق دالّة،
على حضارة شروقها وضعيّ وغروبها منطقيّ:
فرس مجنّح لم يمتط صهوته "جوكيّ" محترف،
وفارس ما انتصر ولا انهزم في قادسيّة أو يرموك.

(18)

مدينة قيل : إنّ أعلاها سقف للكوكب الأرضيّ،
وقيل : إنّ أسفلها زرابيّ ووسائد مطوّقة بالصقيع،
وقيل : إنّها صندوق عجائب لصيّانة نواقيس "بوذا" .
هل احترفت نعاجها الهزيلة العصمة إلى حدّ أن
نزلت القيمة الغذائيّة في لبنها إلى درجة الصفر.
إلى حدّ إقالة الزمن من حالتي النقاهة والانتكاس ؟

(19)

مدينة محميّة هوليوديّة للتفريخ الصناعيّ.
"ديكور" ركّبه ثمّ فكّكه المروّض "هيتشكوك" .
غزاة بيض عتادهم "كوجيطو" اصطلاحيّ.
هنود حمر يرون السماء بأحداق أقزامهم.
ليست المخيّلة هي الواسطة بين خرافيّ وطفوليّ.
بل الواو الممتنعة عن تسديد واجب الكراء الشهريّ،
بحجّة أنّ جميع واوات صندوق النقد الدولي خرساء.

(20)

مدينة يحتسي سكّانها القهوة "السادة" في فناجين خزفيّة،
على نخب صحّة المدّ والجزر وكثافة غيوم النارجيلة.
هناك من يتقرّب إلى "إلوهيم" بجرعات من البنّ الآراميّ،
وهنالك من يتأمّل بديع صنعه عبر رغوة الشاي القحطانيّ.
وبين الهنا والهنالك "حاكورة" تنتج البرتقال والزيتون بلغتين.
ورغم ما أشيع في الأسفار عن ترطيب البنّ بالأملاح الصناعيّة،
فإنّ ما وقع لم يكن سوى تلقيح موسميّ للشاي ضد وباء "الهيموفيليا".

اكتشف بناة الأمبراطورية أنّ هذه المدن
تستحق أن يوشّح صدرها
بالأوسمة التالية :
سفر تكوين حداثيّ.
خلايا دمويّة بيضاء.
سباق ضدّ الساعة.
وكالة غوث اللاجئين.
تداو بالأعشاب النادرة.

طرق مرصّفة بالأسفلت .
مدرسة للترجمة الفوريّة .
رأس ملكة نحاسيّ .
شجرة نسب قحطانيّ .
جلاوزة بزيّ موحّد .
لباس المرقّعات بالمقلوب .
حرس مدنيّ أنيق .
نواعير من خشب الأرز .
مجسم رقعة الشطرنج .
مرقّصو "أفاعي الفردوس" .
قوارب مطّاطيّة شبحيّة .
فوانيس فخّارية للمرابطين بهذه الثغور .
هذا هو العالم،
وهذه هي مدائنه .

صنعة الانبهار :

جرت العادة أن يجفّ في فم المنبهر الريق
إذا تنازلت الأرنب عن الصفّ الأوّل للسلحفاة .
وفي ظروف خاصّة،
تتشكّل فيسيولوجيّة الانبهار من
ضغط الخجل على الحواسّ
وانشطار ما هو كائن
بفعل التقزّز من ترميم المباني الأثريّة .
المناعة والتشريح المضادّ .
"الشيزوفرينيا" والتشخيص المخبريّ .
الاستغاثة وطوق النجاة المثقوب .
"المافيوزيّة" والحدّ الأدنى للارتشاء،
الاستشفاء المجّانيّ بنصف رسوم .
الاستقالة الطوعيّة بلباقة الإقالة المقنّعة .
القناعة بالمتيسّر من شراهة الطمع .
كلّ هذا والمباراة تجري في حلبة محايدة .
الزواحف والعظايات والنمال والذباب
لأوّل عهدها بالانبهار من صمت الأرض

استدركت بالزواج الأبيض
ما فاتها بالزواج المختلط.
سخام فحم المداخن
وحرارة بخار المراجل
كأسلاب الحرب سيّئة التوزيع،
إذا ضاقت عنها مساحة الفواتير
اتّسعت لها مسافة الأرقام،
ومع ذلك فاستغفال خبير الحسابات والموثّق العدليّ
غير ممكن إلاّ إذا صحّح الانبهار
أخطاء الطبع
وأخطاء السيولة
وأخطاء التضخّم.
وجادت الصدفة بوقت يكفي
لاقتراف أخطاء تنطّ على الحبل برشاقة.
يتغذى التراب من جثته المتحلّلة ولا يندهش.
يستنشق الهواء نفحاته بحاسّة شمّ معقّمة ولا يندهش.
تخجل النار من رماد في حجم الهباء ولا تندهش.
لكن اندهاش الذاتيّ من الموضوعيّ وارد،

مع أنّه لا عيب فيهما إلاّ إدمان
الإحباط والإشباع
والكبت والتفريغ.
(الإلحاح على المساومة شطارة)

صنعة العمى :

النظر بنصف عين شزراء.
الغمز المجّانيّ بحواجب مزجّجة.
البؤبؤ المتقلّب وسط الجفن.
الاحمرار المسفوح على ميناء العينين.
التناوم التدريجيّ المتباطيء.
التغاضي حياء أو صفاقة.
يعترف "الأعشى" بحدّة النظر
لمن يستعمل العكّاز الأبيض للزينة،
ويتقاعس عن ابتكار شبكيّة صناعيّة لعينيه
منذور إلى عماه المزعج،
من تباطأ في الخروج من رحم أمّه
ولم يبارك لمهده ميلاده الخشبيّ.

منذور إلى عماه المزعج،
من تغاضى عن رضاعة الغيال
وهو في القماط.
يفرض قانون المعرفة الأولى
تقبّل قانون السخرة وظلم الأتراب،
ويفرض قانون المعرفة الثانيّة
الخضوع إلى تقريع المؤلّفة قلوبهم،
ويفرض قانون المعرفة الثالثة
تحمّل إهانة التحنيط المعاصر،
وقلق الماضي المحبط،
وعلاج الطاعون بالحقن بالإبر،
وراديكاليّة جهلة متعلّمين.
ويفرض قانون المعرفة الرابعة
انعكاس النرجسة على صفحة ماء بئر
وتشكيل المرآة من وجه وظهر.
آه منك أيّها الضرير!
ياسليل الشفقة والشماتة والتشفّي!
تداري عماك طبّيا بنظارتين شمسيّتين.

تجهض لغة التشفّي والشماتة والشفقة
بتحويل رصاصة البلاغة إلى نحر اللغة.
هل يعني تساهل علامات المرور مع النظر الكليل
سكوتها المطبق عن زلّة المعلّم "برايل" ؟
(خطأ النحّات كجرح اللسان لا يلتئم)
لو كان العمى حالة لا عاهة،
لأضافت البيولوجيا حاسّة الحدس
إلى باقي الأعضاء المهملة.
"بشّار" أعمى ويحبّ.
المعرّي أعمى ويفكّر.
"ميلتون" أعمى ويستردّ فردوسه.
يا أبا الطيّب ! أيّها الكبريت الأحمر !
متى يستيقظ العمى ؟

صنعة النحاس :

لا يزال النحاس غرّا.
مضت آلاف السنين
على اكتشاف منجمه،
ورنينه المتهدّج
متهدّجا لا يزال.
لم يخطر على بال أحد
أنّه عملة بوجهين،
وأنّه ندم على عقد هدنة
مع عصر جيولوجيّ محتال.
خيميائيّون مبتدئون
وأركيولوجيّون متمرّسون
ساهموا في استنطاق طبقات اليابسة
بقراءة رموزها السرّية
من زاويّة الأخلاط الأربعة :
الفحم الحجريّ قاطرة،
والتبر الخامّ سوار،
والنفط أنبوب للضخّ،

والفولاذ هديّة داوود إلى العالم.
أمّا النحاس فأعدّوه للوظائف الآتيّة :
لأباريق تنتشي بما فيها.
لإيقاعات صنوج "الجاز".
لثريات متمرّدة على مشكاتها.
لمنجنيق سيّء السمعة.
لتمثال نصفيّ بقاعدة.
راهنوا على طول قامة الخامّ
وقزامة جسد المصنّع.
أيّ ضير على المادّة لو قسمت الصلابة
بين آبنوس شجريّ
ونحاس ترابيّ،
وهما أغلى أسلاب الحروب ؟
أي ضير على المادّة لو قسّمت الهشاشة
بين قطع النقد وجبروت دار السكّة
وهما لا يلتقيّان وجها لوجه
إلاّ على شاشات "البنك الدوليّ" ؟

صنعة الطحالب :

كائن طحلبيّ واحد في أربعة :
إقطاعيّ،
طاغوت،
جلاّد،
قهرمان .
ويزعم أنّه يمسك العصا من وسطها .

(1)

نصح الأصوليّة باعتماد الوصوليّة،
و"الليبيراليّة" باستبعاد الحلم الطوباويّ .
(المساومة واردة عند تضارب الأسعار)
واليسار الثوريّ باعتماد ذلاقة الشعارات .
واليسار المحترف باستنساخ مناخ غيبيّ .
(سقوط الجدار وبرودة الطقس حالة)

(2)

ارتدى صدريّة واقيّة من الرصاص
وعدوانا غريزيّا مستعصيّا على العلاج،
وإذ نسي الحيطة من الخوف الخلفيّ،
برّأ الغيب من طعنة الظهر الغادرة.
(يستجلب الجائع النوم بالاستغفار)
نهر يغضبه أو يرضيه السيل،
يصبّ ودائعه بعيدا عن روافده.
نهر سال خطأ على ضفّتين جافّتين
لا يحميانه من انجراف التربة.
نهر يتغذى بأسماكه
وغرينه يمتصّ سيولته.
(مناورة بالذخيرة الحيّة)

(3)

نزل الفرسان من الجبل،
رائحة عرق العرعار طافحة على أسلحتهم.
(فتنة التعبئة العامّة وهدنة نزع السلاح)

قطعوا النهر سباحة وفي النهر جسور.
اقتحموا الفردوس مرّة من النافذة.
وأخرى عبر فاكهة "شجرة المعرفة".
وثالثة عبر منبر الحزب السياسيّ.
علب ليليّة تنام مبكّرة قبل طلوع الفجر.
ريح تسرّبت من مسامّ الجدران المهترئة.
تضاريس القارّات الخمس تختصرها خريطة.
تعب الأرض مَن أقدام المنتعلين حفاءهم،
من نتونة جواربهم الصوفيّة المهترئة.

(4)

المعرفة المغلقة على نفسها كنز.
جدلها السافر الجريء
يكشف ما فيها من متعة خالدة.
يرضي طرفي الحوار بالتأشير
على صحّة نتيجتين متعارضتين.
كاد البحر ـ وقد اتخذ الإنسان سبيله فيه ـ
أن يحترق.

سارع إلى الاحتجاب في شعابه المرجانيّة،
حفاظا على مدّه وجزره،
وخوفا من سلطة القمر والشمس عليهما.
ما سبق لماسورة بندقيّة غاضبة
أن اعتذرت عن سوابقها،
وما سبق لسبّابة أمّيّة أن ضغطت
على غير الزناد.

(5)

لو دقّق البحث في قميص عثمان
لأمكن العثور فيه على دم من فصيلتين.
(يترك القنّاص أثرا من عناده في الطريدة)
لكنّ قميص يوسف لم يكن ليحمل غير
بصمات ذئب "أكل الثوم بفمه".
(المداهنة تبسيط للمعادلات الشائكة)
صعد اللقلاق الطحلبيّ إلى الصومعة
وبنى على الجامور عشّا علمانيّا.
سقط كالنسر العجوز على الأرض،

لأنّه لم يرتّب أفكاره وفق عمر الريش،
وإلاّ لكان طار.
لا يزال باب التأويل جدّ مفتوح
أمام حصاد السنوات الستّين والسبعين :
محاكم تفتيش مترجمة إلى العربيّة.
خدمات مموّن الحفلات.
قوافل الحجّاج إلى مزبلة التاريخ.
تقسيم البلد إلى "كانتونات".
شحن العدد بما فوق طاقته من الصمت الرقميّ.
(ليلا ونهارا يبدع سمّ المعرفة ترياقه)

(6)

نزل الكائن الطحلبيّ
عن صدريّته الواقيّة من الرصاص.
حجّ إلى المحميّات القريبة من العواصم
في رحلة قنص لتعداد فصائل الطيور :
"الحجل طائر يمينيّ متطرّف يحذر هبوب العاصفة،
والحبارى طائر "ليبيراليّ" نهّاز للفرص السانحة،

والسمّانيّ طائر انتهازيّ لا يصلح إلاّ للاستيزار،
والبطّ طائر يساريّ لا يقيمه عن بيضه مزمار القنّاص .
(يباح تجاوز العدد المسموح بقنصه بعد هدنة التفريخ)
دوّنت الطرائد باسمة خطأ،
وتحمّل موسم القنص عن البنادق وزرها .

(7)

الإقطاعيّ أبو الطفل البكر،
والطاغوت عرّابه،
والجلاّد راعيه،
والقهرمان دليله .
نشأ الطفل البكر في المهد .
ترعرع في الأرجوحة .
اكتهل بلسان واحد .
شاخ بعلم لهجات شائكة .
اقتصرت سلطة البتوليّة على حماية
الجسد من سلوكه الغابويّ
بالعكوف على التبتّل،

والإقامة في صرح لا يتّسع لعش بومة
اختلط "أكلة اليرابيع" بالنباتيّين،
تصاهروا.
تناسل كبارهم من صغارهم.
(خلف مسوح الورع عهارة عاريّة)
ماذا يرتجى من كائن طحلبيّ
واری جثمانه غراب
وغرّقته فأرة السدّ
وأدمت عينيه ذبابة ؟

(8)

رنّ جرس الهاتف خمس مرّات،
ولم تستجب لرنّاته أيّة مكالمة.
ولمّا لم يكن الهاتف معنيّا بالحوار
مع أنّه أحد طرفيه،
أطفأ غضبه الطحلبيّ في مرمدة السمّاعة.
نقطة نظام تسمح للبثّ بمقاطعة الالتقاط.
تفّاحة الأسطورة محكومة بنضجها المبكّر،

ولو قبل انتقالها من الصواب إلى الخطإ.
عمل الكائن الطحلبيّ بإشارة كاهنة عرّافة
قدّمت ما حدث وأخّرت ما لم يحدث.
علّمته إدانة "الغشيم"
بجريرة محتال خارج عن الأعراف،
مع احتفاظه بنباهة الفطريّ وصرامته،
ولذا كتب وصاياة بخط "الزناتيّ".
(ليس عند الميّت ما ينتقده على "غسّاله")
مع المشاكسة تتفسّخ أواصر الدلالات،
ومع الحصار تتضخّم قصص البطولات،
ومعهما فقط،
يصبح البحث عن معنى المعنى ضروريّا.

صنعة المواطنة:

طبقة سميكة من الطباشير.
تحت قشرة الأرض القوقازيّة.
تحت الطباشير طبقة من الصلصال.
تحتهما دائرة مبعوجة

فيها رجلان "بافاريّ". و"بروسيّ".
حدث لهما وسط دائرة الخراب
ما حدث لمزكوم
في مشتل نعناع برّيّ.
نصيبهما من الهروب
هو حصّتهما من الخوف المرضيّ،
ولهما مع ذلك قدرة فائقة على تبادل الغزل
السرّيّ وراء جدار إسمنتيّ.
تجرّد الرجلان من مسوح الكلام
ولم ينسبا خطأ الناصح
إلى صواب المحرّض.
كادا أن يكونا على أهبة
لبناء حضارة المواطنة الآتية
بالآجرّ المالح
والرخام المغرور بسليقته،
بالحديد الصلب
المطعّم بالزجاج المقوّى.
لم يدركا من زمنهما وقتا يوصلان به

الأبواب إلى حالتي فتح وإغلاق صريحتين.
التدجين مدروس هنا أيّها الرجلان !
الاستقطاب هنا مقنّن مشروع
والوثوب الطوليّ على الفراغ العموديّ
وتطبيب الزكام اللغويّ بأوراق البابونج.
الواد الذي تصيحان فيه
أثقل ما فيه جفافه،
وأخفّ من جفافه مصبّه العاقر.
لا تتعفّف النوارس عن طمي
الأنهار عند نفوق سمك الأنهار ؟
شجرة المواطن ممكنة
خارج الواقعيّ والوهميّ.
أيّها الرجلان !
المواطن ـ المومس
والمواطنة ـ المبغى :
التقيّة
والخوف
والحرص

والشكّ

والاحتقار.

(العرق دسّاس من وتين فإلى وريد)

أيّها الرجلان!

بتقنيّة الكشف بالصدى

تتكفّل الأرصاد الجوّيّة بتشريح مباذل الفلك.

ضعا أيديكما على الجدار الإسمنتيّ

ونظّفا أصابعكما من رمله وحصاه.

مواطنة وقفت خلف سور،

الشعائر الوثنيّة

لا تولي وجهها شطره،

ولا تتاجر بشظاياه.

أيّها الرجلان!

ستخرانّ ساجدين للرصاصة المقبلة.

صنعة الحالة :

ثمّة في الجمجمة لحية،
وفي العباءة جثّة،
وفي النعلين المطّاطيّن رجلان.
ليس في الهيئة الثلاثيّة ما يميّز
وثنيّة عن وثنيّ
ولا طوطميّة عن طوطميّ.
وبشهادة قانون الثالث المرفوع
فالشمعدان
والإيقونة
والجامور
تقترف المشي العالي.
وغارقة في حبّات سبحة،
تنقض مبدأ سرّية الاقتراع
وانفتاح باب المبادرة
في وجه تثاؤب
يختصر المسافة بين الأرق والحلم.
كثيرا ما يتلاقح الطغاة

بزيّ وطنيّ موحّد
ولغة "شيشرونيّة،"
تبيع المواطن الأسفل للأعلى على الشيّاع،
وتعالج بالأسمدة الكيماويّة
داء التهاب السحايا.
هذا،
وتحت رعاية قانون الثالث المرفوع،
تسند للحالة حالة مدنيّة
تمتّع الأسماء بظروف التخفيف
بعد انتشالها من التراث الملحميّ سالمة
إلاّ من خدش سطحيّ ناتج
عن اصطدام مباشر بالآلهة ظلاّ وصورة.
الويل لمن يجلس كأنّه يتمّدد،
ولمن يتمدّد كأنّه يسترخي
ولمن يسترخي في نعش هو حامله.
تتساءل الحالة الإغريقيّة
عمّا بقي فيها من ملامح "أنتروبوس"
معدّل وراثيّا،

عمّا بقي من قنّاص صوّب البندقية
نحو خفّاش فأصاب الليل.
تتساءل غرناطة وهي رمّانة غامضة
عن رماد النفخة الأولى
وجمر التاريخ المستهلك.
ذلك أنّ الوقت المتناسل
كاملا من البرهة إثر البرهة
ليس فيه إلاّ
رنين الساعات
وثرثرة المزولات
وشقشقة خطوط الاسطرلابات النحاسيّة.
توتّر الحالة مزمن،
ولا شيء أقدر من الضعف
على إثارة ردود الفعل الناضجة
وعلى اختزال الشراهة في قناعة صغيرة.
ما يردّ الحالة
إلى بيت الطاعة غير تقنيّة الاستنساخ
وهي حالة الحالات.

صنعة الأباطرة :

عتيقة وتراثيّة،
تنتج وسائل الإنتاج،
تقوم بأداء شعائرها
المهنيّة الرتيبة الوراثيّة،
ولا تعبر الحدود الدوليّة
إلاّ خاضعة إلى التفتيش الجمركيّ.
يصنع الأباطرة من الموادّ الآتيّة :

الورق المقوّى والخشب الأبيض وقصدير المعلّبات والطاعة اليائسة والعصيان الخجول وقلامات أظفار الملائكة وحبّات سبحات الشياطين وأبازير التاريخ وشظايا كتب مجهولة المؤلّف وأوهام أسفار ستكتب وشذرات من الخيال لدعم الواقع وحيّ صناعيّ وتدخّل خارجيّ في قضايا داخليّة و"ترسانة" برتغاليّة وشركة تأمين.

ويتزاحم على أبوب الأباطرة متنبّؤون وعرّابون وعرّافون ومضاربون وسماسرة (الباعة المتجوّلون منهم أقلّهم شأنا) وقوّادون ومهرّبون وإرهابيّون وعمّال نظافة موسميّون وهواتف محمولة وسجّاد إيرانيّ مغشوش وتنقيب عن النفط وتقسيم علوم الذرّة إلى

جزء لا يتجزّأ. (أبدل الله فقر "أبي حيّان" ثراء وبالصدإ عقّم سيف "الحجّاج")

مهندس مسّاح يرمّم
الساعات المائيّة
والمزولات الشمسيّة،
وخطوط الإسطرلابات النحاسيّة،
(أعطاب الشمس والماء لا تحصى)
"توماثيّ" يحلم خارج سرير الليل،
وبتواطؤ مع الأرق ينام بعيني ذئب.
يحسم أمر النهايات منذ البدايات.
(الصرح يرتدي زيّ طلل حيّ)
"طورانيّ" مستقرّ في هيكل عربة،
ساخ الجراف التربة بعجلاتها،
في وحل فراغ حتميّ
لا مفرّ منه بغير مراوغة
علم طبقات الأرض.
مائدة "الشيزوفرينيا الأورومتوسّطيّة"،
بتوابلها وأملاحها المعدنيّة،

تعتبر الجوع تخمة عكسيّة،
بينما هو قالب ضيّق لذكاء الكائن،
يجترّ الغصة بلباقة خرساء.
جفّ عرق الجوع ولمّا يستخلص
بعد أتعابه عن ساعات بيضاء
قضّاها في تخدير حاسّة الشره
بالاستيهام.
تبرّر حصافة الأباطرة العودة المفاجئة
إلى اللغة لإنتاج موسوعيّين "روبوتيّين"،
إلى مكتب الصرف لتقسيط الأداءات.
إلى تذويب الورم الشحميّ بخشونة الطبع.
إلى الاستيقاظ المبكّر للسباحة في الملكوت.
إلى معرفة النفس على ضوء نظريّة الانعكاس.
إلى تهريب المعرفة القادمة في سلال الخوص.
إلى انتشال وقار الصمت من سوء سمعة الكلام.
إلى سياسة التخسيس بالنوم على سرير "الهاراكيري".
يغيّب الأباطرة حواسّهم عند ممارسة طقوس الاستخارة:
بالأحجار البركانيّة تشيّد القلاع.

على رهافة رقّ الغزال تكتب الرموز.
من المتاحف يستورد القارئون المحترفون.
بكتاب "ابن وحشية" يفكّ غموض "النبطيّات".
(لم يكن السومريّون قد اكتشفوا الحروف بعد)

سفن فضائيّة عابرة للقارّات مجهّزة بلجام وسرج ومهمازين، لاحظ ركّابها من الأعالي أن في الأدغال خلايا، وأنّ في الخلايا نحلا منشغلا عن العسل بتتويج نحلة عاقر. (الشهد آخر هويّة للأزهار) تذوّقوا لذة الهروب من الأعلى نحو الأسفل، متخلّصين من حموضة وجودهم المستنسخ من ماض مندثر وراهن حالّ وآت غيبيّ. قامروا بحياتهم بأمر من الأباطرة. صنعوا من جذور الحرمل شرابا يتناوله على الريق من فاجأه غثيان حتميّ. (شفي به ومات منه خلق كثير) لعلّ سوء تطبيق النظريّة حتّم تكرار نفس التجربة على فئران المختبرات الآتيّة أسماؤهم:

صالح بن عبد القدّوس.
مطيع بن إياس.
أبان اللاحقيّ.
بشار بن برد.
الإفشين.

الرازي.

الحلاّج.

بدا بعد التجربة أنّ هؤلاء الملحميّين يخترقون شغاف "الكوسموس" بمثاليّة من لا تنطلي عليه حيلة دموع ضاحكة يذرفها الأباطرة منتصرين منهزمين. (بطولة الكائن "الإلياذيّ/الأوديسيّ" ورقيّة) ولذا اقتحموا قاعة المناقصة وفي أذهانهم أن بنودها ومحتويات بنودها كما تفتحهما السمسرة العلنيّة تغلقهما المقايضة الصوريّة. ملحميّون مشاغبون قدّم الحلاّق رؤوسهم الشعراء إلى السيّاف حليقة. (كثيرا ما تتعثّر أسنان المشط في الشعر الكثّ)

جهّز الأباطرة جغرافيّتهم العجوز

بالطين والفخّار والقيشاني،

بالقنافذ والفراشات والأيائل والذئاب،

بالحبارى والبطّ والحلازين والسلاحف،

بطيور التمّ واللقالق واليمام والبوم والغربان،

بالخيزران والشوك والسنديان والنخيل،

بالمرافيء والأساطيل والملاّحين.

(دليل عطش الكأس أن تتجرّع ثمالتها)

أحسّ الأباطرة بعدم جدواهم للإنسان
فلم ينسحبوا من وجوده فيهم.
وقفوا خلف صورهم
في مواجهة الصمت الشامل،
سبقهم ظلّهم "الإكليركيّ" إلى حرق المسافة.
تصفّحوا السجلّ العامّ لنفايات أعيد تصنيعها.
وإذ وجدوا فيه ثيّابا تراثيّة مستعملة،
لبسوها قشيبة على أجساد باليّة.
تدمّروا من ميلادهم في عصر عاقر.
عاشوا عالة على زرّ كهرباء.
راهنوا على الحظ في حلبة سباق الخيل.
نظّفوا خزّ أسنانهم بعود الأراك.
شكّكوا في بتوليّة أمّهم الأرض.
عوّدوا جروح اللغة على قبول الصمت.
علّموا الوثن كيف يستيقظ من سباته الحجريّ.
وكيف يتغلّب على عزلته المزمنة بلاهوت شائك.
هم أعلى من التجربة،
(لهم منها حنكة جشع الطبيب)

وهم مساوون للممارسة،
(لهم منها هاجس الانتشاء بالمباغت)
وهم دون الممارسة والتجربة،
(لهم منهما لذّة العضّ على أصابع الندم)
لا معنى لوجود مرتبط بالخوف،
يصغي إلى جرس صوته الأجشّ،
بأذنين بهما وقر.
يسكت لكي يحتال على تبرئة ذكائه
من آفة الانتهازيّة،
ويتكلّم لكي يتنصّل من حرج أوقعه
فيه جنونه الفطريّ.
تصفّحوا السجلّ العامّ لنفايات أعيد تصنيعها.
حاوروه بلسان واحد معقود على لهجات بائدة:
أوّلا،
البدء بترتيب أثاث البيت.
ثانيّا،
كيّ الثيّاب المستعملة بمسحوق النشادر.
ثالثا،

جمع الحطب والقشّ في حقائب جلديّة،
لتقديمها قربانا لمداخن مصانع الذخيرة.
بياض الثلج.
حمرة البارود.
صفرة الجير.
ألوان تنفثها المداخن،
تشير بها إلى عزل سلالة
وتنصيب أخرى على أنقاضها.
(نقمة النار على دلال الماء)
لا حاجة بالعالم إلى حبل يتسلّق به تاريخه الآتي،
هو في حاجة إلى الغضب إن قامر وخسر الرهان.
(ينتشي المقامر المحترف بنتيجة الخسارة)
هو في حاجة إلى تجاوز الخطوط الحمراء بلباقة،
هو في حاجة حتميّة إلى الشروع في العدّ العكسيّ،
من اليوم الأول لميلاده في الزمن،
حتّى اليوم الأخير من مولد الزمن فيه
(رغاء محتمل للحظات الغد الآتيّ)
تختلّ عفويّة هذا النظام السلاليّ

كلّما مرّ سريعا يوم نعيم بطاغوت،
كلّما مرّ بطيئا يوم شقاء بكائن مقهور.
(اليومان معا بنفس الطول والعرض)
العوسج والحسك والقتاد والشوك،
أثاث للتصحّر المرتقب،
ينفض فيه الرمل عن كثبانه غبار
الشلل الصيفيّ الأصفر
منبهرا بإعجاز رائع أساسه هبوب الريح.
أيّها الأباطرة!
هنا ميلاد "الربع الخالي"
هنا جثّة اليوم الأوّل المولود بقيصريّة،
فلا داعي للكشف عن صباح معتقل،
ولا عن مساء مطلق السراح.
الطلق والمخاض كاذبان.
لو فتحت النافذة في يوم صيفيّ متآكل،
لو أمكن إحصاء حبّات القيظ المتأرجحة،
في هذه الحالة،
ستصبح المنشّة/المروحة دواء سريع المفعول،

حين تعقد هدنة قابلة للتمديد مع ذباب الخريف.
في هذه الحالة،
ستنتصب القامة في الزمان
وتحدودب في المكان،
يتحسّس الجسد خجله من حياة
تحت سيطرة الفزع من المحتمل.
الأولى للأباطرة
الرجوع إلى ضراوة الطفولة،
إلى عفويّة ضراوة الطفولة.
عليهم ألاّ يدخلوا على محظيّاتهم
إلاّ ومعهم "باروكة" إضافيّة،
وألاّ يتركوا الباب مواربا
لا يسمح إلاّ بدخول طيف.
حتّى إذا تواروا خلف صوف الوسادة،
لا تنتهي الحكاية بجزّ شعر الرأس.
(في شعر رأس "شمشون" فحولته لا بطولته)
ثمّة في العالم أناس يحصون مكاسبهم
بعدد ما حزّوا من الرؤوس،

وثـمّة في العالم رؤوس تنحني.
يكسب من يكسب
ويخسر من يخسر،
ولا يسدّد الأباطرة دين حقبة عاشوها غصبا.
بينما يتمتّع العالم بحقب سوف يعيشها بعدهم،
له السيادة على دمه يقنّن صبيبه في عروقة
بطريقة يروي بها شرايين أسباطه وأحفاده.

Faut-il faire table rase et recommencer tout à nouveau ?
L'aventure a été déjà usée. Idiot celui qui prend pour
danse le sautillement d'une offrande égorgée.

شهادة موثّقة بالإنجازات الغامضة
(المصادرة على مطلوب)

مأهول بمخلوقات سديميّة كتاب الصنائع. ثلاثة ورّاقين مأخوذون بهيبة الأبجديّة كتبوه. صورة جانبيّة بثّوا فيها سلوكا سجاليّا مستوحى من طغيان السومريّ الأوّل باعث الحروف من مرقدها الغيبيّ. تبادلوا فيما بينهم تهمة اقتباس الخطإ والصواب من مخطوطة بابليّة ضاربة في القدم. لم يكن لشكاياتهم أيّ صدى خارج ذواتهم لأن ألواح الكتاب لم تقترح إلاّ مواضيع (تركيبيّة وبعناوين فرعيّة برّاقة) تقف حيال الأشياء ولا تفتضّ بكاراتها :

الجنّيات ضحايا أو لعبة أو إكسير سحريّ.

الآخر برزخ طينيّ بين الفردوس والجحيم.

المطلق غرامة مفروضة على التصوّر الكليل.

النسبيّ علاقة صوريّة تقيس المسافة بالمساحة.
الماء ظمآن في الآبار الأرتوازيّة ريّان في الرمل.
"**الفوبيا**" إخضاع العاهات النفسيّة لسياسة الأمر الواقع.
"**الإيكولوجيا**" طوفان أبيض بألوان طوباويّة خضراء.
الأبجديّة خدوش دالّة على تحرّش الحرف بنفسه.
الولادات حصاد الأمّهات العازبات.
المفاهيم مفاتيح صدئة ضاعت أقفالها.
العظام مزيج من غبارالكلس والكالسيوم.
التوابل علاج لعسر الهضم وسوء التغذيّة.
اللاجدوى توتّر سابق قادر على خلق المفاجآت.
الدمى عودة متأخرة إلى صبيانيّة لعبة التوازنات.
الصيف ورقات ثلاث من التوت لستر عراء الشواطيء.
المدن في سنّ الطمث المبكّر تتبنّى أرحاما اصطناعيّة.
الانبهار حالة مزاجيّة تعتقل الصورة وتفرج عن ظلّها.
العمى يتّهم عصاه البيضاء بالتواطؤ مع تيه الطريق.
الطحلب غذاء شهيّ سائغ لأسماك الأنهار والبحار.
النحاس ترجمة معدنيّة لخلود الأبطال في الذاكرة.
المواطنة علاقة تجريديّة بين ذكاء كرسيّ وغباء حكم.

الحالة جواب عن سؤال ساكن في "الغيتو" بكراء رمزيّ.
الأباطرة عربات مقلّمة العجلات في حفلات أعياد التتويج.
(هذه هي الصفات الثابتة لآلات التصفيّة والتكرير)

هياكل زجاجيّة تقبل أن ترجم رغم معرفتها أنّ رضوض الضغط الدمويّ العاليّ هي على الجثث الضخمة أبين منها على النحيفة. الهياكل العاجيّة بالحجم الطبيعيّ معفاة من تملّق وسائل الاتصال المرئيّة والسمعيّة، وهي بالحجم المتضخّم منمنمة تستدرّ العطف معروضة في أروقة متاحف الفنّ المعاصر. الحقّ أنّ إفسال أعضاء بديلة عن التالفة يعرّض السومريّ الأوّل باعث الحروف من مرقدها إلى شبهة الانتحال المجهّز بأنبوب "سيروم" وآلة لتصفيّة الدم. والحقّ أيضا أنّ البكاء الضاحك ليس مبرّرا لوجود التماسيح، كما أن بتوليّة العنب والتين ليست بريئة من تهمة تهريب الانتشاء ولو قبل العصر وبعد التجفيف. باطلة هي آيات التنويه بمهنة "حميئيّ "Diététiste" في عالم قاعدة ندرة خبزه اليوميّ لا يطولها قانون الاستثناء الحتميّ. باطلة هي محاولة بعث ورق البرديّ حيّا في زمن محتضر يكتب وصيّته بالحبر السرّيّ على لوحات الإشهار الماردة. لماذا يقع التكتّم على تاريخ انتهاء صلاحيّة لاهوت دعت إليه نقوش على ألواح شجر الأرز؟ لماذا تتّهم (وتدان) "حيبرون" بجريمة

اقترفها في حقّ" بابل" "هيرودوثيّون" مبتدئون؟ لعلّ الزمن هذا أوكل بحراسته محبطين أعينهم على بوّابة حدود إليها يدخل الإرهاب المقنّع ومنها يخرج الأفيون المهرّب. غيّب الغثاء المعرفيّ وعي الزمن هذا (بمشيئة شيوخ موسوعيّين) فتصالح مع كتاب الصنائع وتسامح مع مؤلّفيه الورّاقين الثلاثة الذين ليسوا وحدهم في العالم إلاّ لأنّهم جثث ضالّة تبحث لها عن رموس جديرة بموت ماتتها مطعونة بخنجر من الخلف.

وقلنا
أخيرا
للكتاب
وللورّاقين
مؤلّفيه
الثلاثة
وللسومريّ
الرائد
باعث
الحروف
من

مرقدها :

"أيّ

الأبجدياّت

أحقّ

بالتخفيف

من

آلام

صنعة

المواخير

والبغايا

والكافيار

والإتاوات

والمانويّة

الجديدة ؟

مؤكّد

بوار

حروف

سبقت

عـهد

ترقيش

حجريّ

كتابتـه

المتطوّرة

نـقش

يفصل

العظم

عـن

النخاع

بورق

التلفيف

المزدوج

الصيغة" .

Faut-il faire table rase et recommencer tout à nouveau ? L'aventure a été déjà usée. Idiot celui qui prend pour danse le sautillement d'une offrande égorgée.

تقرير مفصّل عن سيرة المعلّم الأوّل
(النماذج والخيّارات)

(المعلّم الأوّل واحد بالشخص له نسخ طبق الأصل بعدد المهن المنصوص عليها في "كتاب الصنائع". وهذه أسماء الشخوص التي تتناسخ فيه :

"إنكيدو" :

تضرّرت رجلاه من الخفّ والنعل وهو صانعهما،
ليس لأن الخف ميزان للسير المتوجّس،
ولا لأنّ النعل يقتسم المفارقة مع العكّاز.
بل لأنّ افتعال المشي إهانة لشارع مرصّف،
وتشفّ في نبوءات "بشر الحافي" :

مشّائيّ يفكّر بقدميه
وخوفا من المنطق يدمّرهما
حفاظا على سلامة نعليه.

"**أورفيّوس**" :
مموّن لحفلات أعراس "هيللّينيّة"
ويكره الأكل العاريّ مثل "المعرّي".
يحجب بابه بستار لا يخدش مروءة نباتيّ
ولا يفضح طقوس تجشّؤ لاحم بعد الهضم.
ومع هذا الحصار المضروب حول الخوان
لا تختنق شهيّته بشراهتها
ولا يتطفّل جوعه على شبعه.
تلك زلّة يسأل عنها ما تحت الحزام
من جسده الخرافيّ.

"بروميثوس" :

صمّم من أجل"قابيل" نعشا
من الآبنوس
ومن أجل "يسوع" مهدا ضيّقا
من السنديان.
لم يتباطأ منشاره اليدويّ في صنع
حاضنة واحدة لطفولة توأمين سيّاميّين،
أمّا منشاره الآليّ فتساهل في إبداع نعوش
ثلاثة لتوائم ثلاثة لا يشكّلون جيلا واحدا.
عنه أثرت الحكمة/المقولة :
"اجمع خشبك أيها المستعجل !"

"بروتوس" :

هو مخرج الإيقونات
من القدسيّ إلى الدنيويّ.
إذا وصف حمية للغة الضوء الثخينة
فلكي يضيف إلى شفافيّة الزجاج
رهافة البلّور التراثيّ :

يحمي الثريّات ببراويز نحاسيّة.
يخترق رهافة الأشعّة البنفسجيّة
من شرفات ونوافذ بيوت أندلسيّة،
فجرها "التروبادوريّ"
إذا استيقظ
لا يصحو.

"باخوس" :
مقيم في الأدبيّات البابليّة،
بين مغزل وناعورة ونول بمداسين،
يحيك "السلهام" الوبريّ
وفق مقاس الظاهر،
والجلباب الصوفيّ
وفق رحابة الإحساس بالدفء.
كان عليه إذن أن يجد حلاّ لمعضلتين :
عري في السرّ يمارسه جسد على جسد،
ومقايضة القامات الفارهات
بالعملة الشبقيّة العاريّة،

نزولا عند رغبة دور الأزياء.
كأنّ الدفء التذاذ وليس حاجة.

"حنّابعل" :

لاّ يستهين بقشر الرمّان الأصفر،
وليس له مِن هدف غير إعانة جلود الأنعام
على تمديد خلودها الميّت في أرجل الحفاة،
مقابل الاعتراف له بالمشي
هونا
أو اختيّالا،
وبالقدرة على إطالة عمر المادّة الخامّ
في المادّة المصنّعة.
ضروريّ تدخّل اللاشيء
في شيئيّة المعنى.

"**جمّورابي**" :

ليس أمامه إلاّ الخيار بين ثلاثة مشاريع :

أن يقيل دودة القزّ من طوري

اليرقة

والشرنقة،

أن يعقد صلحا غير مشروط

مع خيوط الخيش،

أن يبتكر أزياء سندسيّة

لائقة بسكّان الفردوس،

على أن يرتّق مرقّعات الدراويش

برهبوت قشعريرة

هي في الجسد غيرها في الروح.

"**جوبا**" :

يتقن لغة الأثافي الثلاث

أكانت لولبيّة أم حلزونيّة.

يستورد الغراء من أشجار الأمازون

العذراء

المـاردة.
ولئلاّ يثير حفيظة الحطّاب
وغفلة مصلحة المياه والغابات
يهرّب النهار تحت جنح الليل،
إذ من السهل نزع الملكيّة
من أجل المصلحة العامّة.

"جلجامش" :

فوق سرج أو على بردعة،
إذا أخطأ فليطعّم الصوف بالقشّ.
وإذا أصاب فليرتكب نفس اللغة
التي اقترفها بعده شاعر تعرفه
الخيل والليل والبيداء،
واقترفها قبله فرسان مغوليّون.
لا يقول عن عرش ملك
على سرج فرس،
وعن كوخ درويش
فوق بردعة حمار

غير ما يقوله راكب
في حقّ مركوب.

"دلمون" :

كثيرا ما يلعب دور واسطة العقد
بين شؤون الحديث ولفّ ودوران المغزل،
عند تشكيله للذوات من الطين،
لذا فمحتمل
أن يغرس عينا في صماخ أذن،
أوغدّة صمّاء في عظام ظهر،
ولا يتدارك خطأه
إلاّ بعد جفاف الصلصال
على يد لم تحسن إدارة دفّة
الحديث مع أختها.

"رمسيس" :

هو من علّم مومياواته طمس
الباطن بالظاهر،
فإذا تبرّجن أمام "شامبوليون"
فبطوق حمامة "ابن حزم"،
وإذا احتجبن في وجه لصوص الآثار
فبتهريب الفطريّ إلى متاحف الشمع.
ويحدث بعد ذلك
أن تقيم "نفرتيتي"
في قفص زجاجيّ كثيف
بديل عن "الكرنك"
حيث ترى ولا ترى.
(لكثرة حجر الرجم يندر وجود الأبالسة)

"شمشون" :

يبسّط العبارة الزخرفيّة
بقطع فسيفساء مختلفة الألوان
والأحجام والأشكال.

ومن أجل الحسّ،
يعقّدها بعمليّة تحنيط
وهو يعلّق الأوسمة الزلّيجيّة
على جدران الأبهاء والردهات.
ومع إبداعه هذا،
ذهب ضحيّة عمليّة تجميل.
توشيح مبهم تتماهى فيه
الهويّات بنقائضها.
هو هو
خبز الأمس وطعام اليوم وزاد الغد.

"عوليس" :

يتباهى بإتقان حرفة الحدادة،
علما أنّ المطرقة
والسندان والكير والتنّور
مطروحة كالمعاني في الطريق
أينما ولّت الحضارات وجهها.
الشبابيك والدرابزين تطلّ منها الآلهة،

ولا أحد يفهم ثرثرة الفولاذ البرتغاليّ
إلاّ "ريبيكا" بائعة الأقفال والمفاتيح،
وهي تحتفل بالعيد الألفيّ لميلادها.

"قدموس" :
مشكلته الأبديّة مع الأحذية المتلاشيّة.
يخلق كالإسكافيّ من الشبه أربعين
مومنا بحلول الصحيح في المعتلّ،
ومتأكّدا من إتقانهما عادة المشي في الليل
سرنمة.
أمّا مشكلة العالم معه،
فهي إذ يطالبه بكشف عورة الأرجل العاثرات،
يقنعنه بأنّ ممارسة الطفرة
من جديد نحو اللاغائيّ،
هي من خواصّ رجال ولدوا من
إسكافيّين نقلوا عن إسكافيّين.
أنبيّاء من أنبيّاء.

"قارون" :

هو المحترف القادر،
على ترويض الإعجاز
الكامن في مادّة الجير.
هو القادر على الكشف عن براءة
صوف الغنم
ووبر الجمال
وزغب الماعز
حتى ولو تجرّدت من حيائها الفطريّ.
لو التجأت "دليلة" إلى خبرة الجير،
لأمكنها جزّ شعر "شمشون"
دون مقصّ
ودون حيلة.

"كنعان" :

لا تخطئه الفراسة حين تزوره
زبوناته حوريات الجنان.
فمن أجلهنّ ابتكر مشطا جديرا

بتسريح شعورهنّ الفردوسيّة.
صناعة مشط أخرويّ واحد،
تستلزم إبادة قطيع من الأفيال
للحصول على القدر الكافي
من العاج المناسب لشروط الفاني
في الخالد.

ملحوظة :
تولد فيّلة "البنغال" بدون أنياب حسما للمشكل،
لكن قرون أيائل الجبل يتعذّر تطويعها
لمثل هذه المبادرات اللاهوتيّة.

"ماروت" :
هو السوفسطائيّ المتمرّس،
ناقل النحاس من عذريّته الترابيّة
إلى عنوسته المصنّعة المصفرّة
خجلا من مضاربات "بورصوية"
لا تحتكم إلى المعادلات الخيميائيّة

ولا إلى تكافؤ الفرص عند تصفيّة المجرّد من المطلق.
نقيق مطرقته الفولاذيّة رتيب سائل
على زخارف الأدوات والأواني
وعلى كثافة قطع متداخلة الزوايا.
وعملا بنصيحة العصاميّ الساحر
"الخليل بن أحمد"،
أضاف "ماروت إلى خبرته
سلاليم الإيقاع الموسيقيّ.

"هرمس" :
"معنيّ بتخطيط جغرافيّة الأعماق،
يقشّر طبقات الماء السميكة الجرباء
من نفايات ذرّيّة استوطنتها عفويّا.
يستبدل الجرّاف والمكنسة بشراسة القادوم،
ولا يلتجئ إلى "البولدوزير" إلاّ حيث
تعجز فطريّة عن تنقيح المزاريب والبالوعات
ممّا في "نظريّة النسبيّة" من عدوانيّة.
ورغم أنّ النقاهات الطبيّة كثيرا

ما تتمّ في غرف الإنعاش
فإنّ سماد "البتروكيماويّات" لا يشفي
من جشع يصيب ديدان أعماق الأرض.

"هامان" :

غسّال يعلن عرس الموت
على المغسل الخشبيّ.
وصحّاف يسلّم الميّت إلى المأتم
على الآلة الحدباء.
وحفّار ما ينفرد بالجثّة
حتّى يستيقظ وعي التراب بنسبه
الموزّع بالتقسيط
على كائنات خرافيّة
تبكي على الأطلال
بكاء ندّابات مأجورات.

"**هاروت**" :

يبدع شواشي صوفيّة
تمتصّ نوبات العدوان
المنطبعة في خلايا الرؤوس "المخزنيّة".
ابن شرعيّ للعناصر الأربعة :
ماء ولا ماء في وجهه،
ونار ولا نار في جمرها ورمادها،
وهواء ولا هواء في أنفاسه الفوّاحة،
وتراب ولا يؤول إلى تراب.
ربيب تبنّته الشموع بعد القناديل،
رغم أنّ المشرّع أبطل قانون التبنّي
في عصر شمسه تضيء ظهيرة
ليست في حاجة إلى ضياء.

"**يغوث**" :

سدّاد ثغرات جوّال،
أدانته السلطات العليا
لعدم إخباره إيّاها بثقوب "الأوزون"،

ولعجزه عن ملاحقة النجوم السيّارة
لترصيص خرومها بالمكواة.
كان ردّ فعله أن صرف اهتمامه
إلى القصدير
و"الأليمينيوم"
وشرائح التوتيّاء
فهي أولى من غيرها بتصحيح الأخطاء الإملائيّة،
لذا أوقف علمه على تلحيم أنابيب ضخّ النفط.

"يعوق" :
حواره مع ثرثرة الصمت
أمام مرآة ومقصّ وموسى.
يجلس إليه شعر الرأس واللحية والشنب،
للتجميل بالتخلّص من فائض الإنتاج.
أمّا حواره الأصمّ فيتبادله
مع حرفة "الختان" التوراتيّة
أو مع فصد الدم المختلط بالبلغم
(بمصفاة قصديريّة ومشرط رهيف)

من رقاب النعامات المنزعجة من زوابع الرمال.

ملحوظة :

يبحث عن أسرار الحجامة في "كتاب نهج البلاغة".

ملك "أغمات" :

قد يكون ملك "أغمات" المتقاعد هو من أعطى الأمر
ببناء ضريح ثامن "للفرناتشي" في مدينة الرجال السبعة،
وقد يكون هو من أوكل إلى "الربّاع" حراسة شجرة المعرفة،
وقد يكون هو من أمر "للنفّار" والطبّال و"الغيّاط"
بقضاء شهر عسل في الصومعة.
من أعوان التنفيذ هؤلاء
من يحمل "الطنجيّة"،
ومن يتشمّم التفّاحة،
ومن ينفخ في الصور،
ومن "يقرع الأجراس"،
ومن يكتب تاريخ المملكة.

استدرج المعلّم الأوّل إلى الفخّ نسخه المتعدّدة المطابقة للأصل، ولّما انبثقت من هذه مهارات يدويّة/آليّة موروثة عن تجاربه الأوّليّة، أخطأ عن قصد لكي يكون سيّد الخطائين/التوّابين الذين تؤول إليهم فضيلة التصحيح. احتفل بالمواضعات التي بها قوام الإنسان الصوريّ. غالى في تأثيث الجسد بما يرفعه في الوهم إلى عالم ما فوق الجسديّة. استخفّ ساخرا من عمر يقاس طوله بقصره، مع أنّ الطول والقصر لا يستحقّان أن يشيّد الإنسان له مستقرّا على الأرض من أجلهما :

ربط المعلّم الأوّل قدميه بسلاسة الذهاب والإياب الحافيّين، والمأكول بشهيّة الآكل، وعربة "ديوجين" بالإقامة المؤبّدة فيها، وشظايا البلّور بالإيقونات التجريديّة الباذخة، والمحارب القفقازيّ المقرور بعباءات الصوف، وجلود الأنعام بجلال غموضها حيّة وميّتة، والحرير ببراءته وهو فوق الأجساد النابضة، والكراسيّ بقوائمها الأربعة المتوازنة، و"الجوكيّ" على السرج ب"الفانتازيّ" على سنام ناقة، والسجّيل برهافة أصابع الخزّاف، والجبر والاختيار بطلاء الجبص والجير، والأشكال الهندسيّة الأربعة بتداخلاتها الزخرفيّة، والأحذيّة المتهالكة ببعثها نظريّا في مشي مؤجّل، وشعر

الشيب الأبيض بنكهة الزغب الصناعيّ، ونقرات النحاس الأصفر بندرة البحث عن إيقاع للمطرقة، ومزاريب العمق بأخاديد السطح، والموت المعقّم بروائح الصندل والمسك والكافور، والصحّاف والحفّار والغسّال بمساواته بلغو الراثين والمؤبّنين والمشيّعين، والقدح الخشبيّ بالكأس الزجاجيّ، والرؤوس الضيّقة بمدى ما في قبّعاتها الواسعة من المدارك، وّالبكارات المسترجعة من تلفها بالمراهم اللاسعة، والنار الخاضعة لمشيئة مجوسيّ بالماء النافر من عيني صابئيّ، والأشجار المثمرة بجشع الناطور وطيش فزّاعة الطيور، والوعي المتيقّظ بدقّات أجراس الغيّاب، ودويّ الطبول بأصولها الوثنيّة الإفريقيّة، والحنين المكبوت بالوتر الخاصّ المضاف إلى القلب، والكبريّاء المزعوم بما يبرّر صدقه الكاذب.

تتداول جثثنا الآتية أيدي المعلّم الأوّل المتناسخ في هؤلاء المعلّمين المهرة كما لو أنّنا قوالب لإنتاج الأشباه من النظائر. التنسيق والمعادلة والنمذجة والتحنيط صيّاغة عبثيّة لفطرة صدرت لها طبعة ثانيّة مزوّدة بأعضاء وظيفيّة لم تكن لها إبّان خلقها السابق. (كيف يتمّ التواصل بين طرفي المفارقة ؟) أمام هذا الالتباس لا بدّ لنا من إثارة انتباه المصرف المركزيّ الوطنيّ وصنوه البنك الدوليّ إلى أن العملة

الموحّدة إن سنحت لها فرصة الرواج في عصور الانقلابات فلن يتاح لها التداول في حقب حربائيّة يعيشها العالم الراهن في كنف أنبياء مزيّفين.

Faut-il faire table rase et recommencer tout à nouveau ? L'aventure a été déjà usée. Idiot celui qui prend pour danse le sautillement d'une offrande égorgée.

القصر الصغير. فاس، من 2004.12.7 إلى 2005.9.30

وصـايـا "ماموث" لم ينقرض

(1)

مدينة الزجاج بين يديّ،
افتح منها نافذة وأطلّ
على ما وراءها وأمامي.
ما بعد الفرصة السانحة لعينيّ
إلاّ تعقّب المرئيّات
من الزوايا الستّ.
حيازة الممكن أسهل من إتلافه.

(2)

ليّ اسم قريب من وساوسي،

أمّا مسمّاه فبعيد من اضطرابها :

حرف وسط دوّامة سطور،

وحرف يكتمل نموّه بنقطة.

ليس بينهما غير طين منخور :

الصلصال بداية المشروع،

والسجّيل نهاية الخرافة.

(3)

بديهيّ أنّني إن لم أكن ماكرا،

فأنا لست بمعزل عن عدواه :

آوي إلى البيت في المساء.

رقص مجّانيّ عالق بريشي.

كذب رصاصيّ أستدفئ به.

الصقيع الفاصل بين المجاملة والريّاء،

مرادف لنوم دون حلم وأرق وليل.

هو الرتابة الباقية في مخزون مسلّماتي.

(4)

لا معنى لأن أكون صبيّا ناضجا،
قريبا من الغفلة بعيدا من الحذر.
لعبي جدّ متوازن،
هو فوق السنّ
وتحت الغريزة العاديّة.
أحجز للبراءة مكانا بين أظفار الشمّاعة.
حينا بكامل ملابسي وأحيانا بعرائيّ المحتشم.
وما انهمكت في البحث عن قاعدة للّعبة،
إلاّ وسرّني أنّ المسافة المقابلة
لم تلتزم بقانون المقايضة.

(5)

وفي وقت لا علاقة له بزمني
دبّرت مكائد لأعدائي.
ولمّا وجدتني كائنا بهم وفيهم
أرمّم انهياراتهم
وأدمّر حصانتي،

هاجمني سعار بين
متعقّل وطائش.
كانت الخسائر مشتركة،
أمّا الأرباح فاشتراء
الفضائح بسعر السكوت عنها.

(6)

قلت :
لأكتب عن "ابن عربي" نصّا جميلا !
قالت لي اللغة كلاما محضا لا يحصى،
وقال لها الكلام صدى محتدما.
كان على الحرف أن يلتهب.
تماهى في حالاته وتنكّر لي.
وما انتهيت من فحص وجه الحلم
حتّى انتفضت المخدّة وزلزل السرير.
ليس هناك ما هو أصدق من ليل
يتمسّك بأرقه السرمديّ :
غيبوبات متواترة مع جنون قليل.

(7)

أخبرته بأنّني اتّصلت بحمامته،
وبأنّها تفضّل الالتباسَ الواضح :
تغنّي إذ تبكي،
وتبكي إذ تغنّي
فوق "غصنها الميّاد"
أو في القفص أو على سنام صومعة.
أخبرني بانّ حمامته
في كّل الحالات على وجه الأرض.
المشكلة مشكلة من لا يزال يبث
رسائله النباتيّة "المشفّرة"
وهو تحت التراب.

(8)

تسلّلت الظلمة إلى الخارج
دون إذن أو ترخيص
من المصباح
والمشكاة.

غافلتني وقرأت ما في أوراقي.
ومنذ أن رحلت استغنيت عنها
بمولّد كهربائيّ مزاجيّ،
إن عنّ له أن يشكّ أيقن،
وإن بدا له أن يحيل المتاه
إلى خيط أبيض
فعل ذلك مسرورا
وبغاية السرعة.
لم تجد الظلمة في أوراقي شيئا مهمّا.
أحتفظ بالأهمّ منسيّا.

(9)

العبرة بي أنا
ماشيّا أو واقفا،
جالسا على أريكة
أو متمدّدا على بساط.
ليست العبرة بلون يسكنني
ولا بطين أعلكه بأظفار

خزّاف محترف كامن في باطني.
مسرّتي تعادل محنة من يراني محوا.
خرجت من فرن الخزّاف طازجا كما أنا.
كلّ عضو يتمتّع بكامل انتسابه إلى ضعفي.
أنا من صنع كيانه من مودّة نادرة،
فلماذا لا يراني على حقيقتي
إنسان غيري ؟

(10)

لبنة لبنة.
طوبة طوبة.
حجرة حجرة.
شيّدت أسطورتي.
وطيلة نصف قرن ما قوّضتها
إلاّ لأنّي لم أسكنها
لا بريئا ولا متّهما.
استوطنت كوّة في هامشها
لقاء كراء رمزيّ شهريّ،

تؤدّيه أنا سلبيّة إلى أنا إيجابيّة .
ما حدث أن طالبتني واحدة منهما
بتسديد
المتأخّرات مع الفوائد .

(11)

بدا لي أنّني قريب من حقيقتي :
عشت أطوار حياتي
لكلّ طور ما يناسبه من
النزوات أو الرصانات.
والحصيلة :
دفتر حالة مدنيّة
تبنى عليه بطاقة تعريف
يبنى عليها منصب ماليّ في إدارة التشغيل
تبنى عليه رسالة بإيداع في تقاعد مبكّر.
يبنى عليها كفن مكتوب بحروف هيروغليفيّة .

(12)

إلى متى أسكت على ضيم
يريده بي كتبة رحّل.
يضعون العصا بين رجليّ ونعليّ،
بيني وبين الطريق.
محراث تجرّه بقرة.
حصّادة آليّة الحركة.
إن فهما لغة القشّ
تجاهلا هذيان الحقل.
من أجل الكتبة هؤلاء
فكّرت في تمديد إقامتي بينهم
لأطيل سنوات الضوء في داخلي،
وأضيف إلى كهولتهم الأبيدة
عجزا كاملا.
أنوي فعلا أن أربكهم حين أطلب
من الجهات المختصّة إحصائي فيهم
ولو بالعدّ التنازليّ.
مخطيء من يظنّ أنّ جمهوريّة الموز

من وراء سقوط الماشين على الجمر.

(13)

حلمت أنّني بعثت مكوّما في علبة سردين.
(هي البحر ماؤه زيتيّ وضفافه زعفران)
القصدير من جهة،
والطين الدبق من جهة أخرى.
كان مسرح الحلم في أعالي البحار
المجاورة لأسافلها.
في العلبة مخاليق نقّحتها الشهامة،
ومخلوقات خامّتها نيّئة لا تزال.
حثّتني الغريزة في النهاية على
الاستفادة من موسم تخفيض الأسعار.
خرجت من الصفقة برضوض طفيفة،
لا ليّ ولا عليّ.

(14)

داعبت قطّة سيّاميّة جميلة.
لم تفهم قصدي.
خمشت طفولتي خمشة غائرة.
تحايلت عليها بالربت على فروتها
لانت ولاذت بأحضاني.
ضغطت على عنقها حتى استشهدت.
أحرقتها في مجمر طينيّ.
وحين بلغت سنّ الرشد
تصفّحت أوراقي معها
فتأكّدت أنّ "النيرونيّة" لا عمر لها.

(15)

فاجأته وهو يزجّ بقماءته
وسط قامات فارهة.
رفضت صفرا منه ابتدأت.
وقف هو عند دائرته منبهرا.
حذّرته من اللعب

بالقاموس

وباللغة

وبالكتابة.

ذكّرته بأنّ للطفولة ريشا تحت إبطيها

رغم امتلائهما بزغب الحدس.

(موازاة بمقاس واحد بين مفارقتين)

أشعار عاقلة في سنّ الصبا.

"باروديا" مراهقة في أرذل العمر.

(هجاء السعير محنة ومدح الفردوس تزلّف)

في قعر "الخابيّة" "بردعيّ" أو "سرّاج".

وجدا لخدمة المشي:

المشي العسكريّ.

المشي "الفانتازيّ".

المشي المنتعل.

المشي الحافي.

المشي المباشر والمشي بالواسطة.

من من هذين مؤهّل لحوار اليابسة بخطاه؟

(التميمة في العنق وحبّات الخرز على الصدر)

القاموس لعبة الترجمان،
واقتناص الكلمات المترادفات
نهاية الأشواط الإضافيّة في اللعبة.
من لي بكاتب ياسين ؟
من لي بمحمّد خير الدين ؟
من لي بمن كتب اللغة ولم يتملّقها ؟
من لي بمن أقام على هامشها وهو في مركزها ؟
من لي بمنطق كاتب باللغات دفعة واحدة ؟
توابل الاستعارة إمّا راحة محارب مأجور،
وإمّا جوائز ملغّمة.

(16)

أيّها العمر الجميل الأجمل !
أقبلك وبإجلال طفلا سرمديّا مبدعا.
أرفضك شيخا يستمرئ الرضاعة
ويكره الفطام.
حدّ الولاء للسنّ المتقدّم ليس قانونا سماويّا،
فقد وقع لي أن مررت

على غدير لسكونه صدى،
وعبرت لجّة نهر فسيح
لم يسائلني عن غايتي
من تأجيج غضبي على صمته.
القداسة الداكنة،
هي الوهم الذي تعلّق به
الوثنيّ والطوطميّ،
البوذيّ والسيخيّ،
المشرك والموحّد.
لم يمتهنها أحد من هؤلاء ثملا بخمرها
أو صاحيا منه.
مكانتي هنا بينكم.
لا يمكن إلاّ أن تكون بينكم.
احجزوا لي مقعدا بجانبكم !
يسمح لي جهرا وسرّا
برؤية نفسي فيكم.

(17)

الآن وقد اقتحمت سنّ الرشد
من باب الشيخوخة،
أراني أحق من غيري
بتشريح ماهيّة الحبّ،
فقد تغافلت عن الالتذاذ بطعمه
وأنا يافع مغلق المسامّ :
حبّ جسد لجسد مغاير لا يقال
بل يكتب في حيّز ضيّق محتجب عن الأنظار.
حبّ جسد لروح يعاش من خلال لغة وسط
بين الالتباس والإيضاح والصحو والسكر.
حبّ روح لجسد يعاش في لغة ما وراء الحلم،
ممتعضا من تنقيح الأعلى من شوائب الأسفل.
حبّ روح لروح يعاش خارج لعبة اللغة
بتقنيّة عاليّة من التخييل الرقميّ.

(18)

يسير الماء منبطحا كلّما اتّسع محيط

النهر

والبحر

و"الضايات".

يسيل حيث يختنق بضيق

المزاريب

والأنابيب

وقوارير تقطير المسك من العنبر،

وأنا إن اتّسع محيطي انبهرت

وضاقت عن احتوائي عباراتي،

وإن تقلّص فضائي تسرّبت إلى عمقي

وأحصيت هفواتي

ولم استسلم للنقيضين الماء والنار.

لم أحترق ولم أغرق،

مع أن الغرق بدعة طوفانيّة

والإحراق والاحتراق طقس رومانيّ.

(19)

وقفت كثيرا عند مقولة "فيكتور هيجو" :

"خلق الله العالم شعرا" .

توقّعت ردّ الاعتبار إلى غاوين يتبعهم غاوون .

لم أتجرّأ على تأويل البديهيّ .

من سكن اللغة المطلّة على أسمائه ،

لا بدّ من ابتدائه بالسريانيّة

وانتهائه بلغة اللغة

ومن سكنته اللغة

ينفق من صمته على صوته .

حملت عصاي والتففت حول شياهي الضالّة .

كان من الضروريّ تقليص المسافة

بين الساكن والمسكون .

بين الجميل والأجمل .

(20)

كتبت مباشرة بهذه المجموعة من الموادّ :

الصمغ

والجليد

والقصب

والشمع

والفولاذ

والأفكار.

حاولت تلقين اليتيم كبرياء البكاء الخافت.

كانت النتيجة

أن الصمغ تمنّع على أوراق البرديّ،

وأنّ الجليد تزلّجت فوقه مواخير العالم،

وأنّ القصب طالب بحصّته من تراث الغابة،

وأنّ الشمع قمع أشعّته جبرا لخاطر عود كبريت،

وأنّ الفولاذ اتّهم مرونته بالتواطؤ مع العصر الزجاجيّ،

وأنّ الأفكار الأبكار لم تنتشل بعد من مخطوطاتها الثيّبات.

خطوت خطوتين جريئتين:

محوت ما كتبت بهذه الموادّ،

منتظرا وفاء الحبر السرّيّ بوعوده،

ثمّ أقصيت الندم الجبريّ على ما فعلت.

الفرص عديدة والقابل منها للانتهاز لا يضيع
إلاّ مرّة واحدة على رأس كلّ ثلاثة أجيال.

(21)

البارحة فقط،
كسر الرعد والبرق والريح والمطر الطوفانيّ
كبرياء أسلاك الكهرباء المتلاحمة.
عمّت الظلمة.
تسايلت الوكالة المستقلّة لتوزيع الكهرباء
على الأعمدة الإسمنتيّة والمصابيح النيّونيّة.
أعلنت عن إصابة النور بطمث سابق لأوانه.
وإذ جلست إلى الفقرة الأخيرة في كتاب إشعاعيّ،
بدت لي في الظلام نماذج مشبوهة من
النهارات
والظهيرات
والأصائل
والعشايا.
لم يندّ عن بصري المكفوف حتّى الديناصور

المتّشح بوقاحته،
الحامل على ظهره حلم العودة
إلى كينونته السينيمائيّة.
وفكّرت :
"لعلّ سبب انقراض الدناصير
راجع إلى تماسّ كهربائيّ فجّر متاحف الشمع".

(22)

أعرف كيف أجوّف النقطة حدّ تقعيرها.
أعرف كيف أسوّي وضعية الخطّ
المبعوج أو اللولبيّ أو المتجعّد
أو الواصل بين جسرين.
أعرف كيف أميّز بين لون مخصيّ
ولون يخفي فحولته خلف دماثته
أو خلف سلاطته.
أعرف جميع متعلّقات الأعداد،
بالخطّ الزناتيّ أو بحساب الرمل.
أعرف تدعيم القماش بنسيجه،

والإطار بزواياه،
واللوحة بهديلها.
(لا أحتاج لمن يقرأ عنّي اللوحة)
فلماذا لا أرسم؟
تنبّهت إلى أنّ حياة المادّة سرّيّة.
نبضها فيها.
وعليّ نقل حيّادي وهذياني إليها حيّين.
بدأت أرسم بريشة الذين أحبّهم:
دوائر وأحياز،
نتوءات ومغاور،
حفر وقمم.
ولمّا حلّت لحظة التلقيح بالحركة وبالتواصل الممكن،
بدا لي أنّني أحترف الرسم بالصيغة الألفبائيّة،
(صيغة حرّضت نفسي بكبير إلحاح على نسيانها)
وبدا لي أنّ من يحاول إبادة المطلق من فضاء اللوحة
كمن يرغم السلحفاة على نسيان ازدواجيّتها
على نسيان عهارتها البرّمائيّة.
عدت إلى صوابي.

اكتشفت أن الظاهر يحجب باطنه شماتة به.
عدت إلى صوابي.
لم أرسم قبّرة شتائيّة ولا عروسة بحر
ولا طفولة بشفافيّة ملاك.
وقفت عند الشيء.
أغدقت عليه وابلا من وساوسي.
أعددت للماء مكانا لائقا بين اللون وظلّه.
ومن ثمّ كان لا بدّ من البحث عن توأمة
اليد والعين والفرشاة ودفء الحركة والإيقاع.
كمال المخلوق حيث تتوهّج
في خلاياه أعضاء متنافرة المعدن،
متجانسة الدلالة.
هكذا تابعت الرسم خارج العلامات.

(23)

أنا أكتب،
أنا مستحضر أرواح.
أنا مستحضر أرواح،

أنا ساحر.

أنا ساحر،

أنا زبون أبالسة وشياطين وكهنة.

إن واجهت الأبالسة وأيديهم في جيبي

عاقبتهم بظروف التخفيف للشك العينيّ،

وإن واجهني الشياطين بيديّ في كهنوتهم

عاقبت نفسي بمقتضى ما يشير إليه العرف

وتعلّلت بجهلي قانون العقوبات الدوليّ.

بالسحر أفسّر رتابة الذهاب والإيّاب :

المحظورات والمباحات.

الغلاف الرماديّ تحتمي به عظامي.

الصوت تجترّه حنجرتي قبل الجهر به.

الشموع الخائفة من حنق الريح والنار والغبار.

الساعة تشير عقرباها إلى إنذار لا يسبقه إشعار

التقاويم الهجرية والميلاديّة وأخطاؤهما اللاهوتيّة،

العصر النيّولتيكيّ والجيولوجيّ والوسيط والنوويّ.

لا بدّ لكلّ عبور من طوفان خرافيّ تحت قيّادة نوحيّة.

(24)

أنا أغنّي،
أنا هدهد تأخّر به زمنه السبإيّ
إلى وقت تنازلت فيه الأوتار
عن حقّها في إثارة الشجن
وأسندته إلى الآلات النحاسيّة.
الموشّحة الأخيرة وعودة الضالّ إلى الفطريّة.
"السامفونية" المتعالمة وترميم الوجدان الجمعيّ.
"الغناء العميق" وتعدين أوتار القيثارة الغجريّة.
"الجاز باند" والخطاب الزنجيّ "النوستالجيّ".
غنائي فوق رتبة الصناعة وتحت درك التقليد.
حينا داخل السياق العام وآخر خارج النوتة.
حينا لإثارة الشجى وآخر لتدفئة الصوت.
أنا أغني من أجل التقاط الصدى الخامّ
لمحكيّ يوميّ أرقّ من ترداد رتيب.
لترسيخ قناعتي ببركة "العشاء الأخير".
(طعام واحد يسدّ رمق ثلاثة)

(25)

لست سجين أرومة واحدة.
أنا ابن كلّ الأرومات.
طويل عمر من يمتدّ من "هابيل"
إلى أحدث مذابح القرن العشرين،
وقصير عمر من ميلاده وموته
في حقبة أفقيّة أو عموديّة.
وريد،
وودج،
وعروق،
وشرايين لضخ الدم.
دمي منه الوحدة وفيه الاختلاف.
دمي مشكّل من أبعاد الزمن الثلاثة
يسيل ولا يتوقّف إلاّ لتحيّة جسر عائم.

(26)

من ظنّ أن سقوط تمثال برونزيّ سهل،
فليتناسخ في طاغوت أطاحت به ثورة عادلة ؟

لا أحد يدرى كيف تحتفظ الصلابة بكيميائها،
ولا الهشاشة بمرونة و"كاريزميّة" نسيجها.
الأصل المتلاشي يمتّع فروعه بالاستجمام
في الشمس والفراغ واشتعال التثاؤب.
(البقاء للأصلح مضمون بكفالة)
لهذا ولغيره جبت جميع ساحات المدينة
حيث ازدحمت النصب التذكاريّة والمسلاّت.
تحسّست صَلابتها ومدى مقاومتها للرطوبة،
وأخذت عهدا على جميع المتناسخين فيها
ألاّ يبيحوا لقانون الحتميّة
أخذ الصورة
بجريرة الظلّ؟"

(27)

عاتبت "أوجين يونيسكو" على
تزكيّتة خطأ بيولوجيّا قاتلا
خصّ الخرتيت بقرن واحد.
أشار إليّ من شبّاك تذاكر المسرح العلبة

أن أدخل من باب الخدم إلى الركح،
وأمام الممثّل/الخرتيت قال لي :
"إن استطعت أن تزوّده بقرن ثان فافعل !" .
خلخلت عظام الرواية بيديّ وبأسناني.
ذكّرتها بقانون التوأمة الأبديّ.
أطلّت عليّ صامتة من أعلى كبريائها.
لم تأبه بي.
اهتمّت بتطويع الحركة والإيقاع
لأداء مسرحيّ بقرن واحد مكان قرنين.
من رضي أن يبعث في ديناصور أو في كركدن،
عليه أن يعيد الكرامة إلى العصور الجيولوجيّة
بتحديد ما في هياكلها العظمية من آثار كلسيّة.
خرتيت من معجزاته أنه احتفظ ببكارته
خاليّة من الزغب والريش والوبر والصوف
بحيث أغلق باب الاجتهاد في وجه مخرج حاول
ابتكار باروكة من خيوطها لبطلته المغنّيّة الصلعاء.
(لا يترك النطاح المهنيّ بصماته على هامة ضحاياه)

(28)

احتراما لنفسي،

وقفت في ساحة كتاب مرتعش

تحيّة لي على حسن استقبالي لفراغه.

أجّلت التفكير في الانتقال من النقطة

إلى الفاصلة فلا طاقة لي بهما.

ألغيت الشروع في ممارسة غطرسة

تعوّدت أن أدفع بها عنّي وقاحة التعب.

قرأت ما قرأت ونسيت ما قرأت.

استرحت من تعب الملاسنة الدائرة

بيني وبين الاستهلال وبلاغة الفهرس.

هدّدت فضولي بخذلانه إن هو خذلني.

(أنا الندم الواسطة بين الحسرة والأسف)

(29)

أتنسّم رائحة

التراب

والرمل

والحصى

والوحل الرطب

فوّاحة ولو في بيئة منتحلة :

عطر شرس في الفن.

رائحة عطنة في الفكر.

مرورة ملحيّة في المعرفة.

ولولا أحراج "تكساس" الطبيعيّة،

لما تناسخت في واحات "ورزازات"

ولما سهلت عليّ سياقة رعاة البقر الجدد

من آذانهم إلى مسلخ هوليوديّ جدّ صوريّ.

(30)

عطش حديقة بيتي عرفانيّ

ولو قبل انبجاس الماء من آبارها.

لاحقت الإقالة كلّ شجرة تجترّ ظمأها

مكتفيّة بامتصاص رطوبة وحيّاد التراب.

بعد هذة الإقالة الطوعيّة التي لا يد لي فيها

تمتّعت بابتكار فاكهة بكر لم تتورّط في خطيئة.

(31)

صورتي الحيّة مواجهة لأصلها الميّت

في الصبا .

في اليفاعة .

في الشيخوخة .

الصدر جاهز لاقتبال التدرّن الرئويّ .

برهة آبقة صمّاء

في مقابل سنة ضوئيّة ناطقة .

اللجّة والضفاف ،

عند أيّهما ينتهي مدى

الماء الجاري تحت الجسر ؟

ما دور قلم التصحيح في حالة ما إذا

احتاجت نظريّة الانعكاس إلى معيار ؟

(23)

السادة "الفرويديّون"

يكنزون الذهب والفضّة

في المعارف وفي المقولات

ينبشون قبور العانات الميّتات.
يفضحون سعارها "الإيروتيكيّ".
حسنا فعلوا حين تغاضوا عن سقطاتي
رغم سماحي لمشارطهم اللّيبيديّة بتشريحها.

(33)

الطريق الشائك.
الطريق المبلّط.
الطريق المفضي إلى نفسه.
خبرت فجاجه وأحجاره المسنونة
تحت الصقيع والمطر والغبار والطمي
وآثار الأقدام العاديّة وسنابك الخيول
وأخفاف الجمال وزوابع الخريف
وعواء ذئاب القطب الجنوبيّ
والراكضين خلف حتوفهم.
لم أسائله عمّا فعل بالمتى والأين.
اكتفيت بتقديم آيات العزاء إليه.
مع حضوري مأتمه بالأبيض والأسود.

(34)

خفّتي وثقلي اعتباريّان.
هما من صنع كبريائي.
بعد مداعبة مزاجيّة،
أغوص
وأطفو
وأطير.
زلاّجة أذرع بها الفضاء الثلجيّ.
جناحا ملك أحلّق بهما في الأعالي.
زعانف فقمة أسبر بها جزر المرجان.
جدّ مؤلم أن أنفعل بأعضاء كائن غيري.

(35)

منذ وقت ليس باليسير وأنا أعمل على ترميم دلالاتي.
المسافة الفاصلة بيني وبينها فيها الفراغ والملاء،
الطول والعرض، المدى المهموس والصاخب،
الحواجز والفوارق، النقط والخطوط،
الدوائر والمستطيلات، الغاية والوسيلة،

التيه التلقائيّ والمتصنّع،
النبر المكتوم والمتفجّر.
أتقنت تصويب العدسة نحو الأفق،
وتركيز البؤبؤ على ما هو تحت النظر،
وفيما بعد علمت أنّ القاموس زجّ بي
في بيت الطاعة وأعفاني من دلالاته الجاهزة.

(36)

قدّر لي أن أحضر مآدب حروب ثلاثة :
حرب النجوم الفضائيّة.
حرب الإبادات العرقيّة.
حرب عصابات عرّابوها لاتينيّون.
دارت رحى هذه الحروب بين صقليّة شمالا بأمر من "أوديب" الملك،
وبابل جنوبا بقيادة متمرّد غضب عليه تمّوز إله الخصب في نينوى،
وجزيرة واق الواق غربا بزعامة سندباديّ يموت كلّ يوم ولا يفنى.

الرؤوس النوويّة والألغام العنقوديّة والأسلحة الجرثوميّة والديناميت.
هذا عدا كتابة الشعر محترقا
بالتراب والرمل والحصى.

(37)

ألحت "فيرجينيا وولف" الأخرى على
أن تقيم فى واحد من هذه القصور :
الخورنق،
"طوب قابي،
جنان العريف،
"الستّينيّة"،
(لا خوف عليها من القصور الحريميّة المخصيّة)
إرضاء لجبروتي حجزت لها خدرا في اللاّمكان
فليس أحنى منه على كبرياء الوحشة والأنس.

(38)

أتّكيء على جذع ابتسامة وضيئة،
كما لو أنّني أتهيّأ للتنقيب عن إبرة
في متاه رمال.
يستفزّني التعب ولا أستسلم له.
أصرّ على تتويج يوم قرّرت فيه
أن أسلم زمام أمري إلى الكتابة
يمينا إلى يسار
ويسارا إلى يمين.
(أكل الزبيب منشّط للذاكرة)
بهذا التصرّف استرجعت المسلّمات المنسيّة :
"ماغي" مولودة في شهر رجب من عام الفيل.
"عيناق" سرّح من الجيش لرفضه العمل لقاء خمس الأنفال.
"أبو الطيّب المتنبّي" أحبّ في السرّ "خولة" أخت "سيف الدولة.
صعب على "الأمنيزيا" محو جميع هذه الإشراقات من بواطني.

(39)

أنا الكائن الليليّ،
أحترم الأرق كما أحترم الحلم،
لأنّ الظلام ليس معادلا إيجابيّا للنور،
هو خطأ استعمال الرؤية ظلالا للرؤيا.
هو فراغ إذا استغرق كينونات كاملة
ففي فقرة واحدة من حكاية ناقصة.
ولذا،
فليس من حقّي أن أتملّق أوّله
وأتبرّأ من إطرائي آخره.
مصباح خافت الضيّاء يهزمني.

(40)

تحت سمعي وبصري أقحم هذا الرجل
في أدبيّات هذا القرن والذي يليه.
مارس الحكم بحسّ جاموسة
وغباء فيل
ومكر ثعلب.

أبازير الهكسوس على أفاويه البطالسة.
من كرسيّ صوفه وبريّة
إلى كرسيّ كهربائيّ.
أوراق اللعب على مائدة مقامر.
موقع مبهم بين الربح والخسارة.
أرقام مصابة بالطاعون.
بينه وبين الفردوس خطأ عريان.
من ابتلي بالشراهة فليجرّب القناعة.

(41)

منعني مانع شخصيّ من حضور وليمة الأسماء.
اعتذرت لكافّة اللغات ببرقيّة أعلنت فيها :
خطأ إطلاق اسم "الهولوكوست" على الهنود الحمر،
وصواب دلالة اسم مولود "بوليفيّ" على أجمل المسمّيات.
ونوّهت باختصاصات الأمراء السبعة في امبراطوريّة المماليك :
الأوّل لا يملك غير القدرة على العقوق، والثاني هو الجزء الضائع من الحقيقة، والثالث فيه زينة الغنى بالفقر الفجائيّ، والرابع فيه قوّة الاصطدام وبؤس الصمود، والخامس فيه عبقريّة العاجز عن الأخذ

بالظنّ، والسادس يجادل في اعتباطيّة توزيع الأرزاق، والسابع يطلب من سائله المعوز التنازل عن كمال فقره.

أمعنت النظر فيما هو حولي.
وجدت أنّ الرقّيّة مصدر حلاوة
مازوكيّة لمالك ومملوك كهنوتيّين.
ترافعت ضدّا على السجلاّت الرسميّة
في الإدارات وفي المحاكم.
في كنانيش الحالة المدنيّة.
أوقفت الباقي من عمري
على عمليّة تصحيح الأخطاء مجّانا.

(42)

عزف منفرد على كمان
يثير شفقتي على ذهول العازف.
(لغة مزدوجة وحّدها الوتر والقوس)
"دويّتو" غنائيّ يحيلني على صراع ديكين
للظفر بحبّة حنطة ضالّة.
لا يغريني بالالتفاف حول شجني

أحد غيرك يا" رامسكي كورساكوف" !
أنت وحدك من رفع اللبس عن قرابة
غامضة بين أوّل الغاية وآخرها.
معك وحدك،
تأكّدت من أنّ أعلى درجات العجز إعجاز.

(43)

لم أستوعب بعد كلّ الازدواجيّات اللامتكافئة،
فلو استعار القمر سعرات حراريّة من الشمس
لنقلت الغنوصيّة ثنائيّاتها من التضادّ إلى الوفاق،
ولأمكن تحويل الليل إلى ظهيرة سوداء.
العموديّ عروج صاروخيّ،
والأفقيّ انزياح طوفانيّ،
وممّا يؤكّد أن الليل ضروريّ لإخفاء عاهات النهار
أن حاجة القمر إلى الشمس حاجة رضيع إلى فطام،
وأنّ السديم الذي بين بين منتجع
يستريح فيه الفلك يوم السبت
من تعب تبادل السلطات.

(44)

فكّرت أن أكتب تاريخي
من آخر عثرة إلى أوّل انتفاضة،
من التغزّل المتحرّش بمسقط الرأس
إلى التضايق من زيّارتي لأضرحته.
كلّ تدرّج سباحة ضدّ التيّار،
وكلّ سباحة ضدّ التيّار عدّ عكسيّ.
ولكي أنتقل من راهن تامّ الخلقة
إلى ماض لم يتخلّص بعد من الأقماط،
كان لا بدّ من الصعود إلى الأسفل والهبوط إلى الأعلى.
إلغاء السفح والقمّة لا يحول دون وجود الجبل،
التتابع الزمنيّ والاختلال المكانيّ أساسيّان.

(45)

في ظروف شديدة التعقيد
تاليّة لحالة اللاحرب واللاسلم،
لا خيار أمام المارقين سوى
مقارنة ضعفهم بقوّتي.

ضروريّ لي ولهم الاحتكام إلى
ميزان يعمل بالطاقة الشمسيّة،
أمّا الإلمام بشؤون هذا العصر
والاندماج فيه عضويّا فاختياريّ.
وعليه،
فسوف تعالج الأعضاء المتشنّجة بالتدليك،
ويفسل السليم الصناعيّ منها مكان التالف،
أمّا الاستنساخ فتدبير محكم يتغيّى تدمير
مملكة الصيّاغة الواحدة للمتعدّد،
إذ من المنطقيّ إصدار طبعة ثانية
مزيدة ومنقّحة من كائنات فقاريّة منقرضة.

(46)

ما ذا يبقى لي من جلال ليل محاصر بسراج زيتيّ
غير هذيان ضوئيّ نصف مشعّ ونصف خامل؟
أنا السائب المتنطّع،
أنا المنتسب إلى عفّة العقل ومكره.
لا أحاور ظلاّ مقنّعا أو سافرا،

ولا أتهيّب اقتحام مجهول أوسع من مساحتي،
ولا تصدّني ضآلة حجمي عن التسلّل خفية
إلى عرين معرفة مهما تكن زئبقيّة.
لي من طبّ الأعشاب ما به أعالج مقروءا مصابا بالفالج،
ولي من النزاهة ما يعصمني من القناعة بإرث سيّء التقسيم.
الجوع العارف يفتح الشهيّة، أمّا التجويع فممارسة باثولوجيّة.

(47)

أردت أن أختبر مدى صلابة التاريخ تحت أقدام جيش جرّار.
أصغيت إلى هسيس مشيه السريع ـ البطيء فوق الأحقاب.
صرفني إيقاع استعراض القوّة عن مراقبة التشبيه البليغ
الكامن وراء حركة الأيام المثقلة بخطط الإستراتيجيّين.
حوار أخرس متبادل بين قيصرين مخلوع ومنشقّ.
عدوان مؤجّل إلى حين إصلاح أعطاب
ميزان الحرارة وعدّاد السرعة.
(تقع الطيور على أشكالها في الغابات فقط)

(48)

الفصول أربعة،
اخترت من بينها ثلاثة مواسم،
أقمت عليها سرادقي،
وأقنعتها بشريعتي :
سماء بلون الحبر،
أرض تحتها ترابها،
سديم مكلّف بالسهر على حسن الجوار بينهما .
في السماء أشجار رماديّة،
وفي الأرض مشاتل نجوم خضراء
وما تعهّد السديم بسقي الأشجار والمشاتل
حتّى بدا أن الغلّة من الحرث والزرع سنابل ألغام.
(كأنّني لم أختر من هذه المواسم غير العوانس)

(49)

عدد لا يحصى من اللفائف والربائد،
فيها المظلم وفيها النيّر :
وعد بسمك أرجوانيّ خالص،

وأمر بتحريم الصيد في الأشهر الحرم.
أيّ فضول أغراني بفكّ ألغازها؟
هي كحبّات ملح غير مصنّع،
ثقيلة في الميزان
وتعجز عن بثّ النكهة في طعام وليمة.
لن أعمّر بقراءتها خراب حضارة
كما لن أدمّر بفهمها مدن عاد وثمود.
أنا مقتنع بذكاء من يعدّ للأسماك
بحرا وللبحر سفن صيد فاجرة.
لذا فلن أتنقّل من حدس مؤرّخ
إلى نوايا إشعاعيّة لبطل في ملحمة.
أتلاشى بمحض إرادتي
قراءة عن قراءة،
ولغزا عن لغزّ.

(50)

الغابة أحقّ منّي باختيار مكان عزلتها.
خطوة منها بعشر خطوات منّي.
تقترح عليّ الغابة تكرار التيه.
الرحلة هجرة إلى جهة وسفر إلى جهات،
وهذا ما يقنعني بجدوى
مراودة الخيبة الصارمة.
هي من مهّد الطريق تحت قدميّ،
وأنا من وثّق لهما الفراسخ والأميال.
حجب تحول دون وضوح ما وراءها :
واصل لم يقطع سوى نصف المسار،
ومتخلّف وقفت به الرحلة حيث وقف.
مع أنّ المساء كما هو مساء
والغسق محنّطا في لونه لا يزال.
وبينما يدور في الفراغ بندول الساعات،
يرجع إلى الغابة من نسي شيخوخته
تحت جذع نخلة.
أين هي إذن راحة العقل ؟

(51)

دهاليز مظلمة
رغم بياض الثلج المتساقط عليها
في الشهر الأوّل من السنة الأولى
في هذا القرن الملحميّ.
توغّلت سيّالا في عمق الغور فرأيت :
وطواطا جبليّا يتحرّش بمجتمع نمل تاريخيّ،
وكتيبة من الجنود يحصون في العراء
ما غنموه من أسلاب،
وجبلا كالصاعقة لا أذكر اسمه،
وصرّافا مدلّسا يعدّل ميزان القوى المتصارعة،
وكواكب ماؤها نحاسيّ وترابها شوكيّ،
ومجسّم مقصلة وخوازيق فرعونيّة.
طفوت على وجه اليابسة موقنا
أنّ الكوابيس أصدق من الرؤى،
وأنّ فواكه الحلم طعمها الليليّ نهاريّ.

(52)

تقول الاحتمالات الواردة وغير الواردة :

أنّني سوف أترك بعد هجرتي

من يتذكّر ضخامة طموحي

أو من يقيم مأتما على إحباطاتها،

أو من يرى أنّها تستحقّ إفلاسا بحجمها.

أمّا أنا فسوف أترك على الحقيقة :

إنسانا أنا من معدنه،

وإنسانة أنا من مبيضها الحيّ،

ورجالا مستنسخين منّي سلبا وإيجابا،

وأشخاصا أرفضهم مقيما وأحنّ إليهم ظاعنا،

وغابة أسماء لا ظلّ لأشجارها،

وامرأة صبيّة استثمرت عواطفي فيها،

وملهمة لم تنقذني نقمتي عليها من كآبتي،

وسفرا حيّا أردت كتابته فشلّت عنه يدي.

(53)

الأحزن من يتيم يبكي،
والأسخر من مهرّج يضحك،
صديقي الذي انخرط في هيستيريّة
ضاحكة باكيّة،
صديقي الذي دخل إلى عالم الجذب
بطريقة الانجذاب الصناعيّ.
صديقي سعيد بمعانقة الذروة،
شقيّ أدمن الحسّ وأضاع الحدس.

(54)

الانسجام واسع
جد واسع.
سواحله بؤرة ارتكازه.
بؤرة ارتكازه زئبقيّة.
آفلة منتشرة، بازغة متقلّصة.
الفوضى أكثر اتّساعا وأقلّ بيروقراطيّة.
لا تصبح الفرضيّات مسلّمات

حتّى تغيّر جنسها بتدخّلات طبّية.
وضع الحجر الأساسيّ لبيت الطاعة،
مشروع جاهز لقمع الشعب الرصين.

(55)

كوخ من قشّ.
سقف قصديريّ.
باب من الورق المقوّى.
خلفه كتاب الجاذبيّة المفتوح.
من الصنّارة إلى أسطول الصيد.
(كم أنت شهم يا مرفأ مدينة الصيد!)
يذهب الكوخ مقبلا.
يرجع الكوخ مدبرا.
لاّ غياب ينتهك حرمة سعفه وجدرانه.
لكن تنقصه هويّة بقفل ومفتاحين.
ينقصه موطئ قدم بين الأين والمتى.

(56)

أنا الآن حيث وجد ورثة الزمن الميّت.
لا يورث المكان لأنّه لا يموت.
لا يموت من يترك بعده سقط المتاع :
حرير مستعمل وألبسة ضيّقة،
وعد مبهم بتحسين الأوضاع المتردّية.
يموت الوارث مرّتين،
مرّة بالوراثة وأخرى بالنزاع حولها.
مرثيّة ويرتفع المانع عن الموتتين.
الوارث الهنديّ حريريّ
والطرواديّ عملته خشبيّة،
رئيس الجوقة الهلّلينيّ الآمر بالصرف،
يتعب كثيرا من أجل الحفاظ على ودائع جسده.

(57)

لم أفعل شيئا مهمّا باستثناء ما فعلته بحواسّي،
لم أفعل شيئا غير تبذير الإمكان رغبة في الحلم.
أحببت أن أكون جائرا

فكنته بالاكتساب وعنادي فطريّ.
أحببت أن أتمرّد لكي أنقّح " كوجيطوي"
من الشوائب والطفيليّات،
سبقني "الكوجيطو" إلى التصفيق "بمفاتيح الربح"
مع الغائبين لتمرير صفقة مشاريع وهميّة.
أحببت أن يقف الزمان إجلالا
للمزولات التي تضبط نبضاته.
وقف الزمان إجلالا لماضيه وعاصرني
أنا المخضرم المتنقّل
بمكانه دون زمانه.

(58)

يموت الميّت حيّا
إن تخلّى عن عاداته،
إذا مشى واقفا فكالتمثال،
وإذا توقّف واقفا فكالصدى.
أتصوّر "نيتشة" وقد شفي من قوّة ضعفه.
أتصور عناده المحرج من أجل فهم العالم.

أتصوّرني أبحث لجثتي عن مستقرّ،
حتّى وأنا واقف أو زاحف أو متورّط
في ترميم أسطورتي.
حملت نفس الاسم في الأمس واليوم
متأكّدا من أن الغد سيحمله نيّابة عنّي.

(59)

ثمّة اسمه تحت حروفه،
بعد اسمه تنهمر المعاني واضحة :
تحايل ورديّ يجري في عروقه مع دمه،
فاصل بين العروق والدم
يتكتّم على مسافته إراديًا.
بطاقة زيّارة فيها ملخّص
تحت الاسم وفوق المسمّى.
وبعد ذلك، لا جدوى من وضوح وغموض
ما دامت هناك بقيّة من رمق في
حرفة الورّاقين ومصنّفي القواميس.

(60)

حبّات العنقود
متراصّة متمسّكة بعروق الكرمة :
لو تنبّأت بمصيرها المعلّق
بين صحو وسكر،
لنقلت الغيبوبة من السرير
إلى الملإ الأعلى،
لفضّلت ألاّ تكون وجها
واحدا بوجهين.
إمّا الحلم الصاحي المنتشي،
وإمّا الاستسلام إلى الإغماء الرائع.
أنذرتني الكرمة :
"لا أوصي السائر وظلّه أمامه
بغير هذين الاختيارين" .

(61)

جنّيّة "الميكزنغ"
Marguerite Duras

تنبّأت بالوقوع في شرك عاشق
ليّن البشرة ناتئ العظام.
التمست منه أن يفعل بها
ما دأب على فعله بالنساء الأخريات :
المتعة شيّقة حال الممارسة،
مريرة بعد تأويل الفعل.
هل وجدت الجنّيّات قبل المراهقة
أو بعد اكتشافهنّ معدنهنّ الناريّ ؟
مهما يكن الأمر فلست أنا من دفعها
إلى الاستحمام في نهر العملة الصفراء.

(62)

لا فائدة من النظر إلى الخارج
من وراء زجاج نافذة متّشحة بستارة خيش.
العبرة من النظر مشافهة المرئيّ.
العبرة في استبطان خارجه من داخله.
حكيّ أنّ عيون المها إذا غمزت
عهّرت المنظور، وإذا استنطقته

جعلته يوقّع على ما تحبّه فيه
وما تحبّه فيه ليس فيه.
وراء النافذة الشارع والمارّة،
الصخب والمهاترات وأنا،
نزوة الابتزاز وغلمة التحرّش.
ليس في الخارج غير هذا.

(63)

بيت على ربوة،
ربوة تطلّ على نفسها،
نفسها مطلّة على اللاّمدى.
علبة فيها الزمان بتراكمه،
وفيها عمارة المكان وفراغه.
لكلّ قفل مفاتيح عديدة
بعدد آلهة الأولمب،
إلاّ بيتي فقفله أضاع فردانيّته
عند سادن طيفيّ.
من مرونته اعتزازه بكبرياء،

لا يخضع لتعاليم ممهورة
بتوقيع الواضع اسمه عقب تاريخه.
يستنكف تسلّق شجرة فاكهة
يطلب منه أن يأكل منها بمقدار.
(الجود كالأوقيانوس لا حدود له)
عرّج على بيتي
ولا أحد دعاه إلى الوقوع في فخاخه.

(64)

مبدأ الولاء من المنبع،
منتهاه حيث المصبّ.
ينحني الابن أمام الوالد،
والوالد أمام الجدّ،
والجدّ أمام السلالة،
والسلالة أمام "نظريّة الأنواع".
وأنا ظهري محدودب فلمن أنحني؟
من الشجرة فإلى الطين،
من النسناس فإلى الخرتيت.

هذا وبين المنبع والمصبّ،
يتدرّب المتنطّع على استعمال السلاح الناريّ،
والملاكم على تبقيع وجه غريمه المتحفّز،
والشيطان على مبارزة الطائع بالعاصي،
والشموع على تبرئة الشمعدان من تبديد الضوء،
والفجر على استيقاظه الموقوت قبل صياح الديك.
يتباعد المصبّ عن المنبع
بعد أن يجتاح الماء زمن الفوضى.

(65)

يعزى فشل الحضارة في تدجين الغجر
إلى إعادة إدماجهم بنقلهم من
هوامش الاستثناء إلى بؤر القاعدة.
لا ينتظر شيء من شيء،
لا من الأفراد ولا من الجماعات،
لا من الحكومات ولا من الآلهة.
المعوّل على الكاهل،
على خشونته ولياقته في حمل الأثقال.

البشارع دافئ في النهار،
صقيعيّ في الليل.
ولولا المطاعم الفاخرة
والوجبات السريعة
والأكل الوحشيّ،
لأمكن النوم سهوا على قارعة الطريق،
لأمكنت ممارسة حرفة التناسل
على رطوبة حشائش الغابات.
هل سلمت خيوطي من الغزل الغجريّ ؟

(66)

بيوت بطابق واحد في أحياء الضواحي،
تعاش الحياة الأفقيّة فيها أفقيّة.
عمارات للسكن الاقتصاديّ في الأرباض الهامشيّة،
تعاش الحياة العموديّة فيها عموديّة :
علب مرصوص بعضها فوق بعض،
منها بعث الله القرامطة لهداية البحر،
وفيها عجزت الرياح عن تعديل طقس الحكمة.

حدّ التسيّب الأفياء اللاّمجديّة.
تلتهب الجروح وتنكأ القروح.
تنكفيء الصحون الطائرة على السطوح.
تتكسّر الهوائيّات على آخر جملة
تسقط من شفتي نشرة الأخبارالزواليّة.
من أين يأتي الله بكلّ هذه العواصف ؟
إلى أيّة غاية ينتهي نوّاحها الملحّ ؟
سؤالان اثنان :
معتقل سرّيّ في واجهة،
ومقابر جماعيّة مقابلة له.
من يتأسّى باسمي
أنا المتمرّد النموذجيّ ؟

(67)

قلت له :
" ما هي الطريقة التي تعلّمت منها
أن تكون قنفذا علمانيّا
يكشّر عن شوكه النظريّ،

ويتكوّم فيه تفاديًا للتحليل المخبريّ ؟"
أخبرني بأنّ نوعا من الحشائش السامّة
تناولها جياع هذا القرن بعد القحط الآريّ
والجفاف الموسوعيّ اللاّتينيّ.
ماتوا نصف موت بعد أكلها ليعيشوا
بعد اجترارها حياة كاملة معطوبة
على سواحل الأوقيانوسات.
الريّان يلاحق الظمآن أنّى وقع
على بئر فيها ماء.
والظمآن يستغني عن ملاحقة الريّان
ما عثر على معادلة كيميائيّة
تخرج السائل الحيّ من الجامد الميّت.
من أجلهما معا
كان للأرض كلّ هذا الجلال المرئيّ.
من أجلهما معا
بيعت الفصول الأربعة بثمن التكلفة لا غير.

(68)

فوق أعلى طلل من أطلال المدينة،
راقبت الأبراج والقباب والصوامع.
بدا لي أنّ الأعلى هو الأصلح لنشر
صيغ معدّلة للدلالات المفتضّات،
وأنّ الأسفل هو الأليق بتجفيف الصديد العتيق.
(صنان الآباط ومنعرجات الجسد السرّيّ)
فدم يدلي برسالة اعتماده خبيرا فوق العادة.
إثنولوجيّ معاصر اتّخذ بدائيّة المعرفة عقيدة.
سلوقيّ غير معترف له بالصيد في الأشهر الحرم.
جنديّ نظاميّ في حزب سيّاسيّ يعمل بنصف راتب.
ويأتي من يعترف بكينونة هذه السوآت العاريّة.

(69)

نعم،
في الربع الخالي حيتان تحبو ولا تسبح.
نعم،
في الربع الخالي بحار رمليّة مالحة.

تطفو القوافل وترسب مع الكثبان.
كبرياء الثراء المفاجئ.
عقدة التبرّج بشكر النعمة.
ناقة بطاقم أسنان ذهبيّة.
(حبلى هي الناقة)
حوافر جمل بنعال وجوارب.
(فحل هو الجمل)
الغائر في الجسد بالتخسيس.
الناتئ في الصدر "بالسيليكون".
الخدم في عيونهم حور أسيويّ.
أرلكان يعظ الناس على خشبة المسرح.
(لست من محترفي الجدل البيزنطيّ)
نعم،
تعيش هذه الحيتان راجلة راكبة.
تهتدي بالنجم في سيرها النهاريّ،
وبعكّازين في تنقّلاتها الليليّة.

(70)

تجربة العنوسة رهبانيّة
رغم ممارسة الحبّ المهرّب .
رغم الخضوع لاستيهام الشبق المتخيّل .
رغم حضور المواخير في الأدبيّات العاريّة .
إنّما ما معنى أن أكون عانسا
في محيط "بورنوغرافيّ"
يتصيّدني في الشوارع ؟
معناه ألاّ أركن إلى صدر ناهد يكون لي ،
لقلب متحرّك كاللغة يكون لي ،
لساعدين يقياني شرّ السقوط
في الفجاج العاريّة والخرابات المشبوهة .
تمتدّ إليّ اليد بالمصافحة القاتلة ،
ولي من الخبرة ما أردّ به عني العدوان .
أخجل حين أشعر قامعي بوحدانيّتي .
الإهانة إذن مزدوجة ،
لي منها نصيبي ونصيب وحدتي .

(71)

أحتفظ لنفسي بحقّ أن أحبّ
ولو في حالة شيخوخة يانعة .
إنّما هل هناك رجع لصداي المتوسّل
في أنثى غضّة لا تستنكف التردّد
على دور العجزة ؟
تلك هي المشكلة .
الأجهزة الجسديّة الأخرى ما زال
مفعولها حاضر البديهة ،
وما زال شعورها بالحرج محتملا
عند التورّط في مأزق بابه أوسع
من حجم كتفيّ أنا الداخل المزعوم .
(كم هي لذيذة هذه التوريّة العنيفة !)
أرني أنثى تغشاها غيبوبة مرتعشة
إزاء نصّ عرفانيّ تهتزّ اللغة طربا
من اشتعال فقراته بالإيقاع المحتجب !
إذا عثرت عليها فوجّهها إلى عنواني
إلى حيث أقيم منذ أوّل نقطة في أوّل حرف

من قصيدة سوف أكتبها مرارا كلّما كتبتها .
لك الشكر منّي سلفا .

(72)

تركيبة عجيبة من الروائح الممتزجة :
أنفاس الصابون الزيتيّ،
شذى الفحم قبل الاحتراق وبعده .
البلاط المغسول وما يفوح من نقائه .
الجدل المنتهي بالموافقة على تأجيل الخصام .
نتونة الرثاء الباكي/الضاحك على ذقن الحزن .
نبرات الحداد الأسود على طريقة بني العبّاس .
رنّات الحزن الأبيض بالزيّ القيحيّ الفاطميّ .
المكاشفات محاصرة بين الاعتذار والتشفّي .
المراهنات على نجاح الفرضيّات وفشل المسلّمات .
حين تفوح هذه الروائح المزجيّة جميعا في آن واحد ،
يصبأ من كان إلى وقت قريب حنيفيّا،
ويدفع عنه تهمة الردّة من يمارسها استمناء .
وفي محاولة يائسة تصاب الأنوف بزكام

لا يشفيها من حساسيّة الاستشعار عن بعد .
هذا وليس هناك غيري،
من يشجب فعل الريح الناقلة
روائح الأخبار إلى نشرات الأخبار .

(73)

إذا كنت قد خسرت كلّ الدعاوي التي رفعتها ضدّ
جدار يفصلني عن المتاهة وهي مجراي ومرساي .
فبأيّ المواد القانونيّة أواسي فشلي ؟
شجرة أثمرت برتقالا بنّيا مرّتين في السنة نكاية فيّ .
أنبوب يوزّع مياهي بتقسيط حاتميّ على حديقة جاري .
موازاة علميّة أطبق طرفاها على حسن نواياي المنهجيّة .
حزازات جنيت منها أرقا واسعا وأحلام يقظة سينمائيّة .
مراضاة عدّلت بها فوضاي وفضولي وشدّة مراسي .
تفاصيل ضخّمت الورق وأتعبت عصور التدوين .
جوائز فيتيشيسيّة برأس ثور وجناحي شاهين .
طرق ثيّبات وعوانس ببكارات طبّيّة مرقّعة .
عداوات مجّانية بين خصوم أطيـاف .

خلاف صوريّ بين اللوجيستيكيّ والاستراتيجيّ.
لو كسبت هذه المعارك، ما ذا يبقى للكراهيّة من متعة،
بل ما ذا يبقى لي من ضعف به أمارس الحبّ جهارا ؟

(74)

دائرة الفضول تتّسع.
تضيق الأسئلة.
لماذا الهنا أكثر راهنيّة من الهناك ؟
لماذا تصفيّة الماء من الكلس بالغربال ؟
لماذا يغبط قارون لمجرّد ورود اسمه في الأسفار ؟
لماذا ابتكار الفكر وامتناع حصوله على براءة اختراع ؟
لماذا التعامل بالاسم الفنيّ والتغاضي عن اسم بطيء الشهرة ؟
لماذا السباق والربح والخسارة رهن حوافر الفرس وسوط "الجوكي" ؟
لماذا حرمان الأجداد من نصيبهم في تراث الأحفاد ؟
لماذا بناء هرم في ظرف قرن وسكناه دفعة واحدة في دقيقة ؟
لماذا المشرق قبل المغرب وهما معا عالة على عطاء الشمس ؟
الهجرة ليست حلاّ،

هي إِصرار على تبرير الخوف الآتي،
الخوف الرهابيّ الطارئ،
الخوف من العدّ العكسيّ.
أعترف بأنني أسابق ظلّي ذاهبا وصورتي آيبا،
وإِذ يسبقاني أتذكّر أخطائي وأعزوها
إِلى رداءة عشب الملعب
وإِلى رعونة صفّارة الحكم.

(75)

بذلتي السوداء تحت الألق المشعّ،
حمراء تحت شحوب ضوء المصابيح.
كأنّني خطّطت اللونين معا بالحبر الصينيّ.
(بالسواد يفصح الحبر الصينيّ عن جميع الألوان)
معطفي مشرب بلونيّة صوفه الكاشميريّة.
تحته السترة حربائيّة محتميّة من الحرّ والقرّ.
(لون الألوان هلاميّ يا قوس قزح !)
نعلاي لا ينسجمان مع مقاس هندامي.
مع النحافة المتورّمة بالصناعة والفن.

شالي الواسطة بين القبّعة والعنق،
يشير إلى احتمالات جدّ متباينة،
ويعين على مقاومة الرطوبة.
حذلقات كبريات دور الأزياء.
تخذل الجسد لصالح القماش.
مع أنّ ركاكة الكتفين
والخصر والردفين.
تجهض رشاقة اللباس الفاخر؟

(76)

ثقل البراءة وخفّة الطيش،
لم يتغيّرا عمّا كانا عليه.
ما زالا بالتراضي يستسقيان
من نبعين: سماويّ وأرضيّ.
بعد الحضور الملحّ للوصايا العشر.
يتضايق المرّيخ من جيرة زحل،
وعطارد من منافسة أورانوس،
ولا يدري أحد متى تسنّ القوانين

لردع السماء عن تحريض فلك على آخر.
وفي انتظار تسويّة الأوضاع بينهما
لا ضرورة لتدخّل مباشر وقمعيّ.
كاف هو تذكير الكوسموس الغامض
بأفضال علم الهيئة عليه،
وكاف هو تذكير المنجّمين
الوسطويّين بعجز الإسطرلابات
عن ملاحقة قواعد إطلاق الصواريخ.
إذا تحسّست الأزرار بأظافري تنهزم الآليّات.

(77)

فتحت "ألبومي" على مصراعيه.
تأويل الشاهد بالغائب نكوص.
أريد شفائي من سلامة بدنيّة
كنت متبرّما منها طيلة حياتي :
طفولة مترفة لا تعرف كيف توزّع
حالات البؤس والإحباط الباديّتن عليها
بين التمرّد المتعنّت والخضوع الذليل.

يفاعة لم أستثمرها في عبادة ذاتي الهشّة.
زهوّ قميء اتّكلت علي قساوته فخذلني.
حسرة طويلة العمر ما زلت أجترّ رغاءها.

(78)

لا أنتسب إلى قبيلة الرحّل بمحض إرادتي.
أرحل من حيّز واسع نكاية في اتّساعه العفويّ.
إلى حيّز أقصر من الدونم وأطول من الفرسخ،
كأنّ حجمي فارغ محاصر بالأعلى والأسفل.
الحلّ في الترحال،
تشفيف لمكانيّة المكان.
تبديد تعب عارم على راحة وهميّة.
من جذور السور المضروب حول المدينة
إلى بؤر البؤس المتكدّس في خرائبها العاريّة،
ومن السور وبؤر البؤس إلى حيث الجبّانات
المتساكنة جنبا إلى جنب مع البساتين اليابسة.
زاد رحلة اليوم مخالف لزاد رحلة الغد.
ما تعبت من التأويل ولا تعبت الوقائع

من بعث الطائع من رماد العاصيّ.

(79)

الأنثى وراء البرقع غيرها سافرة.
لهفتي على البرقع أعتى من شغفي
بما وراء خيوطه المحبوكة الرهافة.
مداراة البشاعة باعتقالها خلف حجاب.
هذا ما فعله بالماضي كتّاب الحوليّات :
الصبوة الحسيّة في مقابل إثارة الفضول.
اقتحام ذروة اللذّة عن طريق الاستيهامات.
تعثّر السير فوق القشرة السميكة المسنونة.
لم ينج أحد من السير يسارا من جهة اليمين
لم تخل الطرق من سابلة بوهيميّين يمشون واقفين.
(الأعماق أشدّ المرايا بلورة للغوامض)
أحمّلني مسؤوليّة إفراغ ظلّي من معدنه،
وأحيطني علما بأنّني اكتشفت معايير أبكارا
ساعدتني علي امتلاك مقاليد لعبة "الروليت"
ساعدتني على الضحك الباكي رابحا أو خاسرا.

(80)

رأيت الجثث تتهاوى أمام عينيّ
في الشوارع غداة انتشار وباء المجاعة.
تقلّصت تربة الأرض ويبست وتفحّمت.
تنازل الزرنيخ عن سمّه بسبب جفاف عروقه.
اهترأ شوك العوسجات فلم يعد لاسعا كعادته.
فقد النبات هيبته فأضاع خصوصيّته الغذائيّة.
هكذا استعذبت الجثث موتها داخل وخارج
الأجل الذي حدّدته المجاعة للإقامة بين الناس.
هل ثمّة حاجة إلى عين معبّأة ببطّاريّات نفّاثة
تسمح للعدّاد باحتساب الفرص الضائعة
على حضارة تغرب من مشرقها ؟

(81)

نخّاس
قزم
وقميء،
استنسخ لي ولأحفادي ولأسباطي،

أجدادا غاليّين لهم آلهتهم المقرورة.
ولّما استعصى عليه اشتقاق الهالة له
من معدن صلب مثلوج خفيف الأجنحة،
حصّن الصندوق الخلفي لسيّارته ببندقيّة صيد،
وهذا ما ألبس الحكمة رأس أفعى وزعانف سمكة
ومنح الأولويّة للذات المنتسبة بالولاء إلى أجيال يافعة
تكتفي بالحرف الأوّل من اسم التربة التي آوتها منذ الأزل.

(82)

مات إبراهيم ويداه على ديوان شعر،
وعيناه متجهتان نحو مدى ما كان يظنّ
أنّه في يوم من الأيّام سيخلّ بالتزاماته اتّجاهه.
مات ولم يكن لديه من الوقت ما يكفيه لنعيي.
لم يمت لأنّني لا أزال أقارعه الشعر العاقل.
(سماده فيه فلا يحتاج تخصيبه إلى مبيدات)
آخر مساجلة لي معه لم يجفّ مدادها بعد:
– كيف يكبر الصغار بالتلقيح المضادّ؟
– ينضجون فوق نار سريعة الطلقات.

– وجيوب أدمغتهم ؟
– محشوّة بقشّ السرعة وهشيم التبعيّة .
– هم على الأقلّ تحت الحجر ؟
– منسوبون إلى ولاء غير واضح المعالم .

(83)

تحت زئير الجبّانات
وشخير الموتى النائمين
بدأت أعلّم الأطفال كيف يكتبون غيرهم
بالنقطة والفاصلة والقاطعة بعيدا عن العلامات،
على أن يؤجّلوا مقارعة الحرف بالحرف
والكلام السائب بالكلمة المتعقّلة
إلى يوم يتمكّنون فيه من الحصول على
جائزة "غونكور" السخيّة المتحرّشة بالغرابة .
من استطاب تعريّة الذات في زمن العفاف
لا يصعب عليه احتراف البغاء المجزي .

(84)

أنا المأزوم المنهزم أمام تنوّع الأطعمة
ووفرة المآدب والولائم المتبرّجة العاريّة،
يصعب عليّ الاختيار قبل الشبع وبعد الجوع
بين أنفة المدعوّ رسميًا وبيده صكّ براءته،
والطفيليّ الحاذق وهو يتصفّح مذكّرته
وليس فيها غير العناوين الباذخة.
من أين أبدأ ؟
من اللواتي يدعكن أرنبة نهودهن بحاشيّة كتاب،
لإيقاع المعرفة في حبائل جسد عنفوانيّ الينوعة،
أم باللواتي يفتعلن الاصطدام بالوجدان الجريح
يتعلّل بالصيغ الغزليّة المأثورة على لسان شعراء
أحبّوا فعفّوا وسقطوا أمام عناد قافيّة ورويّ.
ليكن في علمكنّ أيّتها العاريّات الكاسيّات
أنّ توسّد ذراع صادق الرؤيا في الحلم
خير من إيجار النوم على سرير وثير
سيّء السمعة بطيء الصحو.

(85)

فرق بين "أوديسيّ" يتكلّم باسم ملحمة
و"فداوي" يرتزق ببطولاتها الإعجازيّة.
معي على الخط اللاسلكيّ جابر بن حيّان
ومعي في نفس الضائقة مقريزيّ خجول،
ومعي بينهما مهندس مسّاح من النباتيّين.
(كلّنا أعضاء في نادي العراة المحظور)
مخطوطات متعدّدة لسيرة ذاتيّة موحّدة
لا تحتاج لا إلى ترجمة فوريّة
ولا إلى تأويلات.
إلاّ أنا فمعي ظلّ غامض أخشى عليه من السقوط
المفاجئ المدبّر من عليائه السديميّة المتوهّمة.
لم ننجب جميعا عبر ثلاثة أجيال غير جمجمة واحدة
كشفت مسار الحقائق من الهواية إلى الاحتراف.
استوعبت ابتذالات الوجه وانحرافات القناع
انقلبت عليهما واقترحت بديلا يملأ فراغهما.
هذه الجمجمة هي نصيبنا من الإبداع العامّ.
لولاها لكنّا مأجورين على عمل لا نعمله.

(86)

الكاتب الذي سخر من الولاء إلى "الميتروبول"،
صالحها إذ أنشأ فيها عاصمة أمبراطوريّته.
والرسام الذي راود التجريد الميتافيزيقيّ،
شحن نفسه ليرث الغموض بالتعصيب.
والشاعر الذي جرّد رماده من جمره،
تعاضى عن احتراق النار بهذيانه.
والمسرحيّ الذي أبكى الملهاة،
تخثّر في لباس التنكّر المولييريّ.
تأثيث عالم الفنّ من الخارج يستجيب
لفلسفة الملابس ولها تقنيّوها المختصّون.
بنفس الجرأة جبر هؤلاء كسور عظامهم
وبنفس الجَرأة رفضت عظامهم كساءها اللحميّ.
لم أساومهم.
لم أتملّقهم.

قرأت الروايات والدواوين
واللوحات والمسرحيات
وانصرفت.

اختليت ببراءتي.

(87)

الحيّز ضيّق،
والمحتاز فيه بسعة الدنيا.
فيلسوف من قمامة "الكوجيطو" زاده.
إيديولوجيّ اعتزله واصل بن عطاء.
يساريّ أمّم حتميّة الجدل لصالح مماحكاته.
صانع أقفال دجّن المطلق للنسبيّ وأتلف المفتاح.
شارح أمرد قرأ النصوص من فهارسها وهوامشها.
ويوم استفحل الفكر الثوريّ اقتطع كلّ واحد من هؤلاء
لنفسه حصّة من الحيّز الضيّق مساحة امتلكها على الشيّاع.
جرى تنصيب الشاعر والخطيب والمنظّر وقابض الأعمار.
ماءت القطط السمان/العجاف من تخمتي الشبع والجوع.
بقيت في موتي نبرة من فصاحة الخطيب "شيشرون".

(88)

اقتضى النظر إحالة المعرفة على سيّاسة الأمر بالمعروف.

للكتل الحزبيّة من سيّاسيّيها من هم حرّاس أو سدنة أو جلاوزة،

وللصوت الرسميّ أصداؤه المرصوصة خلف الواجهة الأخلاقيّة،

وللخوف المحايد سراديبه المظلمة فيها يتخندق وإلى صمتها يلتجئ.

هنا مشتل أخضر لإنتاج طبقات من المؤيّدين أو المناهضين أو المحايدين.

وهنا أيضا مشتل لإنتاج النميمات والإشاعات والخلافات والحزازات.

هنا قضى زمني رحلته المتعبة من مبدإ الريعان إلى نهاية الذبول.

من انتظر منّي في هذا المباءة القاحلة غير الاحتقار.

فليبلّل صحونه بالدسم لإغرائي بحضوري ولائمه.

تمترست خلف عناديّ السليقيّ وتطرّفيّ المكتسب.

لأمر مّا تقيم السراديب في الظلام.

لأمر مّا أصبحت الغوغائيّة حرفة.

على المحاكم أن تبتّ في دعاوي إثبات النسب.

(89)

حلبة "الكوريدا"

ينازل فيها النزق البشريّ قرني ثور حانق.

(الاستخفاف عملة متبادلة بين المتصارعين)

ليس الشعر لعنة ولا هو صكّ غفران

يتقرّب به إلى آلهـة من الورق المقوّى.

هو فعل يمنع الكائن من إراقة ماء وجهه

بمجّانيّة لقاء حبّة خردل من الاعتراف المرائي.

يا خصيمي الممتطي فرسا طرواديّة قوائمها خشبيّة.

كيف هو حالك مع حرمل الشعر وحنطة النبوغ المبكّر؟

كيف هو حالك مع جسد دمّرته بالغيبوبات المتداولة

بينك وبين الرعونة والعدوان ورسوخ القدم في

تعذيب ذات لم تتحمّل عنفك ففاضت روحها

قبل أن تضع على قبرها باقة جيرانيوم!

(90)

هو الذي رأى نفسه في مرآتي.

هو الذي أمرني بمحو صورتي منها.

"كيف أمحو صورتي من وجهي؟"
قلت له مستأنسا باحتقاري له.
تجاهلت ساديّتة الباديّة على ملامحه.
كدت أن أقفل الخطّ لولا أنّه عدّل اقتراحه
حين التمس منّي وضع صورتي خلف إطاره.
لكلّ نجم من الفضول ما يغري بمطارحة عاشقيه.
هنا التقيت بذاكرتي التي تصحو وقت وجوب الصحو.
قلّبت صفحاتها المتراصّة الواحدة فوق الأخرى
فماذا عثرت عليه من الكنوز في طيّاتها ؟
مولّد كهربائيّ عتيق انقطع عنه التيّار.

(91)

جميل أن يحلم بتعدين وجدانيّته
وجميل أيضا أن يصرف شغفه عن الفوريّ.
لكن ما العمل إذا كان الحلم جبرا لكسر سلاليّ ؟
أطلعني على نصوص مخطوطة يشتكي فيها
من قصوره عن مراضاة أنثى تكرهه غريما
وتحبّه طيّعا ينسيها شراسة التقاليد الموروثة.

كان غريمها طبقيّا
وعشيقها جسديّا.
لم يرفض وضعه
ولم تتنكّر لامتيّازها.
اختنقا مع ذلك باجتماعهما ملتصقين في قصيدة
وحّدت بينهما وهما في مفترق الطرق المسدودة.
خياليّ هو المهر الأغلى من المتعة الجسديّة العابرة.
ليكن مسك الختام الركون إلى الشهامة الصريحة.

(92)

النسخة الثانيّة من التوأم
استحوذت على حصّة التوأمين معا
من براءة وزّعت عليهما وهما في الرحم.
انتفعت من حاجة هذه النسخة إليّ استئناسي بها.
وانتفعت هي بكبرياء ما أضمره لها في وجداني.
تأكّدت من نقائها من خدوش الحزن المرضيّ
تأكّدت من عدم استدرارها العطف المجّانيّ.
تأكّدت من أنّها عملة أصيلة نادرة التداول.

وجهان بوجه واحد لا تؤثّر فيه رطوبة
منهمرة عليه من رفوف "الأرشيف" .
كم هو رائع وقوعي على عين ماء
في متاهة العطش الغاشم الرمليّ.
قلت له :
"نستطيع نحن الاثنين نزع صكّ الملكيّة من "موليير" .
نستطيع إدماجه في ديوان شعر لا حذلقة في قصائده.
نستطيع تدبير لباس مجازيّ له ولزينته المسرحيّة
على مقاسه خاليا من الجناس والطباق والتوريّة
يقمع به موته الآتيّ.
وفعلا وفّقنا في مسعانا.
سكت "موليير" ونطق عوضا عنه "بيكيت" .

(93)

تطفّل على الجوقة.
زاده من الشعر عروضيّ.
اجترار الإنشاد برطانة الصوت المالح.
ترداد المأثورات المنتزعة من جذورها.

الضعف الواضح المختفي وراء التبشير.
انتحال سلامة القصد احترافيّ، تلفيقيّ.
رحلة إلى الحكمة الضالّة على سنام ناقة،
وهيّ شاخصة
في الفيزياء الذرّية والريّاضيّات التطبيقيّة
والمعلوميّات التقنيّة والفحص بالصدى.
خدمة عمالة مدفوعة الأجر سلفا
عمالة تصبّ في أوقيانوس ولاء مشبوه :
قياس الحالة البائدة على الراهنة.
تحكيم الغائب في الشاهد.
إبعاد الشاهد عن استشراف الآتي.
هل شحّت الأفكار حدّ استيرادها
من مباءات الفكر البدائيّ ؟
القساوسة العجائز جاهزون
لخدمة من لا يغليه مهرهم.

(94)

في بلاط دولة المماليك،
مخيّرا كنت بين حجّاب ثلاثة :
حوذيّ يستثمر ذكاءه الفطريّ
في السير وراء دابّة وليّ نعمته.
ومتذبذب منذور لترويض الدببة
في واحة عزّ فيها الرمل فأحرى الثلج.
ودمية أراجوزيّة محشوّة بالتبن الرطب،
ترقص بإذن خيط في يد العجوز مشغّلها.
مع الحجّاب الثلاثة وقفت حتميّة التطوّر
عند الاستهلال لم تتجاوزها إلى الفهرس.
معهم تنازلت المعرفة عن تجريبيّتها.
لصالح هاجس أمنيّ خائف من الجرأة
على تصفيّة المياه الراكدة لإبداع سالف.
معهم سهل استعداء المحدوس على الملموس
والمطلق الأجوف المتقعّر على سلاسة النسبيّ.
معهم سهل على مزيّفي النقود تدبير أمر حقيقة ثالثة
وسط بين الضائع والمستعاد ممّا يسمّى تكافؤ الفرص.

الآن
تحوّل بلاط المماليك إلى ضيعة يسترجعها
مستقطب سابق من مدجّن متدرّب لاحق.

(95)

خوفا من صرامتي
التمس منّي الجلوس على كرسيّ قميء،
الأكبر منه أنا والأصغر منّي هو.
اعتقد أنّه اشترى سكوتي عن مزالقه.
سكتّ حياء وكبر على السكوت
أن يكبت تمرّد لسان حالي.
ضايقني بتقزيم مرجعيّاتي.
محوت آثار خطواتي منه.
انصرفت إلى الوضوح.
أفسدت عليه مخطّطاته المريبة.
نصّبتني واليّا بدون أوراق اعتماد
على الباقي من الفضاءات البريئة.
اكتوى بلهيب النار ففرّ منها عاريًا.

أمعن في الارتشاء فجنحت إلى القناعة.
ما ذا ينتظر ممّن سنّ طقوسا لتأجير جسده ؟
الهروب إلى الأمام لا يجدي مبحرا في المحيط.
تستوي الأبعاد والأطوال في أعالي البحار.
كلّ الاتجاهات ممكنة وتفضي إلى المركز.
الجهات الستّ معيار للأرضيّ
امتداد لا نهائيّ في السماويّ.
القارب تحت رحمة اللّجّة وهيّ عاتيّة.
النظر من الزاويّة الواحدة نصف العمى
النظر من قمّة القطب اقتناص لما بعد الأبعاد.
خيوط العنكبوت يخترقها الصمت.
خيوط الهاتف متلبّسة بالتنصّت
خيوط المعرفة نسيجها محكم
خيوط وجهات النظر مؤسّساتيّة.
إليك يا سادن بلاط المملكة هذه الخيوط
فشكّل منها قماشا يحميك من الحرّ والقرّ !
قماشا لحياتك خارج الارتشاء والتسوّل.
خارج مداهنة رئيس الورشة.

خارج أخلاقية الخوف من المفاجئ.
خارج التعلاّت الممنهجة جيّدة السبك.
أنا هنا مستوف شروط الإقامة في أحيازي.
أنا هناك بمنأى عن البطالة الذهنيّة المقنّعة.
أنا فيما بين الهنا والهناك قادر على استنطاق
جراح لا تبكي ويسبق التآمها سرعة الصوت
جراح ندوبها غائرة ولا تلقي بأسلحتها
لا واسطة بين الاستسلام والهزيمة
غير الإصرارعلى الاستمرار.
أنا صادق في حبّ من أحببت،
صادق في كراهيّة من كرهت.
لا يضيع عليّ أجر الحبّ ولا ثواب الكراهيّة.

فاس - تازة - البيضاء،

من 2006.1.2 *إلى* 2006.4.10

فهرس المحتويات

صدر عن



وزارة الثقافة

محمد السرغيني
الأعمال الكاملة

الجزء الأول
الدواوين الشعرية

■

الجزء الثاني
الدواوين الشعرية

■

الجزء الثالث
الدواوين الشعرية

الثمن:
45 درهما